

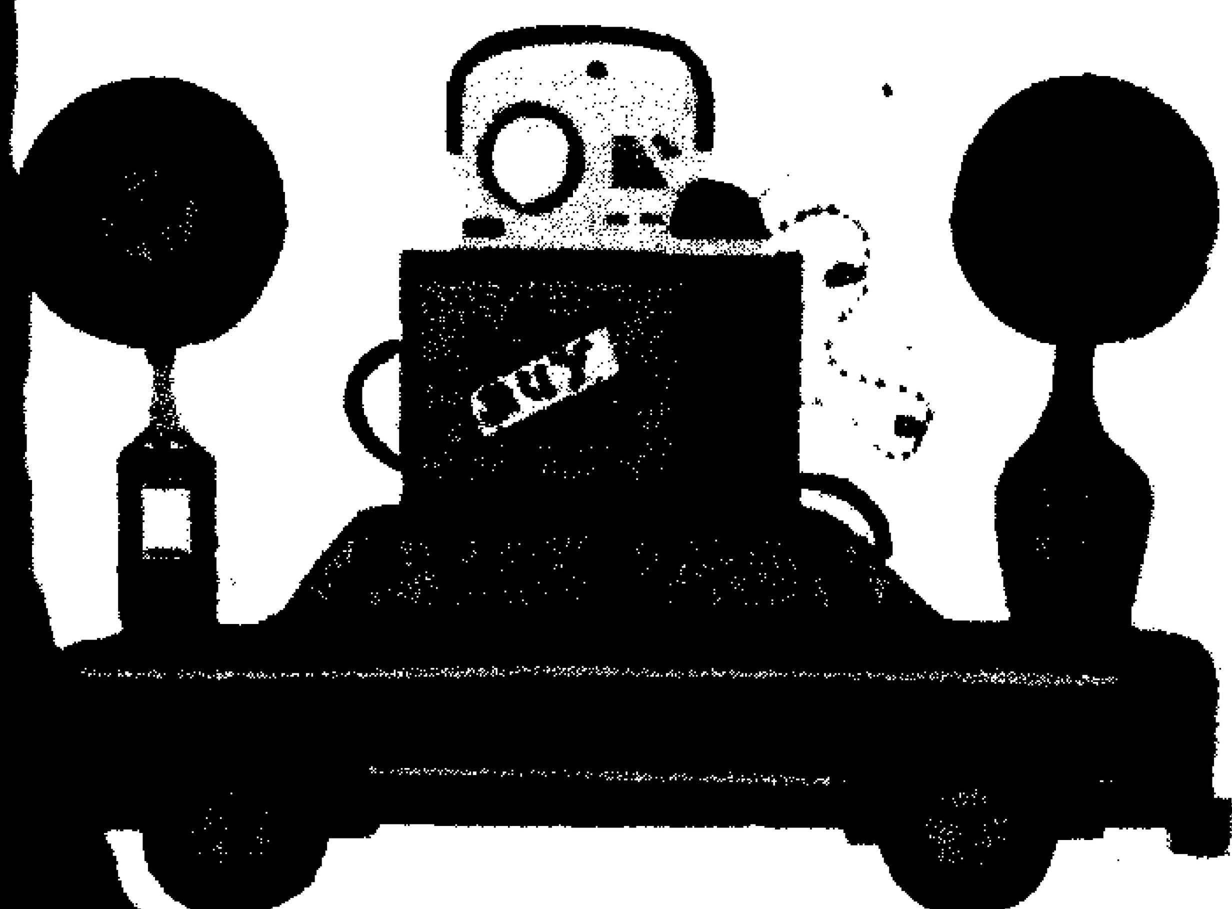


آى كويى آرما

الجماليات لم يولدن بعد

رواية

ترجمة و تقديم
صبرى محمد حسن

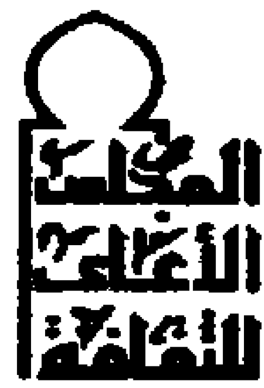


941

المشروع القومى للترجمة

الجماليات لم يولدن بعد
(روايـــة)

تأليف: آيـــى كويئى أرمـــاه
ترجمة وتقديم: صبرى محمد حسن



٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد : ٩٤١
- الجماليات لم يولدن بعد
- آيى كويئى أرماه
- صبرى محمد حسن
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب :

The Beautyful Ones are not yet Born
By: Ayi Kwei Armah

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت:٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٧٣٥٨٠٨٢
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo
Tel: 7352396 Fax: 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة.

الجماليات لم يولدن بعد

رواية أفريقية مَن تأليف : آى Ayi كويئى Kwei أرماه Armah، الغـانى الجنسية.

ولد فى منطقة توكارادو فى غانا فى العام ١٩٣٩ . تلقى تعليمه فى مدرسة أشيموتا Achimota ، ثم مدرسة جروتون Croton ، ثم التحق بعد ذلك بجامعة هارفارد فى الولايات المتحدة.

عمل آى كويئى أرماه مترجمًا فى الجزائر،كما عمل محررًا فى التليفزيون الغانى، ومدرسًا للغة الإنجليزية كما عمل أيضًا محررًا مترجما فى جريدة أفريقيـا الفتاة التى تصدر فى باريس ، وأمضى الرجل فترة من حياته فى كل من الولايات المتحدة وتترانيا. كما عمل الرجل بالتدريس أيضًا فى جامعه ليسوتو وهـو حاليّـا أستاذ فى جامعة ويسكونسن Wisconsin . نشر الرجل أربع روايـات أخـرى ضمن سلسلة منشورات الكُتّاب الأفارقة . أولى هذه الروايات بعنوان "تنف" ورقمها ١٥٤ فى تلك السلسة، وثانى رواية له ضمن هذه السلسـة بعنـوان" لمـاذا نحـن مباركون" ورقمها ١٥٥، والرواية الثالثة ضمن هذه السلسة بعنوان "ألفـا موسـم" ورقمها ٢١٨، ثم رواية رابعة بعنوان" المعالجون" ورقمها ١٩٤.

الجماليات لم يولدن بعد:

رواية عن الفساد، على حد قول جريدة الإسبكتيتور Spectaor اللندنيـة، وأنها معالجة لموضوع الفساد...

تلك العدوى التى يجلبها الفقر على من يرتكبها".

وقد ورد فى الملحق الأدبى لجريدة التايمز أن القضية الرئيسية فـى روايـة "الجماليات لم يولدن بعد" هى قصة رجل مستقيم يقاوم إغراءات الرشاوى السـهلة

والإشباعات السهلة الرخيصة، ولكنه لا يحصل على شيء جزاء أمانتـــه، ســـوى احتقار من يحبهم له. هذه القصة يسردها المؤلف سردًا ينبض بالحياة والحيوية.

وجريدة اللسنر Listner تقول: "هذا كتاب لن ينسى" أما جريدة الصـــنداى Sunday تلجراف Telegraph فتقول:"ربما كان آيى كوى أرماه Ayi Kwei Armah أحسن كُتَاب غانا جميعهم، وروايته "إنجاز مرموق".

وجريدة الجارديان، تقول عن الرواية في ملحقها الأدبي:" هذه رواية خرافية أخلاقية ألمعية لا تطاق وغير مريحة، وهى تتناول القيم الإنسانية، ولا ترحم أولئك المجانين الذين يضطرهم ضعفهم إلى السعى إلى القوة". أمـــا جريـــدة سكوتســـمان Scotsman فتقول : "رواية نزكيها إلى أبعد حدود التزكية" وجريدة اليوركشـــير بوست The Yorkshire Post تقول: " كتابة متعمقة فيها قدر من خفة الظـــل تخفيفًا للجوانب الكريهة".

هذه الرواية تُظهر مؤلفها على أنه فنان ملتزم يحاول إفساح مســـار إعـــادة البناء الثقافي عن طريق شكل الفلسفة الديناميكية للتاريخ.

صبرى محمد حسن

الفصل الأول

كان الضوء المنبعث من الحافلة يتحرك متذبذبًا على الطريق إلى أن وقعت في النهاية الدائرتان غير الواضحتين على جسم غير واضح على جانب الطريق في المنطقة التي ينعطف الطريق عندها من الناحية الأمامية . كانت الحافلة قد توقفت. كانت طقطقة الحافلة التي أصابها الارتباك قد تحولت إلى اهتزاز متشنج ولا إرادي لا نهاية له ، وكأن أجزاءها كانت متماسكة مع بعضها البعض بفعل كمية كبيرة من الصدأ هي التي أدت إلى تداعيها، في نهايه الأمر، تداعيًا تامًا.

نزل السائق من الحافلة إلى الأرض، من فوق الكرسي الذي كان يجلس عليه ثم تناول من جيب قميصه علبه سجائر ماركة توسكرز Tuskers ، ثم وضع سيجارة مطوية في فمه، وأشعل عودًا من عيدان الثقاب. ومع ذلك رفض رأس عود الثقاب الاشتعال ؛ إذ لم يصدر عنه سوى ذلك الوميض الرطب البرتقالي اللون ، عندما ألقى السائق بعود الثقاب إلى الأرض ، وأخرج بعده عودًا آخرا. وبعد المحاولة الثالثة انطلق من عود الثقاب وهج أصفر دام فترة وجيزة. وسارع السائق بإمساك ذلك اللهب بطرف سيجارته قبل أن ينطفئ ثم تنخم السائق وتنحنح وتفل تفلة كبيرة من البلغم على إطار الحافلة، ثم راح يتمهل بعد ذلك في استنشاق دخان سيجارته.

وفي داخل الحافلة تناول المحصل حقيبته وراح يهرش أو يحك ببطء عنقه في المنطقة التي كان يضغط عليها حزام الحقيبة، وكانت عيناه مفتوحتين، ثم تناول الحقيبة من فوق الأرض ، وأخرج منها سجل تذاكره أو إن شئت فقل يومية التذاكر؛ وبعد أن وضع ذلك السجل أو هذه اليومية بجواره على المقعد، صب كل النقود التي حصّلها بجوار ذلك السجل، ثم راح يقابل بين العملات المعدنية التي حصلها وبين عدد التذاكر المبيعة، ثم بدأ بعد ذلك في إحصاء مبيعات فترة الصباح من التذاكر. وجاء ذلك متفقًا مع توقعاته لمثل هذا الوقت من الشهر: مبلغ صغير من العملات

المعدنية، وعدد كبير من القطع المعدنية فئة البسيو Pesewa ، وبعض القطع بنية اللون مع بعض آخر من القطع المعدنية من فئة الخمسة وقليل من القطع فئة العشرة، وندرة قليلة من القطع فئة الخمسة والعشرين. وكانت عملية التحصيل أسهل طوال أسبوع العواطف Passion Week ، وذلك على العكس من الأوقات الأخرى. ففى هذا الأسبوع لم يكن المسافرون بحاجة إلى الفكة؛ إذ كان المسافرون يناضلون وهم يفتشون أركان الصناديق وقيعانها بحثًا عن العملات المعدنية صغيرة الفئات التى ربما يكونون قد أغفلوها هنا أو هناك فى ذلك القاع أو الركن . وعليه كان الناس يمسكون فى أيديهم الأجرة المضبوطة ويمدونها فى أيديهم إلى المحصل دونما حاجة إلى النظر فى وجه ذلك المحصل، الذى يعرف ويعى مدى عجز هؤلاء المسافرين. صحيح أن التحصيل كان أسهل بكل تأكيد، ولكنه لم يكن مرضيًا للمحصل مثلما يحدث فى الأيام التى تعقب تسلم الرواتب. والوقت الذى يكون من هذا القبيل لاينطوى على فائدة كبيرة. صحيح أن الناس كانوا لا يزالون مجرد جثث تمشى فى أثناء النوم. ولكن ما الذى يمكن أن يأخذه المحصل من جسم يتعين عليه أن يصح من نومه فى البداية، وبخاصة عندما تمسك تلك الجثة الماشية مجرد الأجرة المضبوطة فى يدها،الأجرة فقط بلا زيادة أو نقصان؟ ما أحلى أيام ما بعد تسلم المرتبات والأجور، ما أحلى تلك الأيام.وبعد انقضاء تلك الأيام، يضغط الشهر بطوله على المعانين منذ قديم الأزل، كما لو كانت تلك البقية من الشهر قوة جديدة. هؤلاء السائرون مازالوا نائمين، ولكن كوابيسهم التى هم فيها تجعلهم مجرد أقزام عاجزين عن الهرب منها كما لوكانوا حشرات صغيرة انحصرت فى برك وبحيرات لا نهاية لها، كل هذه الأحلام المخيفة ولَّت وانتهت. هؤلاء الذين رأوا تلك الأحلام أصبحوا يسيرون الآن مثل الأغبياء، وهم عندما يناولون المحصل قطعة معدنية من فئة الخمسين بيسو Pesewa ، يطيلون النظرإلى عينى المحصل ليتبينوا ما إذا كان ذلك المحصل يعرف أهميتهم ويقرها أو لا. وبالتالى فهم لا ينظرون فى راحات أيديهم ليتأكدوا من الفكة التى أعادها اليهم ذلك المحصل . أيام الزحام خلال الشهر، أفضل بكثير من هذه الأيام.

قسم المحصل النقود إلى أكوام صغيره وأيقن أن تلك النقود من بينهـا قطعـة واحدة من فئة الخمسين بيسو .وهذا الأمر ليس بغريب أومستغرب. هـذا يعنـى أن تلك العملات المعدنية لم تعد على المحصل بأى شئ . لم يخطر ببال المحصل أن تلك العملات يمكن أن تعود عليه ببعض الأرباح فى بعض الأحيان. وعلى الـرغم من ذلك، لم يكن مرجحًا لذلك المحصل أن يخبئ شيئا من وراء العملات المعدنيـة فى هذا اليوم. كان لا يزال أمام المحصل شىء ما. فقد أعطاه شخص ما قطعة من فئة السيدى Cedi نظير أجرة الركوب. ونظر المحصل فى وجه ذلك الرجـل الذى أعطاه هذه القطعة من النقود، وأيقن تمامًا، أن عينى من قدم هذه القطعة كانتا تشعان بالسعادة الحائرة المرتبطة بالقوة،والتى تبحث عن الإعجـاب. واسـتطاع المحصل عن طريق عينيه أن يعبر للرجل عن شكره وامتنانه، وأن يشـبع فضـول ذلك الرجل عن طريق إعجاب الآخرين واندهاشهم. ولم ينزل المحصل عينـه عـن مقدم تلك القطعة لأنه لو أنزل عينيه عن مقدم القطعة فإن ذلك يمكن أن يلفت انتبـاه الرجل إلى الفكه التى كانت فى راحة يده، وبذلك يضيع السحر، ومعه الربح أيضًا من هنا لم يبعد المحصل عينيه عن الرجل. ولكنه ثبت عينيه على عينى الرجل الجائعتان، وراح يغذيهما بالإعجاب. وراح المحصل يرقض من نظراته كى يتلقى النظـرات الحادة الصادرة عن مقدم تلك القطعة النقدية. كان المحصل قد فتح فاه حتى يتسنى لتلك الابتسامة المشوبة بالتثاؤب أن تقول لصاحب تلك القطعة مـن النقـود"نعـم" يارجل. أنت رجل، أنت رجل عظيم بحق؛ وكان المحصل قد وضع قطعه النقود، وهو يتحسسها بأصابعه، فى حقيبته، ثم قام بعد ذلك بوضع تشـكيلة مربكـة مـن الفكة، التى كانت أقل بكثير مما ينبغى إعادته لذلك الرجل الكبير. وكان ذلك الرجـل الكبير السعيد قد وضع تلك الفكه فى جيب قميصه. بل إنه لم ينظر حتى إلى تلك الفكه أويتفحصها.

كانت قطعة النقود من فئة السيدى Cedi فوق المقعد. كانت تلك القطعة تبدو غريبة بين كل القطع الأخرى، وخطر ببال المحصل للحظة واحدة مـن السـخرية

والاستهزاء أن ورقه من الأوراق لها أهمية أكبر من المعدن اللامع المصقول. وفي ضوء الحافلة الضعيف راح المحصل يطيل النظر إلى العلامات المدونة على تلك الورقة المالية. وهنا فرضت الرائحة الغامضة نفسها على ذلك المحصل، وهنا راح الرجل يلف الورقة المالية عن عمد وراح أيضًا يتشمم رائحتها. وتعين عليه تشمم الورقة مرة ثانية، وهو واقف وبعيد عن الجلد الذى يكسو كرسى الحافلة. ولكن تلك الرائحة لم تكن نتيجة خطأ ارتكبه هو. ولما كان مبهورًا بتلك الرائحه فقد راح يستنشقها ببطئ إلى داخل رئتيه.كانت تلك رائحة غير متوقعة لشيء جديد على المحصل. "كانت رائحة قديمة جدًا، ومتعفنة جدًا،إلى حد أن العبق الناتج عنها كان غريبًا وعجيبًا تمامًا. الغريب حقا أن رجلا كهذا تمر من خلال يديه أعداد كبيرة من تلك الأوراق، دون أن يعرف كنة رائحتها.

بدأ المحصل يتشمم العملات المعدنية بعد أن تشمم تلك العملة الورقية، وجاءت العملات المعدنية مخيبة لآمال المحصل. لم تكن الرائحة الصادرة عن العملات المعدنية مرضية مثل الرائحة التى تصدر عن العملة الورقية. بدأ المحصل يدس العملات المعدنية داخل حقيبته ولكن بعد أن راح يوازن بين أعداد التذاكر والمبلغ الذى جرى تحصيله، وذلك من باب التأكد من الربح الذى حققه. أحس المحصل أنه قانع وراض تمامًا . كان يرجو أن يكون ذلك اليوم طيبًا ومرضيًا له. سواء أكان ذلك هو أسبوع العواطف أم لم يكن. وهنا افتقدت فتحتا أنف المحصل الرائحة النتنة الغريبة الصادرة عن الورقة المالية، وتمددت الفتحتان مره أخرى أملا فى إنعاش نفسيهما بتلك الرائحة العجيبة القديمة. وهنا أخرج المحصل الورقة المالية مرة ثانية وفردها من جديد وراح يضغط بها وهى منبسطة على فتحتى أنفه . ولكن فى هذه المرة أصبح مشوبًا بنوع من الخزى والخجل. استدار المحصل، وهو يشعر بالخزى والخجل، كيما يتأكد أن الحافلة كانت فارغة .

وقعت على عينى المحصل عينان كانتا مفتوحتين. كان صاحب هاتين العينين جالسًا فى نهاية الحافلة، وكان جسم منحنٍ على شكل زاوية إلى الأمام حتى يتمكن من

إسناد ذقنه على ظهر الكرسى الذى أمامه، وكان الرجل يحمل ذقنه بين راحتى يديه. هاتان العينان أخافتا المحصل. الأدهى من ذلك أن مجرد رائحة العملة الورقية أصبحت الآن مصدر إيلام للمحصل، يضاف إلى ذلك أنه عندما تحسس تحت إبطه وجده باردًا تمامًا. ترى هل هذا هو الرجل الذى أعطانى العملة الورقية، وراح يتحول إلى مراقب لصيق لى؟ ترى هل كانت لعبته مجرد جزء من لعبة المراقب الأكبر؟ بدأت المخاوف الغامضة تشق طريقها إلى ذهن المحصل تحسبًا للعقاب وخوفا منه. لم يخطر ببال ذلك المحصل أن تشكيلة متباينة من ضروب الخوف يمكن أن تتوارد على ذهنه خلال وقت قصير كهذا، وهنا تبدى لذلك المحصل مدى صغر الجريمة ومدى حماقتها، كما اتضحت أمامه ضخامة العقاب المنتظر؛ الأمر الذى جعله يشفق على نفسه ويرثى لحاله.لقد أوشك الرجل على الوقوع فريسة للعبة من اللعب القاسية.

استمر المراقب فى حملقته. ولم يكن بحاجه إلى إلقاء الاتهامات جزافًا؛ نظرًا لأن كل شيء كان قد قيل بصوت عال وعلى نحو كامل فى ذهن المحصل.

"لقد رأيناك. لقد رأيناك. لقد رأينا كل شيء ؛ لم يكن ذلك صوت المراقب. ولايمكن أن يكون ذلك صوت أى إنسان آخر ممن يعرفهم المحصل. لقد كان صوتًا كبيرًا يتدحرج نحو الأسفل وفى كل مكان وراح يغطى الفراغات الخالية كلها فى الذهن ولم يتوقف مطلقًا فى أى مكان على الإطلاق. وهذا هو ما حدث. إنه المراقب. ما الذى يمكن أن يقوله رجل مسكين فى مقابل أصواتهم؟ ما الذى كان هناك يمكن أن يرد على ألاعيب وخداع الأبرياء؟

ومن هنا فإن الكلمات والعبارات التى تلقى فى أغلب الأحيان على شكل نكات، يمكن أن تكشف عن معناها الحقيقى.

"وبكى يسوع.آه، وبكى يسوع".

لم يبك المحصل فى لحظة يأسه. وفتح فاه ونطق بأقصى ما بوسعه من الغضب قائلا:'ماذا تريد؟'

ولكن المراقب الذى كان يجلس منحنيًا فى الكرسى الخلفى من الحافلة التى كانت ترتعد، لم يحرك ساكنًا. وكل مافى الأمر أن عينيه واصلتا حملقتهما، وأحس المحصل بالإهانة والقهر، عندما غرست هاتان العينان رسالة الذنب الذى اقترفه المحصل داخل ضميره وهنا بدأ الغضب يتناوب مع الخوف المشوب بالتعرق، الذى لم يحدث أن خبره ذلك المحصل من قبل. بدا له، أن شيئًا ما كان يجرى تجريدة منه، الأمر الذى جعل جسد المحصل يحس كما لوكان قطعة من الإسفنج الجاف؛ كان يحس أنه خفيف جدًا، وأنه كان تحت رحمة حبات النسمات الخفيفة.

بعد ذلك، وبصورة مفاجئة، أدى صمت المراقب إلى امتلاء المحصل بنوع من الأمل المفرح، وعندما استرجع المحصل تلك اللحظة التى سبق أن عاشها راح فيما بينه وبين نفسه يؤنب نفسه على تلك المخاوف الصبيانية والسبب فى ذلك، أولاً وقبل كل شيء، هو: كيف أخاف المحصل نفسه بتفكيره أن المراقب سيكون هو الذى سيحدد مصيره وقدره؟ ماالذى جعله يضع ذلك الرجل الصامت فوق نفسه هو، أليس من المحتمل والمرجح، بل ومن المؤكد تمامًا، أن ذلك المراقب هو رجل وإنسان أيضًا مكون من جلد وشحم، ودم ولحم، وله أيضًا معدة وحلق يحتاجان إلى الرعاية والعناية؟

وبهدوء تسللت يد المحصل إلى داخل جيب قميصه لتناول علبة سجائر من ماركة السفارة Embassy . لم يخطر ببال المحصل أنه سوف يتعين عليه فتح علبة السجائر بمثل هذه السرعة ولكن فى الوقت الراهن هناك ما يدعو إلى مثل هذا العمل. كانت روح الرجل بحاجة إلى من يسحبها أو يجرها. من هنا كانت هناك مساومة. مهمة معلقة فى الهواء. تنحنح المحصل كى يسلك زوره (حلقه) ثم ابتلع البلغم.

قال المحصل وهو يميل السجائر ناحية المتواطئ المقصود: 'ياأخ، ياأخ ، هـــل يمكن أن تعيرنى شيئًا من الاهتمام؟' كانت العينان المحملقتان تبدوان كما لـــو كانتـــا تودان الحصول على ثمن أفضل. وهنا استشعر المحصل أن شيئًا من خوفه الســـابق بدأ يعاوده من جديد. وبدأ الرجل بهدوء، قدر المستطاع، يمشى فى اتجـــاه مـــؤخرة الحافلة.

قال المحصل، عندما وصل إلى الرجـــل: 'لعلـــك فهمـــت ؛ أن بوســـعنا أن نتقاسم.' ولكن جلبة الحافلة التى لاتنتهى، هى وحدها التـــى أجابـــت علـــى كـــلام المحصل واستوعبته. كان الرجل الذى يجلس فى الكرسى الموجود فـــى مـــؤخرة الحافلة، مازالت عيناه تحملقان، حتى عندما قرب المحصل علبـــة ســـجائره منـــه وأصبحت على بعد قدم تقريبًا من وجهه. وهنا تبدل استياء المعطى بفضول شديد، ثم انحنى المحصل لينظر إلى ذلك الوجه الذى يحملق فيه، فى حين كانت تعلو وجهه هو ابتسامة تنم عن الرضا والمصالحة.

وهنا امتلأ المحصل غيظًا واستياءً شديدان والسبب فى ذلك ،أن المحصـــل، رأى فى ضوء الحافلة الخافت المتذبذب سيلاً من اللعاب والزيت ينساب من الجانب الأيسر فى فم ذلك المراقب.أن ذلك السيل من اللعاب الذى كان ينساب مثـــل الزيـــت تعلق أول ماتعلق بأصابع يد المراقب اليسرى، ثم تسلل من أسفل تلـــك الأصـــابع وراح ينتشر إلى أن لامس بطانة المقعد المعدنية وأصبح له بريق داكن اللون، ثـــم سال ذلك اللعاب والزيت ببطئ إلى أن وصل إلى الغطاء الجلدى القديم الذى كـــان يكسو ذلك المقعد، ثم راح يتصرف بعد ذلك فى المنخفض النـــاتج عـــن الوصـــلة الناتجة عن لحام أرجل المقعد بأرضية الحافلة. لم يكن المراقب مراقبًا وأنما كـــان مجرد شخص نائم.

وهنا تدافعت كلمات الغضب خارجة من فم المحصـــل بطريقـــة متســـارعة أيقظت النائم.

"أنت ياملعون، يابن الكلبة! يا شيئًا عديم القيمة!هـل تحسـب أو تظـن أن الحافلة ملك لجدك؟"

استيقظ النائم ونظر إلى متحديه، دون أن يفهم شيئًا من كلامـه فـى بدايـة الأمر. وراح يلحس البلل الموجود على ذقنه، ولكنه لم يفلح فى ذلـك .نظـرًا لأن الكمية كانت أكثر مما يتصور، ويتعين عليه تجفيف ذلك البلل براحة يـده. ونظـر الرجل إلى يده، وكانت كلها مغطاة بذلك السائل اللعابى. وبعد أن اشتاط المحصـل غيظًا وغضبًا، اقترب من الرجل ووقف إلى جواره وراح يشير غاضبًا إلى المقعد الذى فى الأمام.

"هل أنت طفل؟ أنت تتقيء هذا القيء كريه الرائحة فى كل أنحاء المكـان. لماذا ؟ أليس لديك غرفة نوم؟"

راح الرجل ينظر إلى الذنب الذى يلمع أمامه.وتملكه الخجل والكسوف مـن داخله وسارع إلى تنظيف ذلك الذنب الذى جناه هو. ولسبب أو لآخر، وربما كان ذلك من قبيل الشرود الذهنى ، أدخل الرجل يده اليمنى فى جيب بنطاله. وعندما أخرج يده كانت تسحب معها ليس منديلاً وإنما بطانة البنطال رمادية اللـون الخـاص بجيـب البنطال، ومعها مجموعة من تذاكر الحافلات القديمة. أعاد الرجل البطانة إلى مكانها مرة ثانية وهو يعتذر عما حدث ثم راح ينظر إلى المقعد ومن فوقه القيء .وإن هـى إلا لحظة، اتخذ الرجل قراره بعدها . ثم يجلس بعد ذلك متعمدًا على الكرسى، ثم يتكئ على المسند الخلفى، وراح يحرك جزعه فى اتجاهات مختلفة مرات عده، إلـى أن مسح ذلك البلل.

ضحك المحصل ضحكًا عاليًا "إذن يا أيها الحضرى، أنت ليس معك؛ أيضـًا منديل" لم يرد الرجل بكلمه واحدة . ونظر إلى المقعد.وتأكد أنه أصـبح جافـًا علـى النحو المسموح به فى مثل هذه الظروف. ولكن استهزاء المحصل وازدراءاته تحول فى النهاية إلى عداء من جديد.

صاح المحصل رافعًا صوته فوق صوت خشخشة الحافلة وجلجلتها :"حســنًا، انزل من الحافلة!"

كان الرجل قد بدأ ينزل فعلاً من الحافلة، ولم يقل كلمة واحدة. وعندما وصل إلى آخر درجة من درجات سلم الحافلة، كان المحصل يجلس على مقعد بجوار واحدة من نوافذ الحافلة، ونظر خارج الحافلة وهو يصيح مودعًا ذلك الرجل وهــو يقــول له:"أم أنك كنت تنتظر أن تتغوط فى الحافلة؟".

لمست قدما الرجل أرض الشارع، وراح يمشى ببطئ بجوار الجانب الأمامى من الحافلة" وهو يحاول تحسس طريقه فى هواء الفجر كثيف الضباب. وأنهى صوت المحصل رسالته، مطوقًا الرجل بها. وبينما كان الرجل يمر بجوار الســائق، ســعل السائق، سعالاً قصيرًا وعنيفا انتهى بهمهمة خشنه نتجت عــن تســليكه لحلقــه. ثــم استجمع السائق كل قوته وتفل كل ذلك البلغم أمام ذلك الرجل.

كان الرجل الذى نزل لتوه من الحافلة يستشعر ذلك الرذاذ المصــاحب للــبلغم المتفول وهو يستقر على خده وعلى جانب من جانبى شفته العليا. نظر الرجــل إلــى الخلف وهو مغتاظ، ليرى السائق الذى لم يستشعرندمًا أو أسفًا، وهو يتنحــنح ثانيــة متنخمًا من أجل تفله أخرى. وهنا أسرع الرجل خطاه بعض الشئ.

كانت الأضواء الخافتة المرتعشة والمنبعثة من الحافلة الواقفة، تتركــز علــى جانب الطريق على شكل خط منحرف مائل وغير واضح؛ كان ذلك الضوء متسلطًا على كومة صغيرة من الطين موضوع فوقها شيئًا يشبه اللافتــة.وعنــدما اقتــرب الرجل من تلك الكومة الصغيرة، بدأت تلك الكومة تأخذ شكلاً جديدًا وتحولت اللافتة إلى صندوق من صناديق النفايات مربع الشكل.

كان ذلك الشيء عندما تم تركيبه عبارة عن إشارة بيضاء لامعة، وكان ذلك منذ فترة قصيرة. أما الآن فإن الكتابة الموجودة على ذلك الصندوق أصبح من الصــعب قراءتها أو التعرف عليها. فقد كانت تلك الكتابة مغطاة بطبقة كثيفة من كــل أنــواع

السوائل والعصارات التى يمكن أن تخطر على قلب أى بشر من الناس . ولكن تلــك الأحرف وهذه الكتابة كانت تقول فى يوم من الأيام وبشكل واضح تمامًا:

"صندوق النفايات"

كانت هذه الكلمات مطبوعة باللون الأزرق. أما السطر التالى لها كان مكتوبًــا بخط أكبر وبحروف كبيرة، باللون الأحمر ومنطوقة يقول:

"حافظ على نظافة بلدك"

بالمحافظة على نظافة مدينتك

كان ذلك الصندوق واحدة من ذكريات الحملة الأخيرة التى جرت لتخلــيص البلدة من قمامتها ونفاياتها. هذه الحملة، شأنها شأن الحملات السابقة، كانــت حملــة مؤثرة للغاية، كما تشير الشائعات أنها أنفق عليها مبلغًا كبيرًا من المال. والمؤكــد أن الصحف كانت عامرة بالكلمات التى تقول للناس وللقراء إن القمامة والنفايــات أمــر مرفوض غير مقبول، ولابد من استئصال القمامة والنفايات والقضاء عليها والتخلص منها فى هذه البلدة. وعلى امتداد أيام متتالية كانت هناك سلسلة من المقالات الناريــة التى تطالب الجميع بالنظافة. كما قدمت الإذاعة برنامجًا تحدث فيه عن النظافة واحدًا من الأطباء، كما تحدث فيه أيضًا واحدًا من القساوسة ، كما استضاف البرنامج أيضًا احدًا المحاضرين من جامعة ليجون Legon للتحدث عن الموضوع نفسه. والــذى لاشك فيه أن الثلاثة كانوا متفقين على الآثار الضارة التى تترتــب علــى القــذارة وانعدام النظافة. تأثر الناس تأثيرًا كبيرًا بتلك الحملة. وإذا ما حكمنــا علــى تلــك الحمله من واقع مانشر وماقيل عنها، سنجد أنها فى واقع الأمر، وعلى حــد قــول الوكيل الأول لوزارة الصحة، فى المؤتمر الذى عقد حول هذا الموضــوع، إنهــا كانت أهم الحملات قاطبة.

لقد جرى تدشين صناديق القمامة فى مقر إقامة الوكيل الأول للوزراة. وعلى حد قول ذلك الوكيل فإن تلك الصناديق سيجرى وضعها فى المناطق المهمة فى كل

أنحاء البلدة، وأن تلك الصناديق لن تكون مجرد براميل لتجميع القمامة والنفايات، ولكنها ستكون أمثلة مشرفة على النظافة.

فى النهاية لم يجر توزيع الكثير من تلك الصناديق، بالرغم من الكلام الكثير الذى قيل عن المبلغ الكبير من المال الذى دفع ثمنًا لتلك الصناديق. وبالرغم من ذلك، فإن تلك القلة القليلة من الصناديق التى جرى نشرها فى البلدة برزت أمام أعين الناس ولم تغب عن البال. استعمل الناس تلك الصناديق استعمالاً طيبًا، بحيث أن امتلاء تلك الصناديق بالقمامة لم يكن يستغرق وقتًا طويلاً. وواصل الناس استعمال تلك الصناديق، إلى أن بدأت تطفح بقشر الموز، وبذور المانجو وبقايا البرتقال المعصور، ومصاصة قصب السكر، هذا بالإضافة إلى اللفافات الغليظة من الورق، بنى اللون الذى يستعمل فى لف وتحبيش الطرود. ولم يعد الناس بحاجة إلى الذهاب إلى صناديق القمامة. إذ كانوا يلقون فضلاتهم وقمامتهم من مسافة غير بعيدة، فوق كومة الزبالة التى تجمعت حول الصندوق، الأمر الذى كان يؤدى إلى تطاير قدرًا كبيرًا من سوائل القمامة والمخلفات على قمة الصندوق وعلى جوانبه أيضًا. وبالرغم من ذلك كانت ملامح الصندوق ماتزال ظاهرة وسط تلك الكومة الكبيرة من القمامة والنفايات، بالرغم من تعذر قراءة الكلام المكتوب على الصندوق.

بينما كان يمر بجوار صندوق القمامة، وضع السياريدة فى جيب بنطاله الأيمن وأخرج من الجيب بقايا التذاكر المستعملة وألقى بكل مامعة من مخلفات على كومة القمامة تلك. وعند منحنى الطريق توقف ذلك السيار لحظة، وتحول نظره نحو الأسفل كما لو كان يحاول أتخاذ قرار بشأن أمر من الأمور. وعندما هم بعبور الطريق إلى الجانب الآخر منه، كانت عيناه لا تزالان مثبتتان على زفت الطريق فى الأمام، ومشى الرجل ببطئ تام.

وسرعان ما تسلط بصورة مفاجئة الضوء الكبير المنبعث من سيارة مسرعة على ذلك السيَّار وفى تلك الأثناء أوإن شئت فقل: فى تلك الثوانى السريعة بلغت الدهشة من الرجل مبلغًا عجز معه عن الحركة. وبدلاً من التحرك، رفع السيَّار عينيه

بحركة حائرة توحى بانعدام الحول والطول، وتلقى فى عينيه الحائرتين ذلك الضـــوء بقوته المبهرة. وهنا فاجأت السيَّار بقايا الإطار التالف المتناثرة على الطريق ورائحة المطاط المحترق، الأمر الذى أخرج الرجل من نعاسه الطويل وأعاده إلى صـــوابه. وأمام ذلك الرجل توقفت تلك السيارة المسرعة وإطاراتها فى اتجاه الجانب الآمن من الطريق. كانت تلك السيارة واحدة من سيارات الأجرة الجديـدة، وكانـت لا تـزال تتحرك جيئةً وذهابًا بسبب التوقف المفاجئ. أفاق الرجل من خدره وقطع الخطـوات القليلة المتبقية إلى أن وصل إلى جانب الطرق. وشاهد الرجل فى منطقة بعيدة عــن الضوء المبهر الصادر عن السيارة، معالم خيال غير واضح لرأس أحـد الســائقين، وهو يطل من نافذة السيارة. وراح سائق التاكسى على امتداد لحظات مــن الصــمت المطبق الذى لا يصدقه عقل،يطيل النظر إلى ذلك السيَّار، وراح بـلا أدنـــى شـك، يتفحصه من أعلى إلى أسفل مرات عده. ثم بدأ يتكلم بصوت مخيف"أيها الفرد غيــر المختن." تكلم سائق التاكسى كما لو كان كلامه يعبر عن حقائق مبتذلة خاليـة مــن الطرافة. "يا ضعيف العقل. لو كان أجلك قد قرب فأبحث عن شخص غيرى ينتــزع منك حياتك التافهة؛ خطى الرجل خطوة إلى الأمام كيماء يقترب من ســائق الســيارة الأجرة، وقال له معتذرًا: "لم أكن منتبهًا. أرجو أن تقبل اعتذارى."

لكن يبدو أن الاعتذار زاد من غضب سائق التاكسى وقال مقاطعًا رقة كــلام الرجل:" تقول:آسف. فى المرة القادمة حاول تبين الطريق الـذى تســير فيــه.' أدار السائق محرك سيارته مرة أخرى، وعندما بدأت السيارة تتحرك إلى الأمــام انفجــر سائق السيارة الأجرة فى موجه من السب واللعن البذىء، "ملعون فرج أمك المتعفن!".

بدأ صوت السيارة الناعم يتزايد مع تزايد سرعة الســيارة. ومــع اســتغراق المسافة للسيارة الأجرة بدأ صوت السيارة يخفت شيئًا فشيئًا.

ازداد بطء تحرك الرجل عن ذى قبل، وراح يسير بمحــاذاة قنــاة الصــرف المحفورة فى الأرض بطول الطريق. تجاوز الرجل مكتب البريـد الكئيب،وأســرع الخطى رغمًا عنه لأنه يهبط نازلاً من فوق التل الصغير المنحدر الذى يقــع خلـف

مكتب البريد. وعلى امتداد الشارع كانت مصابيح الشارع تلقى أضواءها على صف من المبانى التجارية القديمة، وكان ضوء تلك المصابيح يتشتت بفعل جدران الملاجئ المصنوعة من الصاج المضلع فى المنطقة الواقعة أمام بوابات المحلات والدكاكين، وكان الخفر هم وأفراد الحراسة ينامون تحت هذه الملاجئ.

مر الرجل على كثير من المحلات والأماكن العامة. كما مر أيضًا على منطقة المحلات الفرنسية C.F.A.O . كانت المحلات موجودة هناك بالشكل الذى كانت عليه من قديم ألازل،على حد علم ذلك الرجل هذا واحد من المحلات التى تغير اسمها بعد الإستقلال. هذا المحل موجود من قديم الأزل، وكان ينتمى فى الأيام الخوالى لواحدة من اليونانيين الأثرياء. وكان يعرف باسم آيه. جى. ليفنتوس Leventis . هذا يعنى أن المحل قد تغير بشكل أو بآخر. ومع ذلك فإن القصص التى كانت تروى عن هذا المحل لم تكن من تلك القصص التى تتحدث عن شيء شبابى وملىء بالحيوية؛ هذه القصص كانت من قبيل تلك القصص القديمة التى تروى عن الأيدى التى يجرى ترطيبها وراحات الأيدى التى تتلطخ بالشحوم. هذه القصص كانت تثير الغضب فى الماضى، لم تعد تعرف أين تتجه اعتبارًا من الآن. السبب فى ذلك أن أبناء الأمة أصبحوا هم المسئولين عن كل شيء. كيف حل الجديد محل القديم؟.

كانت كتلة تلة ينسوا Yensua ترتفع فوق الأرض الواقعة خلف منطقة الشركات. فى تلك المنطقة يبدأ شكل تلك التلة فى التضاؤل، الأمر الذى يمكن من رؤية السماء، التى كان الظلام مخيمًا عليها، ولكن ظلمة السماء لم تكن أشد من ظلمة الأرض الموجودة تحت هذه السماء. كان مبنى فندق الهوى والنزوات عديم النفع بلونه الأبيض، وجانبه المسطح متعدد الطوابق،وأضوائه الغامرة يقع على قمه تلك التلة ويتحكم فى تلك التلة، كما يتسود المنظر فى المنطقة الواقعة أسفل ذلك الفندق. فى بعض الأحيان كان ذلك المبنى الضخم يتبدى للرائى وكأنه جرى بناؤه فى ذلك المكان من أجل هدف محدد، مثل جر غضب الناس الذين يعانون ويتكبدون الآلام. لكن لوقدر،فى تلك الأيام أن يكون البعض منهم غاضبًا وجائعًا، فإن أولئك الغاضبين

والحانقين كانوا يتمثلون، على وجه اليقين،فى أولئك الذين كانوا يستشـــعرون وحـــدة الحزانى فى عيد من أعياد المرح والحبور. ربما يكون الهدف من هذا المبنـــى،أو إن شئت فقل: ذلك الشيء أبيض اللون، هوأن يجر على نفسه حب شعب جائع يتطلع إلى مجيء عيد من هذا القبيل. هذا الوميض، فى لحظات الأمانة، كانت له قوة تستطيع أن تحدث فى داخل الناس نوعًا من الغموض المربك المحير. قد يكـــون مـــن الأفضـــل القول: بأن الوميض لم يحدث مطلقًا أى نوع من الجذب. قد يكون من المفيد أن تقول ذلك، ولكن ذلك سيكون أبعد مايكون عن الحقيقة. وبمرور الوقت كان هنـــاك شـــيء مخيف يتبلور ويتشكل مع مرور الوقت. أصبحت المسألة أكثر صعوبة ومشقة فيمـــا يتعلق بمسألة إن كان الوميض يفرِّق أكثر مما يجمِّع، أو يجمِّع أكثر مما يفرِّق، أم أنه كان يفعل الأمرين فى آن واحد مولدًا بذلك شعورًا مرتبكًا ارتباكًا مقززًا طوال تلـــك الأيام.

بعيدًا عن المحل الفرنسى، كانت طاولات الطعام المواجهة للمربـــع الســـكنى، مهجورة، اللهم باستثناء قشر البرتقال بشكله الأبيض من الداخل،وبخاصـــة إن ذلـــك القشر كان يظهر بصورة واضحة أثناء الظلام، إذ كان يبدو للرائى وكأنه نـــوع مـــن أنواع الديدان السمينة حول فتحة الميزاب أمام الطريق؛ كما يستطيع الرائى أن يميـــز أيضًا قشور القمح التى تجمعت مع بعضها على شكل كرات. وقف الرجـــل متشـــككًا عندما وصل إلى البناية الكبيرة المواجهة لطاولات الطعام. هذا هو المربع الســـكنى. هذا هو المربع السكنى الذى شاهدته من قبل وعرفته من قبل.

مازال هذا المبنى يثير الكثير من الدهشة بسبب كبر حجمه. لم يخطر بالبال أن ذلك المبنى يمكن أن يكون جميلاً فى يوم من الأيام، ومع ذلك كان مـــن الواضـــح أن إقامة ذلك المبنى حظيت بقدر كبير من الاهتمام وبخاصة تلك الأحجار المستوية التى استخدمت فى البناء. كل حجر من تلك الاحجار كان يحمل رسمًا لزهرة hibiscus وفيما بين إلتقاء كل حجر بالآخر، كان هناك أخدود واضح فيما بـــين الحجـــرين، الأمر الذى كان يجعل المبنى يبدو لمن ينظر إليه وكأنه مكون من خطوط رأســـية

وأخرى أفقية. ولكن هذا المنظر لم يكن يظهر إلا من زاوية معينة. ومـن النقـاط الأخرى كانت صور جدران المبنى تعطى انطباعًا مختلفًا وأقل إبهارًا. وعلى امتداد سنوات طويلة كان ذلك المبنى يدهن فى فترات غير منتظمة بدهان مـن دهانـات الجدران والسقوف الصفراء الداكنة. وفيما بين الفترات التى كـان المبنـى يـدهن خلالها بذلك الدهان،كانت طبقات الدهان القديم تغطى تمامًا بتراب بنى اللون ناعم كان يهب على تلك الجدران قادمًا من الطريق ؛هذا الغبار الناعم كان مخلوطًا أيضًا مـع غبار الفحم وغبار الزلط الذى يحيط بمنطقة القضبان الحديدية من الداخل ومن الخلف أيضًا.يضاف إلى ذلك أن أركان الجدران فـى المنـاطق التـى يعبر النـاس منهـا كانت.ملطخة دومًا بشحوم القطارات التى تركتها الآن الأيدى التى تعدت علـى تلـك الجدران. كل طبقة من طبقات هذا الغبار وتلك الشحوم كانت تحدث كمـا لوكانـت تراكمًا حتميًا خلال قصه مستمرة لم يعرف أحد بدايتها، ولايشـغل أى انسـان بالـه بنهايتها.كانت الفراغات التى مابين الأحجار ماتزال موجوده، ولكنها كانت تبـدو،فى معظم أجزائها، كما لوكانت ستضيع فى شكل من أشكال انصهار الشـموع. صـور الزهور التى على الأحجار أصبحت تغطيها أيضا قشور الطلاء والدهان، مما جعـل ذلك المبنى فى نهاية الأمر، يولد أنطباعًا بالحزن والكدر.هذا لإنطباع كـان يظهـر أيضًا وبصورة ملحة أثناء النهار، بل إن هذا الإنطباع كان يتعمق أكثر وأكثر بفعـل كآبه الأحرف. والكتابة الاسمنتية التى تقول على واجهة المبنى.

مجمع إدارة السكك الحديديه والموانئ

رقم ١٩٢٧

إختفى الرجل خلال الفتحة الضخمة التى فى مقدمة المبنى وراح يرتقى السـلم الأسمنتى العريض وحاول الاستعانة بالدرابزين، ولكنه سرعان ماسحب يـده إلـى الخلف بطريقة لاشعورية. عندما لمست أطراف أصابع الرجل نتـوءات الـدرابزين أحس بشىء عضوى مقلق وغير مريح. كان هناك مصباح ضعيف يتدلى فوق السلّم

بكامله، وكان ذلك المصباح معلقًا بخيط رفيع غير مرئى. فى هذا الضوء الضعيف كان من الصعب رؤية الدرابزين، وكان المنظر يشبه قطعة طويلة من الجلد المريض. هذا الدرابزين كان مصنوعًا من الخشب، وإلى يومنا هذا كانت تظهر فى الشقوق الناتجة عن الانتفاخات التى طرأت على ذلك الخشب، قطع من الخشب العتيق بنى اللون. كانت هناك بعض التشققات بالرغم من أن القسم الأكبرمن تلك التشققات لم يكن نافذًا إلى الخشب الموجود فى الأسفل.لم تكن تلك التشققات حادة، ولكنها أصبحت متدبرة وناعمة الملمس، وقد بدأت تظهر عليها بعض علامات التحلل. فى بعض المواقع كان الخشب يبدو كما لوكان مدهونًا، ولكن يبدو أن ذلك كان منذ زمن بعيد.كان الورنيش يستخدم فى طلاء الخشب، كانت أنواع الخشب، متباينة وأنواع الطلاء أوالدهان متباينة أيضًا.و يستحيل أن يحصى أى إنسان كمية الورنيش، وعدد الخرق التى شاهدها خشب داربزين السلم.ولكن الواضح أن قدرًا كبيرًا من المواد جرى رشه هنا ليعطى المكان رائحة التراباتنينا التى تمحى ذلك الذى جرى هنا، ومايجرى هنا أيضًا، وكذلك الذى سيحدث فى المستقبل ويستمر إلى ما بعد المستقبل،كان بمثابة نوع من الحرب الدائرة طوال صمت العصور؛ فى أتون هذا الصراع، نجد أن عيون السادة المجانين، وآذانهم الصاغية،هى التى تستطيع الإمساك بأنفاس المناضلين الخادعة.

الخشب الموجودة فى الأسفل هو الذى سيربح فى النهاية.الأمل المشوب بالألم مسأله إلى الإحباط. كان ذلك واضحًا. من الطبيعى أن يتعفن الخشب. صحيح أن الورنيش سوف يصاب بالعفن. ولكن فى النهاية سيكون العفن هو الذى احتبس كل شىء فى أحضانه. لم يكن مطلوبًا من العفن أن يحارب. يكفى فقط أنه موجود وعلى قيد الحياة. فى المسار الطبيعى للأشياء قد يجرى الإهتمام بأنواع الورنيش الجديدة على اختلاف أنواعها،أوالاهتمام بقوة التنظيف الكيماوية التى فى تلك الأنواع، وقد يتحول كل ذلك إلى نوع من الأقذار فى نهاية الأمر، ويحتاج الأمر إلى المزيد من الورنيش فى نهاية الأمر. وبذلك لايكون الخشب وحيدًا.

وإذا مانحينا الخشب جانبًا، بطبيعة الحال، نجد هناك الناس أنفسهم،هناك كثير من الأيدى التى عاونت فى طلاء ذلك الخشب. هذه هى أصابع اليد اليسـرى خـلال الرحلة السريعة، التى يقطعها أصحابها وهم يصعدون إلى الأعلـى عائـدين مـن المرحاض فى الدور الأسفل إلى المكاتب فى الدور العلوى. أماأصابع اليد اليمنى فلا تزال مبللة بنقاط البول، بعد إتمام عمليه التبول، وهذه رائحة العـرق تنبعـث مـن أجسادهم. وهذه راحات أيدى المراسلين والسعاة وقد تلوثت بالمخاط بعـد أن نظفـوا أنوفهم وراحوا يبحثون عن مكان يلقون فيه بذلك المخاط الذى فى قبضة أيديهم.وهذه هى الأيدى فى فترة العصر لم ينظفها أصحابها من بقايا الحساء. هكذا نجد أن الخشب هو الذى سيكسب فى النهاية.

الفصل الثانى

خفوت ضوء الصباح جعل كل الألوان داخل المكتب تبدو غريبة. هـذه هـى النوافذ الموجودة على الجهة اليمنى وعلى الجهة اليسرى اكتسبت لونًا أصفرًا فاقعًا يشبه الزيت، أدى إلى إخفاء اللون الحقيقى لهذه النوافذ. وفى الوسط، حيث توجد الطاولة التى يجلس إليها كتبة الصباح، نرى أن الكراسى كلها جرى وضعها على شكل صفين طويلين، وقد أميلت تلك الكراسى إلى الأمام ناحية حافة الطاولة.

عندما مر الرجل بجوار الطاولة تمسحت يده فى ظهر كرسى من الكراسى، ثم انزلقت إلى أن وصلت إلى نهاية ظهر الكرسى. كانت على الكرسى بقع، كان لها ملمس مماثل لملمس درابزين السلم، وبحركة لاإرادية وجد ذلك الرجل نفسه يحك الإصبع الذى لامس الكرسى، كما لوكان يتوقع وجود قطعة رطبة من الكرسى أو الدرابزين وقد علقت بإصبعه.

كان الضوء ينبعث من أرضية المكتب خافتًا وضعيفًا وكئيبًا، مثل كرة توقف ارتدادها توقفًا تامًا. وفيما بين الألواح الخشبية تجمعت الأقذار والورنيش على نحو كانت تبدو معه، خلال هذه العتمة والكآبة، أفتح قليلا من لون الألواح الخشبية نفسها. وفى بعض المناطق القليلة كانت تلك الأقذار تتجمع على شكل حواف، تسبب انزلاق الأقدام انزلاقًا خفيفًا.

فى مكتب السيطرة والتحكم كان موظف الوردية الليلية لايزال جالسًا فى مقعده، بعد أن غالبه النوم. كان رأسه متكئًا تمامًا على ذراعة الأيمن، الذى حاول أن يجعل منه مخدة مريحة. كانت الذراع اليمنى قد انزلقت إلى جانب من الأجناب، الأمر الذى جعل رأس كاتب الوردية يلامس أعلى الطاولة فى المساحة التى ابتعدت عنها الذراع. كانت الذراع اليسرى تتدلى، وتتأرجح بين الحين والآخر بشكل غير ملحوظ، بفعل الكرسى المخلع الذى يجلس عليه كاتب الوردية.

مشى الرجل فى سكون وبلاجلبة أوضوضاء فى اتجاه الكاتب النـــائم ولمســـه لمسة حانية. لم تحدث استجابة فورية، ولكن الرجل واصل الضغط برفق على كتــف الكاتب، واستمر فى ذلك الضغط اللطيف إلى أن استيقظ النائم. اســتيقظ النـــائم وقـــد تملكته نوبة قصيرة وقوية من الفزع. وعندما أفاق النائم من ثباته تغيرت رقة وجهـــه وبدا عليه التوتر، أصبح وجهه مثل وجه شخص عقد العزم على فعل شىء مؤلم تمامًا ولكنه ضرورى أيضًا.وإعوج وجهه لعدم سيطرته على نفسه.

نظر الرجل نظرة فاحصة إلى النائم الذى استيقظ توًّا من نومه ثم ابتسم. أثارت الابتسامة طمأنينة الكاتب، واختفى الفزع والرعب من وجهه.

قال: 'آه،يا أبو البلديات،أناأتعب وأكدُّ.' وبينما كان يتكلم مرر إصـــبعيه علـــى خديه وعلى فمه بحركة بطيئة توحى بالاستغراق فى التفكير .

تساءل الرجل:' أكان العمل كثيرًا فى الليلة الماضية؟

قال الآخر:'لا' يا أبو البلديات، لم تكن كثرة العمل . ولكن الإنســـان عنـــدما يكون وحده أوبمفرده هنا طوال الليل...'

قال الرجل وهو يهز رأسه أيضًا :'أنا أعرف ذلك؛

قال كاتب الوردية، مواصلاً حديثه، كما لوكان لم يســـمع شـــيئًا:'أوه، أنـــت لاتعرف يا أبو البلديات.أنت لاتعرف كم كانت ليلة الأمس سيئة عندى.'

'ما الذى حدث؟'

بقى كاتب الورديه بلا رد أو أجابة فترة طويلة، راح يحملق خلالها فى الرجل، كما لو أن شيئًا فيه قد أثار عنده الكثير من الشك والريبة. بعد ذلك، وبطريقة مفاجئـــة أدهشت المستمع قال:'لاشىء .لاشىء، يا أبو البلديات، لاشىء. ولكننى كنت أجلـــس هنا وحدى ،وكنت أتمنى أن يأتينى أحد من الناس،ومضى الليـــل بطولـــه، دون أن يجىء أحد. كنت أنا بمفردى وحيدًا.'

كان ذلك من حقائق وردية الليل. هذا يصدق أيضًا على الليالى الطويلة؛ حيث تمر ساعات طوال لايتخللها سوى أصوات قطارات البضائع، وحيدة وخالية. فى بعض الليالى لم تكن تلك الليالى مقصورة على ليالى السبت، وإنما على بعض ليالى الأيام الأخرى غير يوم السبت– كانت تلك الوحدة تزداد مرارة بفعل قرع طبول الفرق الموسيقيه التى تتناهى من بعد إلى المسامع قادمة من التلال، وتخلق السعادة لأولئك الذين يستطيعون توفير النقود طوال أيام الشهر، أولئك الذين يقدرون على دفع النقود والحصول على المقابل ، هؤلاء هم رواد أتلانتك Atlantic كابريس Caprice. هذه الوحدة كان يقطعها فى بعض الأحيان ذلك الصوت المفاجئ الصادر عن آلة تنبيه سيارة من السيارات، والذى سرعان مايختفى إلى الأبد، كل صوت من الأصوات كان يختفى فى مكان ماعلى بعد مسافة كبيرة منى. ومن خلف كل هذه الصرخات والصيحات الفردية، هناك الليل نفسه، ذلك الصوت الطويل الذى لاينتهى داخل الأذن، ويكون شديد الارتفاع أوشديد الانخفاض، بحيث يقلق المستمع الذى يصيخ له السمع. يلى ذلك أن دقدقة آله المورسى Morse (التلغراف) كانت تكسر بين الحين والآخر، رتابة زمن هذه الوحدة المخيفة.

قال كاتب الوردية :' وددت ذات مرة أن أنهض واقفًا وأخرج من المكتب. كان ذلك حوإلى الساعة الثانية صباحًا؛

' إلى أين ذهبت؟'

'أنا لم أذهب إلى أى مكان – عندما فكرت فى الأمر تساءلت ،إلى أين يمكن أن أذهب؟'

قال الرجل وهو يضحك ضحكة خفيفة :' إلى المنزل.'

قال كاتب الوردية وهو يحدث صوتًا يشبه صوت ورقة جافة تتمزق: "إلى المنزل؟" هل كان كاتب الوردية يريد لما قاله أن يكون إجابة ضاحكة؟'فكرت فى المنزل.'اختفى البريق من عينى كاتب الوردية، ويبدو أن حدقتا عينيه بدأتا

تتراجعان إلى الداخل، لتزداد عيناه إسودادًا على إسودادهما. توقف كاتب الوردية قليلاً، عاجزًا عن اتخاذ أى قرار فى أى شىء ، ثم أردف قائلاً:'أنا أفضل البقاء هنا عندما تدور بخلدى فكرة البيت.

ضحك الرجل ضحكةً ناعمةً وسمح لصمته بابتلاع الكلام. قال الرجل فى نهاية الأمر:' على أى حال، هل سار كل شىء على مايرام؟'

قال الكاتب:'لا' لأن تليفون التحكم فى بلدة كوجوكروم Kojokrom تعطل ولم يعد يعمل.'

'هذا أمر معتاد.'

'حقًا،إنه أمر عادى تمامًا.'

'وماذا عن التليفونات الأخرى؟'

'خطأ، خطأ ما فى الغالبية العظمى من الخطوط.' وأردف كاتب وردية الليل يقول:" ولكنه كان يتعطل بين الحين والآخر.والشىء نفسه حدث مع تليفون بلدة إسوازو Esuaso أيضًا.'

تنهد الرجل.'هذه الأشياء القديمة تتعطل دومًا.'

قال كاتب الوردية الليلية:'بوسعك استعمال جهاز المورس. وهذا الجهاز لايتعطل.'

قال الرجل:'أنا لم أنته بعد من تدوين وتسجيل كل شىء. وسوف أقوم بعمل ذلك الآن.'

عاد الكاتب إلى طاولته مرة أخرى، وتناول قلمًا كان مدسوسًا بين الصفحات الوسطى من السجل السميك وبدأ يدون ويكتب.

نظر الرجل إلى لوحة التحكم الموجودة أعلى القمطر الكبير.لم تكن الخطـوط المبينة على اللوحة كثيرة العدد، ولم يكن من بين هـذه الخطـوط سـوى خطـين أحمرين. هما لقطارات الركاب. كان أحد هـذين الخطـين يتجـه مـن محطـة كانساوورKansaworal ، عند أسفل اللوحة، ناحيـة كاماسـىKamasi، فـى

الأعلى،ولايتوقف طوال هذه المسافة إلا فى محطتين فقـط. وكـان الخـط الأحمر الثانى ينزل نحو الأسفل، قاطعًا محطات الخط الأول نفسها، ولايتوقـف إلا فى عدد قليل من المحطات.هذان القطاران كانا من القطارات السريعة.

كانت بقية القطارات من قطارات البضائع والقطـارات التـى تنقـل خـام المنجنيز. كان كاتب الوردية الليلية قد فضل تعلـيم قطـارات البضـائع بـاللون الأخضر، وليس باللون الرصاصى، وقد أدى ذلك إلى وضوح اللوحة ويشعر بجمالها من ينظر إليها.كانت قطارات البضائع هى وقطارات المنجنيز تضطر إلى التوقـف فترات طويلة حتى تمكن القطارات الأخرى من المرور. فى بعض الأمـاكن كـان يجرى تخزين تلك القطارات حتى تتمكن القطارات السريعة الأخرى مـن المـرور، وفى بعض الأماكن الأخرى كانت تلك القطارات تتوقف بلا أى سبب.

استغرق كاتب الورديه الليلية وقتًا طويلاً فى تعبئة خانات السجل.وبعد الانتهاء من عمله،أغلق السجل ونهض واقفًا، متبعدًا عن الكرسى الرئيسى.

بعد أن أدى كاتب وردية الليل التحية وانصرف خارجًا من المكتـب، قصـد الرجل إلى الكرسى الرئيسى الموضوع أمام اللوحة. ثم أخـرج مـن درج الطاولـة الموجود على يساره حفنة من الأقلام، ثم اتجه بعد ذلك إلى مبراة الأقلام المثبتة فـى جانب الطاولة الأيمن. وبعد أن أدخل قلمًا فى المبـراة وأدار اليـد، دارت المبـراة دورات مسرعة وسائبة توحى بعدم اتصال شىء بشىء آخر.توقـف الرجـل عـن المحاولة، ثم عاد بعد ذلك إلى الطاولة، حيث المقعد الذى كان يجلس فيه.راح الرجل

يفتش داخل الدرج، وعثر على موسى قديم. وراح الرجل يبرى الأقلام، فى الوقت الذى راح يقرأ فيه ماسبق أن دونه كاتب الوردية الليلية، وذلك من قبيل المراجعة.

نسي كاتب وردية الليل تدوين تاريخ اليوم، ولكن كل شيء غير التاريخ كان مدونًا تدوينًا جيدًا وبخط جميل:

الوردية، من ١٠ مساءً إلى ٦ صباحًا

تليفونات السيطرة: معطلة فى كل من كوجوكروم kojokrom

بنسو Benso

إسوازو Esuaso

الناقل معطل.

المحطات الأخرى بحالة جيدة،

المنجنيز:

أربعة قطارات هذه الليلة

غدًا لن تكون هناك قطارات للمنجنيز.

قطارات البضائع الملغاة

القطارات رقم ٣٩ ج القوى معطلة

القطار رقم ٢٩ ج خالى من الحراسة (بسبب وقوع حادث على الطريق)

الرحلات المحدده:

تغادر عربة القضبان محطة كانساورا Kansawra غدًا متجهة إلى إسوازو، راكب العربة، هو مهندس القطاع. تغادر الساعة الثامنة صباحاً. الحوادث: حادث واحد من الفئة ب، فيما بين بنسو واسوازو

أكونو Ackonu جى. كى

كاتب الوردية الليلية

أضاف الرجل توقيعه بجانب توقيع كاتب وردية الليل ثم فتح السجل بعد ذلك على صفحة جديدة.

عند هذا الحد انفتح الباب ودخل الساعى الأول وهو يبتسم.

قال الساعى متهللاً:' مرحبًا، بك أيها المراقب.'

'مرحبًا بك أنت أيضًا'

دق جرس تليفون المراقبة، وهنا تكلم الرجل فى سماعة التليفـون قـائلاً:' المراقبة، كانساورا Kansawora.'

قال الصوت على الطرف الآخرمن الخط:'آه، أنت موجود.إذن أنت آنجـو Angu ناظر المحطة.'

'نعم.'

'ياآنجو القطار رقم ١٥ ج وصل عند الساعة السادسة ودقيقتـين صـباحًا. وتحرك حسب ماهو

مدون فى السجل عند الساعة السادسة وإحدى عشرة دقيقة.

أرخى الرجل السماعة وقال: 'عظيم.'

وصل الساعى إلى مكتب المراقبة. وكان مايزال مبتسمًا.

قال له الرجل:'يبدو أنك سعيد؛

واصل الساعى ابتسامة، كما لوكان فتاة صغيرة تعترف بحبها.

قال الرجل:' كسبت شيئًا من اليانصيب.'

تردد الساعى قبل أن يرد ثم قال: وكسبت مائة سيدى Cedis .'

ضحك الرجل 'ولكن ذلك ليس مبلغًا كبيرًا.'

قال الساعى:'أنا أعرف ذلك. ولكن عددًا كبيرًا من الناس سيتجمعون حولى لمساعدتى على إنفاق هذا المبلغ.'

'على كل حال، إنهم يهلون جميعًا.'

'لا.لن يعرف أحد بذلك.'

'هل استعملت اسمًا مستعارًا؟'

ابتسم وقال:'ساعدنى وأعنّى يا الله.'

قال الرجل:'آمل أن تقضى وقتًا لطيفًا.'

قطّب الساعى جبينه.'أنا سعيد، ولكنى خائف.'

ابتسم الرجل وتساءل:'هل أنت فتشى؟'

قال الساعى:'لا، أنا لست فتشيًا. ولكنك تعرف غانا Ghana

حق المعرفة.'

'هل انت خائف من أنك لن تستطيع الحصول على النقود؟'

'أنا أعرف أناسًا كسبوا أكثر من خمسمائة سيدى Cedis فى العام الماضى. ولم يحصلوا على ماكسبوه إلى يومنا هذا.'

'هل راجع أولئك الناس مراكز الشرطة؟'

'يراجعونها فى ماذا؟'

'كى تساعدهم فى الحصول على النقود التى كسبوها.'

قال الساعى: 'أنت تهزر. الأمر سوف يكلفك المزيد من النقود إذا ماراجعت الشرطة. وهذا هو كل مافى الأمر؛

تساءل الرجل: ' إذن، ماذا ستفعل؟'

'آمل أن يأخذ مسئول من المسئولين فى مقر اليانصيب، مبلغًا من المئة "سيدى"، على سبيل الرشوة، ثم يسمح لى بعد ذلك بالحصول على الباقى.'

ماتت ابتسامة الساعى على شفتيه.

ابتسم الرجل وقال: 'سوف تفسد موظفًا عامًا.'

قال الساعى وهو يوشك على الانصراف: 'هذه هى غانا وهذا هو حالها.' وهنا بدأت آله المورس

تعود إلى الحياة مرة ثانية.

'محطه كوجوكورم Kojokorm .'

'هنا محطة كانساورا Kansawora '

'أعلمنى. متى يصل القطار سى اتش C.H؟'

' القطار يغادر كانساورا عدد الساعة الثامنة صباحا.'

'أشكرك.'

'عفوًا.'

بعد الساعة الثامنة بدأ المكتب يمتلئ بالناس على وجه السرعة،وذلك بمجىء كتبة الفترة الصباحية، بنكاتهم البسيطة وكلامهم عن أيام قبض الأجور، وعن أسابيع العواطف والانفعالات . ثم أنهى العمل اليومى هذا الكلام كله، بل إن أولئك الذين كانت لديهم أعمال بسيطة إلتزموا الصمت وتوقفوا عن العمل نظرًا لأن ارتفاع درجة الحرارة كان أمرًا مقلقًا بحد ذاته.

الفصل الثالث

بعد الساعة الحادية عشرة يبدأ أولئك الذين فى داخل المحطة التيقن من طلوع الشمس تمامًا، ووصولها إلى ارتفاع كبير. هذه هى المروحة التى علاها الصدأ بدأت تشتغل، ولكنها كانت تدور ببطئ شديد إلى حد أن الضوضاء الصادرة عنها كانت أكثر من الهواء الذى تحركه، الأمر الذى جعل مركز مراقبة حركة المرور متعبًا وغير مريح بشكل كبير. لم يكن السبب الوحيد فى ذلك هو الحرارة أو رطوبة المبنى من الداخل ولم يكن سبب ذلك أيضًا هو الأصوات عديمة النفع الصادرة عن المروحة والتى كانت تختلط أيضا بالصوت الصادر عن آلة المورس Morse الصغيرة. اختلاط كل هذه الأشياء بعضها ببعض هو الذى أدى إلى هذا الارتباك،الذى كان يستحيل إيقافه أوحتى الاحتجاج عليه. كانت الرطوبة داخل المكتب ناتجة، إلى حد ما، عن البحر الذى لم يكن يبعد سوى مسافة صغيرة عن المكتب. فى بعض الأحيان، كان من السهولة بمكان تذوق طعم الملح الذى كان يساعد على تآكل الجدران هى والدهان الموضوع فوقها، إذا ماوضع الإنسان يده أوأصابعه على تلك الجدران ثم راح يمصها بعد ذلك. كانت الرطوبة ناتجة أيضًا عن الناس، عن أولئك الذين يعملون فى المكتب. كل واحد من أولئك العاملين كان يتعرق تعرقًا شديدًا، لابفعل الجهد الذى يبذلونه فى أعمالهم، وإنما بفعل نوع معين من الصراع الداخلى الذى يعتمل دوما داخل هؤلاء العاملين. وعليه فإن الملح والعرق سويًا ومعهما مروحة السقف هم الذين أوجدوا هذا الجو الذى يعيش فيه ويعمل فيه أولئك النائمين التعبانين عندما يجيئون للعمل ثم يعودون صامتين إلى تلك البيوت التى سبق لهم أن فروا منها. لم يكن هناك أى شك فى أن الحال كان على هذا المنوال فى بيوت هؤلاء العاملين، فى كل الأنحاء، اللهم باستثناء أولئك الذين أنسوا فى أنفسهم صلابة الصعود إلى الأعلى. ولكنه لم يكن واحدًا من هؤلاء.

عند الساعة الثانية عشر والنصف خلت الخطـوط، كالعـادة، تمامًـا مـن القطارات. اللهم باستثناء بعض قطارات البضاعة، التى سوف تمـر علـى تلـك الخطوط. والقضبان وليس هناك أى احتمال لاصطدامها بقطارات أخرى. وهذا هو الوقت الذى يبدأ العاملون فيه فى إرسال وتبادل النكات، من خلال جهاز المورس، مع بعضهم البعض، وخاصة عمال السكة الحديد الذين انتقلوا إلى جهة قليلة الحركة يستطيعون الإثراء فيها عن طريق تربية الماشية وعن طريق زراعة المحاصـيل. وتستمر فترة *الهدوء والسكون هذه إلى الساعة الواحدة وخمسين دقيقة، وهو الموعد* المحدد لمرور قطار تاركوا Tarkwa الذى ينقل الذهب وقطار أبو سـو Aboso الذى ينقل المنجنيز إلى السفن اليونانية الراسية فى الميناء تنتظر وصـول هـذين القطارين، وبعدها يسود الهدوء.

أرسل الرجل برقية إلى كل أولئك الموجودين فى مكتب محطة إهسو Ihsu فى ذلك الوقت،' الوردية إلى الساعة الثانية.'

جاءه فى البداية رد ودى. فى البداية كان ذلك الرد المقتضب بلا معنى، كان مجرد إيقاع موسيقى ليس إلا. وعندما تحدد ذلك الرد بعد ذلك قال:' نعـم، الثانيـة موعد تناول الغداء.'

ودون أن يفكر فيما يقوله أبرق الرجل يقول:' لايوجد طعام.'

ردت عليه محطة إنسو Insu ،' الطعام هنا وفير'

وهنا بدأت المحادثة

'أنت حظيظ.'

'تعال. انتقل. هذا أمرسهل.'

'أنالا أستطيع ذلك.'

'لماذا؟'

'هذا سر.'

'هل السبب هو الأسرة؟'

'هذا سر.'

تكرر النقر قادمًا أيضًا هذه المرة من محطة إنسو Insu ولكنه لم يكن عديم التوقير، ولم يكن مفرحًا أوحتى موسيقيًا، وإنما كان عبارة عن نوع من الإشارات الرقيقة التى توحى بالتعاطف، كما لوكان الطرف الآخر يقول أنه لم يعرف ولكنه بوسعه أن يفهم .ورد الرجل بنقرات قصيرة، ثم نظر إلى ماكتبه المورس بفكر متأمل كيف أن الناس، يصلون، فى بعض الأحيان، إلى مرحلة يكشفون فيها للآخرين عن أوجاعهم ومتاعبهم، ثم نادى الرجل بعد ذلك على الرجل الذى يعمل على الماكينة الموجودة على اليسار.' وصلك الرد.'

جاء الرد، كالعادة، ردًا آليًا،'كل شىء على مايرام.'

تحرك الرجل ببطئ نازلاً السلم، وتجاوز الدرابزين والمصباح المتدلى أسفل بيوت العنكبوت. عند الأسفل، وبعد أن وصل الرجل إلى المدخل، إتجه إلى الشارع الذى غطاه ضوء الشمس،المشوب بالغبار الذى يثور مع موجات الحرارة. كان الرجل يتصرف بحكم إعتياده على ذلك ، وليس بدافع من أى شىء آخر، وقبل أن يقترب ذلك الرجل من المكان الذى يمكن أن تصل إلى أذنيه فيه طلائع ضوضاء البائعين والمشترين للطعام ، استدار الرجل ناحية اليسار ثم سار على الجانب الأيمن من الطريق، وواصل مسيره فى إتجاه الميناء.

فى مثل هذا الوقت، وعندما يقطع الشهر مسافة طويلة، ويصبح المتبقى من أسبوع العواطف هو مجرد الأثمال، يصبح موعد تناول الغذاءغير منعش للنفس. اللهم، إلا إذا اختار الإنسان، بطبيعة الحال، الانضمام إلى الأعداد المتزايدة التى قررت أنها بلغت من اليأس حدًا جعلهم يحسون أنهم لم يعد لديهم مايخشون منه أويخافونه فى هذه الحياة. هؤلاء هم الذين وقفوا فى النهاية، بل وقفوا فى وقت

مبكر، وقت مبكر تمام على شيء في حياواتهم الخاصة، وفي حياوات المحيطين بهم، أقنعهم بعدم جدوى جهود تكسير دائرة الدين الشهري الوضيعة التي تتقلب بين الدين والإقتراض، ثم الإقتراض والدين لم يكن هناك أي شيي سوى حتمية الحفر والنزول إلى أعماق أبعد داخل تلك الحفر والثقوب التي لايمكن أن يكون فيها أي نوع من أنواع الحياة. وربما وجد الأموات الأحياء عزاء في الفكرة التي مفادها أن هناك كثيرا من الأموات الآخرين في الحياة ينضمون إليهم. هؤلاء كثيرون جدًا، كثيرون بصورة تدعو للدهشة والاستغراب، إلى حد أن الجهود التي يبذلها الإنسان في الإنضمام إليهم أسفرت عن نوع جديد ومحبط من أنواع الموت الحي.

بينما كان ذلك الرجل يتفكر تلك الجولة الطويلة التي تجعل الإنسان ينكمش إلى شيء تافة المعنى أيضًا مثل النمل قصير العمر في فصل الشتاء، راح يتتبع القضبان الحديدية الصلبة وهي تمتد منحنية وخارجة من داخل فناء القاطرات، لتمتد ناحية المناطق الداخلية من البلاد. على الفرشة الزلطية الموجودة ـفل المعدن، يوجد خليط من الرماد المتساقط وقبضات ضالة من الفحم الذي يستخدم في تشغيل الماكينة، فضلاً عن الشحم المحروق؛ هذا الخليط أثار في منطقة ما من حلق الرجل رائحة نفاذة شديدة الحرارة تبعث على اليأس والهزيمة وصادرة من مطبخ يستخدم استخداما جيدًا، والجو العام لهذه الرائحه مكون من ألسنة من الدخان المهين الذي كان ينبعث على امتداد أيام طويله. في الأمام، كانت القضبان الحديدية، تمتد مستقيمة على خطين لامعين، وكان الهواء من فوق هذه القضبان الصلبة يهتز ومعه قوة الشمس إلى أن تبدو الأشياء، في فترة العصر، كما لوكانت سائلاً لامعًا في الهواء، بعد أن تختفي عنها صلابتها. هذه المرارة التي راحت تتجمع في حلق هذا الرجل بدأت تضيع من حلقه شيئًا فشيئًا دون إدراك منه لذلك، إلى أن أصبح كل مايعيه هو تلك الرؤية شديدة الوضوح والمذاق الخاص الذي يصاحب التحدي الصادر عن الجوع. لم تكن مسألة مراقبته لمزارع مهاجري الشمال المحروثة، أمرًا يثير الألم في النفس. لم يكن الأمر يتطلب من الرجل سوى جهد

يسير، يسيرجدًا، كى يحافظ على خطاه وهو يمشى بجوار شريط السكه الحديد.فى الحفره التى تمتد محاذية للقضيب الأيسر، كانت تتجمع كمية كبيرة من الأقذار والمخلفات فى بعض الأماكن، بالرغم من فلاح بعض الماء فى التسرب ومواصلة السير فى تلك الحفرة. لم يعد هناك مايحزن هذا الرجل الآن، بل إن إحساسه بالجوع بدأ يختفى عندما بدأ يطالع ذلك المنظر الجديد.

فى الأمام كانت قضبان السكة الحديد تمر فوق حافة مرتفعة من الخرسانة والأسمنت ومن تحتها تربة من الطين . عبر الرجل ذلك الجسر، ثم استدار فى النهاية ليجلس فوق الجانب الأسمنتى الموجود فى الجهة اليمنى. يبدو أن الجسر نفسه بنى بناءً متينًا، أما الرصيف نفسه فلربما لم يكن بنفس المتانة. وحينما كان الرجل يجلس على الجانب الأيمن انفصلت كتلة ثقيلة من الأسمنت وهوت إلى المجرى المائى الموجود تحت الجسر ثم تدحرجت خارجه من تحت الجسر مشكلة سدًا. ومن خلف تلك الكتلة التى شكلت ذلك السد، تجمعت كل الأقذار، إلى حد أن الماء الذى كان يتسرب من خلال الفجوة الناتجة عن السد الصغير والجانب البعيد للحفرة، كان يبدو نظيفًا على نحو لاعلاقة له بالمصدر الذى كان ينبعث منه هذا الماء. ومن الارتفاع القليل لذلك السد كان الماء يصطدم بقاع الحفرة على نحو أدى إلى تآكل التربة الطرية إلى أن ظهرت الأرض الصلبة، التى كانت عبارة عن قاع من الرمل المختلط بالحصى، ومن فوقه ماء صاف ورائق. كم دام هذا الصفاء؟ وعلى بعد مسافة كبيرة، فى إتجاه مصب ذلك المجرى الصغير وفى اتجاه البحر، شاهد ذلك الرجل الماء مختلطا بالطين عند البداية. سحب الرجل نظرة مكتفيًا بصفاء الجاذبيه الهادئة، التى لاتشبه الضوضاءالتى ثارت بداخله بفعل هذا الوميض. والذى لاشك فيه أن هناك شيئًا ماقريب من هذا الومض، قريب من هذا الصفاء، أو إن شئت فقل: هذا التخلص من الأقذار. بصورة أو بأخرى، كان هناك نوع من النقاء والسلام، شىء لم يفلح الومض فى الإتيان به.

ومن اتجاه حوش أو فناء القاطرات كانت تتبعث صافرة قاطرة بخارية قديمة كانت تسير على القضبان ثم اختفت ببطنها المزعج داخلة فى مسافة بعيدة تقع إلى الخلف منه. صوت القاطرة جلب على ذلك الرجل مذاقًا غريبًا لنوع من الأسف والندم تزايد عنده إلى الحد الذى جعله يطرح على نفسه أسئلة لم تكن جديدة عليه، ولكنه كان عاجزًا عن الوصول إلى إجابات عن هذه الأسئلة، هذه الأسئله كانت تتمركز حول شيء عديم القيمة. لماذا يكون من الضرورى، وجود توصيله فيما بين هنا وهناك؟ ما السبب فى أن مجرد صافرة القاطرة التى على وشك الأختفاء داخل أعماق الغابة، لابد أن تتبعثر وتنتشر فى الهواء ومعها شيء من الإحساس بالأسف والندم الأزلى؟ أضاف الرجل إلى وضوح رؤيته حزنًا شديدًا عندما نهض واقفًا استعدادًا للعودة.ازداد الجفاف فى فتحتى أنف الرجل، وخلى فمه أيضًا من أى نوع من الترطيب، كما خلت عيناه أيضًا من أى نوع من الرطوبة. تفكير الرجل فى الطعام جلب معه صورة تناول الطعام، وصورة تقيؤه، وصورة أيضًا لبدايات الطعام ونهاياته، الأمر الذى وفر على ذلك الرجل مشقة التحكم فى الرغبات التى تتملكه. نظر الرجل على الطريق الذى قطعه وسيعود منه مرة ثانية، وراح يتفحص كل الأشياء التى سبق أن رآها فى طريقه، بنفس الرؤيةالسابقة، وواصل سيره من جديد فى الطريق المترب، وتجاوز مجموعات العمال، الذين تركوا أعمالهم فى فترة استراحه مابعد الظهر (العصر)، ولم يداهمه الظلام إلابعد أن دخل مبنى المكتب وبدأ يرتقى السلم داخلاً إلى مكتب المراقبة.

مع صعود الأفكار التى ربما كانت تثير عنده اليأس فى أيام أخرى. هذا الرجل الكبير يغلى الآن من داخله، وطالما بدأ عمله، فإنه يتعين عليه بذل أقصى جهد ثم يرتاح أو يسترخى بعد ذلك، طالما أن ذلك أمرًا ممكنًا. وعليه، فهو عندما فتح الباب، ودخل مكتب المراقبة لم يذهب مباشرة إلى المكان المخصص له على الطاولة (المنضدة) التى علقت أمامها الكروكيات الخطية، وبدلا من أن يقصد الرجل إلى الطاولة، إتجه إلى نهايه المكتب ووقف منتظرًا أمام الطاولة فى الوقت

الذى استطاع فيه الرجل الصغير الواقف خلف الطاولة قراءة اللوحـــة، ثـــم أعـــاد قراءتها وهو مقطب الجبين، عابس الوجه. وعندما وجد ذلك الرجـــل الصـــغير أن لاطائل من وراء تبرمه هذا، حوّل نظرة ناجية ذلك الرجـــل الـــذى كـــان يطيـــل الإنتظار. كانت فتحتا أنف ذلك الرجل تتحركان، كل بضع ثوان، من الجانب إلـــى ذاك مما أضفى شيئا من الهزل على المحاولات التى كان يبذلها إثباتـــا لأهميتـــه، وبذلك أصبح شأن هذا الرجل شأن ذلك الرجل الغانى Ghanaian الذى يحـــاول التحدث مثل رجل إنجليزى، وعندها يصبح مثل هذا الرجل منفرًا ومسيئًا إلى مـــن يتعاملون معه.

' هل أنا مدين لك بشىء من النقود؟' كان الرجل يحس فى داخله بفرح كبير ورضا عن نفسه بعد حديث رائع، وراح يهز أنفه.

'الوقت يمضى' ترى ماهذا الذى يحيرنى ويضايقنى؟

'هل تعنى إيصالات الوقت الإضافى؟" كان الأمر يبدو وكأنه يعنى أنواعًـــا أخرى من الإيصالات. هذا التوتر اللهجى ينتج عنه إزدواج فى المعنى؛ وبعد ذلـــك يبدو على وجه الرجل تعبير ينم عن الاسترخاء.

'نعم' أعنى إيصالات الأجر الإضافى.'

هنا بدأ الرجل صغير الجسم يتصنع ابتسامة تدل على الحميميـــة والألفـــة. وفتح درجًا فى الناحية اليمنى ليخرج ذلك الرجل دفتـــرًا يحتـــوى علـــى كعـــوب الإيصالات.يتساءل الرجل،'هل هى نكتة؟' هنا بدأ الرجل يعرب عن شكره وتقديره إلى حد أنه بدأ يتكلم بلهجة تنم عن الاسترخاء، وأنه عاد إلى وضعه الطبيعى، ومع ذلك لم يرد بكلمة واحدة . وبينما كان الرجل يملأ الإيصالات ويوقع عليهـــا قـــال الرجل الصغير من تلقاء نفسه:' ياله من خنزير نقود!'وهنا لم يرد عليـــه الرجـــل. وهنا ينسحب ذلك الرجل الصغير ويعود منتحلاً وضـــعه الرســـمى.' نـــراك فـــى التاسعة.'

'سوف أجيء في السابعة.'

يلقي الرجل الصغير نظـرة علـى الإيصـال فيهـا شـيء مـن الإثـارة ويقول: 'ياأنت. نراك في السابعة صباحًا، لقد فهمت ماتقول.'

راح الرجل يلاحظ ذلك الرجل صغير الجسم وهـو يضـع الإيصـال مـع الإيصالات الأخرى، ثم مشى بعد ذلك عائدًا إلى مقعـده الموجـود أمـام طاولـة المراقبة الطويلة. لم يكن مطلوبًا من الرجل الموجود على يسار هـذا الرجـل أن يقول أي شيء أو إن ينبس بكلمة واحدة. ولم يحدث بعد ذلك أي شيء.

جلس الرجل على كرسيه أمام الخارطة الكبيرة بكل خطوطها وكل الأسماء التي عليها، وبخاصةً أسماء محطات القطارات البطيئة الموجودة على امتداد تلـك الخطوط الحديدية. لم يحدث أي شيء حتى الآن. ومن المتوقع ألايحـدث شـيء . كانت حركة القطارات في المساء تسير على الوتيرة المعتادة،أي أنها كانت حركـة شديدة البطئ ومتباعدة التوقيتات. ربما يجئ من محطة جانبيه بالقرب من منجم من المناجم قطار يجر عربات مفتوحة مشروخة العوارض وممسوكة إلـى بعضـها ببعض الألواح ومسامير البرشام، ويمر من فوق القضبان إلى محطـة مهجـورة، أوإن شئت فقل: إلى مكان مهجور، ليبقى في ذلك المكان ليعود بعدها مـن جديـد لاستئناف رحلته في إتجاه البحر. وبعد برهة من الوقـت بـدأ الرجـل يستشـعر الضوضاء الناتجة عن المروحة التي في المكتب . كان جهـاز المـورسMorse ينقر نقرات طويلة تثير الكثير من شكوك وأفكار الناس الموجودين علـى الطـرف الآخر من الخط التلغرافي. وقد يكون الشريط يحمل أيضًـا الضوضـاءِ الشـهيرة لأناس يستعدون للموت. وإن هي إلا برهة قصيرة، وعندما أصبح مـن الصـعب تجاهل نقرات جهازالمورس، قام الرجل بالنقر على جهاز المورس برقية مفادهـا 'يرجى الصمت والسكوت.'

جاء الرد سريعًا من خلال جهاز المورس وفيه شيء من التحدى. لقد اشتط المجنون الموجود على الطرف الأخر من الخط، غضبًا وغيظًا ثم تلت ذلك نقرة أخرى.ثم فترة صمت قصيرة. ثم يتساءل الرجل من خلال جهاز المورسى، 'من تكون أنت؟'

جاء بعد ذلك، رد طويل وبلا معنى. ولكن ذلك الرد كان يحمل التوقيع 'أبواسى' Obuasi .

هذا الذى ورد يعد شيئًا ما فى أضعف الأحوال ويستحق الرد

أمسك الرجل بمقبض آلة المورس بمهارة ورد قائلا: 'مرحبًا'

وبسرعة مدهشة جاءه الرد، ولكنه جاء مترابطًا ومتماسكًا هذه المرة . 'ويمكن فك شفرته ومعرفه معناه بسهولة.'لماذا تتفق على المضى قدمًا أو لاستمرار على هذا النحو؟'ثم بدأت نقرات جهاز المورس من جديد.

تكرر ذلك السؤال مرات عدة، وتبعته نقرات طويلة على جهاز المورس ولكن تلك النقرات لم تكن تحمل أى نوع من الإجابات. ومنعًا لنفسه من الرد وغضبًا على جهاز المورس تحوّل مبتعدًا عن الجهاز وراح يطيل النظر إلى مروحة المكتب، هاهى ريشة من ريش المروحة تدور متثاقلة وبطيئة، فضلاً عن أن أنصال المروحة على وشك ان تدور على شكل قوس. لم تتوقف تلك الضوضاء إلا بعد ذلك بساعة، هذا يعنى أن تلك الضوضاء توقفت عند الساعة الرابعة والنصف صباحًا.

وبسرعة تكاد تكون فطرية وبعد تلك السنوات الطويلة من العمل والإحباط، وبعد أن عرفوا الكثير من العبث والفوضى، يسارع الكتبة إلى التخلص من تلك الأشياء التى يسمونها عملاً، ويسارعون متجهين إلى الأبواب سعيًا إلى مغادرة المكان. ترى، مالذى كانوا يسارعون إلى الوصول إليه؟ بل ربما يتحتم علينا هنا

القول بأن هؤلاء الكتبة لم يكن لديهم فى تلك اللحظة ما يجعلهم أو يستحق منهم هذا الاندفاع. كل ماكان يدور فى أذهانهم أنهم كانوا يهربون من المكان ليس إلا.

'مسَّاك الله بالخير'

'مسَّاك الله بالنور؛

'إلى اللقاء.'

'مع السلامة'

كانت حقيقة مرة، كان جو المكتب خانقا، ولكنه لم يكن كذلك مع أولئك الذين غادروا المكتب. كان الجو لايزال خانقاً، ولكن تلك الوجوه وتلك الأجسام التى كانت تؤكد وجود ذلك الجو الخانق، لم تعد موجودة فى المكتب، كان من السهل التفكير فى هذا الجو الخانق، وإعمال العقل فيه وكأنه سوف يمكن التغلب عليه فــى يــوم مــن الأيام.هذه هى الدنيا لم يعد لها وجود هنا فى هذا المكان، الدنيا بكل قربهــا المخيــف ليس لها وجود هنا، ولكن الموجود هنا شىء من خارج هذه الدنيا. ترى لماذا يسيطر علينا فكر قديم قوى مفاده أن الوحدة لاتنطوى إلا على الألم؟

بدأ المورس ينقر حاملاً تفاصيل القطارات القادمة، ثم جاءت بعد ذلك رســالة عبر الخط التليفونى قادمة من محطه كونتجو *Konongo* .

'قطار فيرجسون Ferguson ، الساعة ٥:٢١ متأخر عــن موعــده تســع دقائق ومتجه إلى ساورا.'

'الوضع الحالى، من فضلك؟'

' قطار نسوتا **Nsuta** بـB سيصل فى البداية.'

'شكرًا لك.'

'لاشكر على واجب.'

هذه هى الوحدة المريحة تخيم على المكان من جديد. نقل الرجل أعلام الطريق الصغيرة الخضراء إلى الخطوط الحديدية على الخارطة الحائطية الكبيرة.

'قطار فيرجسون الذى موعده الساعة الخامسة وواحد وعشرين دقيقة تــأخر عن موعده ثلاثة عشر دقيقة.'

'..... تأخر دقائق.'

دخل من الباب رجل بكرش يلبس ثوب الكنتى Kente . كانت القدمان همــا اللتان تحملان هذا الكرشَ الذى كان يتحرك على شكل أقواس من فوقها، وتغطيــه أطراف الثوب. كان ذلك الرجل يرتدى نعلة مصنوعة من الجلد السميك، الذى تغطيه شراريب لالزوم لها، ولكن يبدو أن فخر وتباهى مرتدى هذه النعلة له علاقــة بتلــك الشراريب. نظر الزائر من حوله، ولم يجد أحدًا سوى الرجل.

صاح الزائروهو يتحرك متقدمًا إلى الأمام،' مساء الخير'

'مساء النور'

كان فم الزائر يشبه فم الذئب. وعندما بدأ يتحدث ظهر السبب جليًا وواضــحًا. الأطفال يطلقون على الأسنان التى من هذا القبيل اسمًا معينًا. الأطفال يطلقون علــى تلك الأسنان اسم أبناء الأخ أو الأخت . هذه الأسنان تنمو على شكل صفوف: صــف ثانى وأحيانا صفا ثالثا يزحم الصف الأول. وهنا مال الرجل ناحية اليمين وفتح النور الموجود فوق رأسه مباشرة، وراح ينظر إلى الزائر مستغربًا .

قال الزائر:' أنا أبحث عن كاتب الحجز.' وفتح فمه الذى يشبه فــم الــذئب، بحركة ربما كان يقصد بها الابتسام، وهذا بحد ذاته لم يكن أمرًا مطلوبًا أو ضروريًا، بل إنه كان عملاً منفرًا ويثير الضيق.

'أى كاتب تريد؟'

’تقول: أى كاتب أريد؟ وهنا أتى الزائر حركة يقفل بها خطمـــة أو فنطيســـته. ولكن شفته بالرغم من كبرها، لم تكن كافية لستر تلك الأجيال من الأسنان، بل إنهـــا عجزت عن سترها أو التدلى فوقها.

لدينا اثنان من الكتبة. واحد منهما للتوقيتات، والأخر لحجـــز الأمـــاكن فـــى العربات.‘

’آها، لقد فهمت الآن.‘ ويبسم الزائر للمرة الثانية.’العربات. لقد جئت إلى هنا للتحدث عن العربات.‘ ’تود حجز مكان. يجب أن تحضر هنا فى ساعة مبكرة أثنـــاء النهار. لأن كتبة هذا المكتب ينصرفون عند الساعة الرابعة والنصف.‘

قال أبو الأسنان :’أوه، أعرف ذلك، ولكن خطر ببإلى أن الكاتب الذى أريـــده يتأخر إلى مابعد ساعات الدوام.‘

’هل حددت معه موعدًا؟‘

’أنا لم أفعل ذلك فى حقيقة الأمر. ولكن شخصًا ما أبلغنى أن هذا هو الوقـــت المناسب للعثور على هذا الكاتب والإتيان إلى هنا.‘

تساءل الرجل، ’تأتى هنا من أجل ماذا؟‘

تراجع خطم ذلك الرجل الذئب ليكشف عن أسنانه، وهنا بدا على الزائر شىء من التردد، إذ راح يفكر فى الطريقة الصحيحة التى يمكن أن يعبر بها عن ذلك الذى يدور بخاطره.

قال فى نهاية الأمر :’واقع الأمر، واقع الأمر أن الموضوع شخصى إلى حـــد ما.‘ راحت عيناه تتجولان فى الخارطة الموجودة خلف الرجل. ثـــم جمـــع الرجـــل أطراف ثوبه الكنتى Kente ليضعها فى زاوية ذراعه الأيمن ثم وضع الكومة كلها على كتفه. وراحت شفتا الرجل تتحركان إلى الأمام وإلى الخلف، وتكرر ذلك الأمر مرتين. وهنا بدا عليه أنه اتخذ قرارًا بشأن ذلك الذى كان يدور بخلده ويقلقه.

قال أبو الأسنان:' ياأخى ياأخى أنت أيضًا بوسعك أن تساعدنى .'

لم يكن الرجل يتوقع مثل هذا الرد:'تقول أنا يمكن أن أساعدك؟

قال الزائر:' نعم' ياأخى.' وأنا سوف أجعلك تتأكد من أنك ساعدتنى بالفعل.' كان من عادة شفتى ذلك الرجل أن تنطلق من بينهما فقاقيع اللعاب وخيوط لعابية أيضا صفراء اللون.

قال الرجل :'أنا لست كاتب الحجز. لقد انصرف كاتب الحجر وعاد إلى منزله.'

توقف الزائر عن النظر إلى الخارطة الموجودة خلف الرجل وقال: 'أنا أعرف ماتقول، أعرفه جيدًا وراح الزائر يحملق فى عينى الرجل. وكان وجهه يحمل تعبيرًا ناتجًا عن رغبته فى اختراق غباء الرجل، عن طريق تعبير الوجه بحد ذاته.'

'سوف يحضر كاتب الحجز صباح باكر.'

تنحنح الزائر تعبيرًا عن الاستياء. وتساءل،' ياأخى، لماذا تصعب علىّ الأمور كلها؟'

أخذت نوبة الغضب الرجل على حين غرة، ترتب عليها خروج ذلك الذى كان يود قوله بطريقه تلقائية. شاهد الرجل الزائر وهو يقترب منه وهنا قال له:' ما الذى فعلته لك؟'

قال الزائر:' المفروض أن أسألك أنا هذا السؤال . مفروض إن أسألكم يامن أنتم فى هذا المكتب عن ذلك الذى فعلته أنا فيكم. لماذا تعاملونى بهذه الطريقة؟' وهنا راح الرجل يحملق ويطيل النظر، وغرق الرجل فى اندهاشه من كلام الزائر وإعجابه وانجذابه إلى أسنان ذلك الزائر. كان الاستماع إلى الكلام يتطلب جهدًا

حقيقيًا عند هذا الحد. قال أبو الأسنان على سبيل الهجوم: 'أنـــت تعرفنـــى . أنـــت تعرف اسمى.'

قال الرجل فى هدوء:'أنا أعرف اسمك .' بدا الزائر كما لو كان على وشك أن يقول شيئا أوآخر، ولكنه تملكه الخرس والبكم. وهنا أطال الزائر النظـــر إلـــى الرجل بعينين محملقتين وابتسم ابتسامة توحى بالمرارة الناتجة عن انعـــدام الثقـــة والشك.

قال الزائر فى النهاية:'أنا أمانكوا Amankwa .إنهم يطلقون علـــى هـــذا الإسم. أنا أقطع الأخشاب. أنا مقاول.'

'لو تستطيع الحضور غدًا...' كان الرجل يقول هذه العبارة. ولكنْ الابتسامة التى كانت على وجه الزائر اختفت وحل محلها تعبير يدل على الإستياء والإحساس بالغش والخديعة.

قال:' ياصديقى، دع كل هذا الهزر جانبا. وتعال معى إلـــى داخـــل الغابـــه وسوف أريك شيئا يستثير فيك البكاء. ألاتعلم إنى أقطع الأخشاب منذ زمن طويـــل. وأن تلك الأخشاب ماتزال موجوده داخل الغابة. إن نصف هذه الأخشـــاب ســـوف يتعفن خلال فترة وجيزة. فلماذا تعاملنى هذه المعاملة؟ ماالذى تريده منى؟

أجابه الرجل، 'أنا آسف ، ولكنى لاصلة أوعلاقه لى بعملية الحجز.'

'ياصديقى' أنا لست طفلاً. إذا كنت تعمل فى المكتب نفسه فأنت تأكل مـــن الطبق نفسه. ما الذى تود أن تقوله لى؟'

'أنا لى عملى الذى أقوم به، وكاتب الحجز له عمله الخاص به أيضًا .' وأنا لاأتدخل فى عمله.'

'لماذا لاتتدخل فى عمله؟ لم لا؟' تكلم الزائر بلهجة شديدة وانفعال شـــديد.' هل تظن أن خشبى سوف يتعفن فى الغابة؟ انتبه إنهم يقولون لى فى كـــل مـــرة :

لاتوجد عربات، ولايوجد فراغ فى العربات. ولكنى فى أحيان كثيرة أشاهد عربات القطار عند قدومها إلى هنا وهى لاتحمل سوى الأحجار. وقد تكون فارغة فى بعض الأحيان، فارغة ياصديقى الطيب. أهذا هو حال تصريف الأمور هنا؟'

'إذا كنت تود الكلام إلى من هو أعلى منى....'

قال الزائر:' ياصديقى لاداعى للاستظراف معى. أنا لابد أن أتكلم معك.'

'وأنا أقول لك: إنى لاعلاقة لى بالحجز.'

'ألا تستطيع إحضار ذلك الكاتب لى هنا .' وراح الزائر ينظر نظرة شك فى إتجاه باب المكتب، ثم وضع الزائر يده بين طيات ثوبه الكنتى Kente . وعندما مد الزائر يده كانت تحمل حافظة نقود كبيرة سوداء اللون. لم تكن تلك الحافظة محشوة. نظر الرجل إلى الزائر وأطال النظر إليه . كانت عينا الزائر مثبتتان على الحافظة، فى الوقت الذى راحت أصابعه المتينه تعبث بالحافظة من الداخل. ثم أخرجت أصابع الرجل فى النهاية ورقتين ماليتين من فئة العشر سيدات.Cedis. كانت الورقتان خضرواتان. لم يقل الرجل شيئًا. وضع الزائر الورقتين أسفل قطعة من الحجر تستعمل فى الضغط على الأوراق ومنعها من التطاير. وضع الزائر الورقتين على الطاولة الواقعة خلف الكاتب. ثم سحب الزائر يديه عن الورقتين وعن الطاولة وراح يطيل النظر إلى الرجل الموجود أمامه. ولكن الرجل لم يقل شيئًا.

قال الزائر:' خذ الورقتين: واحدة لك والثانية له.'

'ولماذا يتعين على أن آخذ هاتين الورقتين؟'

أوضحت نظرات الزائر أن الرجل العاقل لايمكن أن يجيب على سؤال من هذا القبيل. ولكن سرعان ماتغيَّر التعبير الذى على وجه الزائر، وراح يضحك بصوت عال، ضحكًا يشبه ضحك النساء والأطفال.

قال:'أنت رجل ظريف، أنت ياأيها الرجل. هل تظن أنى أحمق وأعطيك عشرة سيدات Cedis ؟' ثم انطلقت الضحكة من جديد.' هذا المبلغ شيء تافه. أنا أعرف أن عشرة سيدات شيء تافه. وعليه، ماذا تود أن تشرب ؟'

نظر الرجل إلى الزائر نظرة فيها شيء من الإعتدال. وأجابه على سؤاله قائلا:' أشرب ماءً؛

وهنا انحنى الزائرإلى الأمام أكثر وأكثر وازدادت ضحكته استعارا، ثم تراجع بضع خطوات إلى الخلف كما لوكان بطنه سينفجر من شده الضحك .ثم انتصبت قامة الرجل واقترب من الكاتب وهو تعلو وجهه مسحة من الجد والصرامة، وكانت تلك النظره توحى بشيء من الألم.

قال الزائر:' أرجوك أن توقف الهزر الآن. الناس ينتظرونى وأنا يتحتم على أن أعود إليهم. الرجل لابد أن يكون رجلاً بمعنى هذه الكلمة. أنا أقول لك ذلك الذى سوف أفعله. خذ هذه الورقة المالية لك وأعط الثانية لزميلك. وأنا بنفسى سوف أحضر لك مشروبًا لطيفًا. خذ الورقة . خذها ياصديقى.'

نظر الرجل فى الوجه الذى أمامه، وهو يتوسل إليه بلغة الملايين من الناس وبلغة الملايين من الأصوات، واعتراه إحساس بالوحدة والوحشة، ذلك الإحساس الذى يعتمل داخل أولئك الذين تدينهم الأشياء المحيطة بهم. وقال بهدوء كامل على وجه التقريب:' أنا لن آخذ هذه الورقة.'

لم يلمس الزائر الورقة المالية. بل إنه حتى لم ينظر إليها. واكتفى بالقول: 'انتبه ، أنا أعنى ما أقول ، سوف أعطيك ثلاثة أضعاف هذه الورقة. وهذا مبلغ طيب.'

'أنا أعرف ذلك.'

'إذن، خذ النقود.'

هز الرجل رأسه بطريقة لطيفة كان فيها نهاية قاطعة لم يخطؤهـا الزائـر وقال:'لن آخذ الورقة'

'هل ترفض أخذ الورقة المالية؟'

'نعم'

تمكنت التكشيرة التى علت وجه الزائر الرجل من الوقـوف علـى حقيقـه الأمر:إن كان ينطوى على الاحتقار أم الإشفاق. وهنا راحت يداه تلمسـان النقـود الموضوعة على الطاولة، ثم ثبتت فوق النقود.

صاح' قل لى لماذا؟ لماذا تعاملنى بهذه الطريقة؟ ماالذى ارتكبته فى حقـك؟ قل لى، ماذا فعلت أنا لك؟'

لم يكن لدى الرجل مايقوله فى ذلك الحين. وراح الرجل يراقب فى صـمت الزائر وهو يأخذ الورقتين النقديتين ويعيدهما إلى حافظته.

تساءل الزائر،' ماذا يحدث؟'

'تسألنى ماذا يحدث؟'

'نعم، ياصديقى. لماذا تتصرف على هذا النحو؟'

قال الرجل:'أنا لاأعرف.'

'أقول لك.إن خشبى يتعفن فى الغابة. وأنت لاتصدقنى.'

' حسب أنى أصدقك.'

'إذن، ماهذا؟، قالها الزائر وهوغاضب، على نحو يفصح عن الغضب الـذى ينتاب شخص عندما يقف منتصب القامة. راح الزائر يفتش فى طيات ثوبـه الكنتـى Kente ، ثم أعاد حافظه النقود إلى جيب من الجيوب الخفية فى الثوب. ولم ينطق بكلمه وداع واحده وهو ينصرف مبتعدًا عن الكاتب، وراح الرجل يعدو فـى اتجـاه

الباب، وفتحه وهو يشتط غضبًا ثم اختفى خلف الباب. بقى الكاتب وحيدًا مع أفكـــاره، عن ذلك المنزلق، وعن ذلك الذى ينشغل الناس من حوله بأخذه وعطائه: شىء غيـــر طبيعى، شىء فى غاية القسوة، شىء هو من قبيل الإجرام، فمن هو الذى يمكـــن أن يراوده إحساس من هذا القبيل غير المجرم الأثيم؟

سمع الرجل وهو يفتح الباب ثانية ولكنه لم ينظر إلى الأعلى. فى تلك الأثنـــاء يأتى كناس المساء للقيام بعمله المعتاد. وهنا أحس الرجل بيد قد وضعت فوق كتفه فى شىء من الثقه، واستشعر الرجل هنا الثوب الكنتى الفاره. استدار الرجل.

قال الزائر مرة ثانية وهو يبتسم ابتسامة مريضة: 'ألست متضايقًا منى؟'

'وهل ينبغى أن أتضايق منك؟'

'لا.' ضحك الزائر ضحكة خفيفة توحى بالاسترخاء.' ما الذى ســتقوله غـدًا للكاتب الآخر؟'

'لاشىء .'

'أرجوك ألا تغضب.' وهنا رفع الزائر طيات ثوبه الكنتى عن كتف الرجـــل بعد أن انزلقت من فوقه.' لعلك ترى، أنى لا أود الاتيان بشىء غير طيب. ولكنى أود أن أعرف ذلك الذى يريده هذا الكاتب . أود فقط معرفة ذلك الذى يريده هذا الرجـــل. وأنا قادر على إعطائه ذلك الذى يريده.'

'إن أردت الحجز فما عليك سوى أن تأتى إلى هنا أثناء ساعات الدوام.'

قال الزائر:، وهو كذلك، سآت أثناء ساعات الدوام. ولكنك تعرف أيضًا إن كل إنسان ينتعش من العمل الذى يقوم به.'

'صباح الغد.'

'إذن، فأنت لن تقول أى شىء؟ أرجوك، لا تغضب. أنا لم أكن أود اســـتثارتك أو مضايقتك.

انفتح الباب واستدار الزائر بسرعة لينظر إلى ذلك المتطفل أو المعتدى. ولكن بقى الباب مفتوحًا ولم يدخل منه أحد. لم يستطع الزائر إبعاد عينيه عن الباب . وظهر من الباب دلو، ومن خلفه رجل صغير الجسم يمسك فى يده فرشاة وممسحة طولهـــا أطول من قامته هو.

'ماهذا ' طرح الزائر هذا السؤال، قبل أن يتمالك نفسه،وابتسم الكاتـــب لـــذلك المنظر .

'إنه الكناس.' الذى ينظف هذا المكان.'

نظر الزائر إلى الكناس نظرة غضب وراح يتنحنح قال: 'لابــد أن أنصـــرف الآن. إنهم ينتظرونى.'ثم تجاوز الزائر الكناس ومضى لحال سبيله.

سحب الكناس أشياءه عبر أرضيه المكتب. كانت مشيته بطيئة ومتراخية، كما كان الرجل متعبًا فى بداية ليلته. كانت تلك الليلة نهاية يوم طويل من عملين متصلين ببعضهما، كما أن عمل التنظيف أثناء الليل هو العمل رقم ثلاثة. وعليه مع بداية الليل كان الكناس متعبًا بل إنه يكاد يمشى وهو نائم.

قال ذلك الرجل الماشى النائم وهـــو تعلـــو شـــفتيه ابتســـامة مثـــل ابتســـامة الموتى:'مساء الخير ياصاح Sah.'

'مساء النور، ياعطية Atia .'

ولكن الكناس الماشى النائم كان قد أحنى رأسه إلى الأسفل بالفعل وبدأ يسحب فرشاته على الحائط الطويل من طرف إلى الآخر، ولم يسمع تحية المساء. هذا أمـــر لايهم. رجل ضائع من بلاد بعيده أمسكوا به وألقوا القبض عليه وهو يرقص رقصـــة غريبة على السّلم السفلى. شخص ماساءت حالته تمامًا. بحق المسيح ! شخص ســـاء حاله تمامًا.

بعد فترة بدأ صوت الممسحة يحل محل صوت الفرشاة. كما ظهر صوت الممسحة واضحًا عندما كانت تصطدم بالأركاب. فى الخلف كان الصوت الناتج عن المروحة يتواصل ويتباطأ، كما بدأ الضوء يضعف متحولا إلى اللون الأصفر، ثم تحوّل الضوء بعد ذلك إلى الإبيضاض على شكل تموجات زمنية طويلة وبطيئة. وقبل دقائق قليلة من الساعة السابعة وصلت إلى المكتب نجدة الليل. كانت تلك النجدة الليليه عبارة عن رجل تخرج لتوه من المدرسة الثانوية، وكان يتمتع بشباب دافق، وكان يصفر بطريقته المرحة كى يسهل عليه تفويت تلك الليلة المخيفة. والذى لاشك فيه أن هذا الشاب كان جديدًا تمامًا على العمل، كان ذلك الشاب يتخيل أنه سوف يمضى هنا فترة وجيزة ثم يطير بعدها عائدًا إلى شىء قريب من روحه. كل الذى كان يود ذلك الشاب معرفته : هوأن هذا الحلم ليس حكرًا عليه هو وحده، وأن كل من سبقوه ساروا على الدرب نفسه، إذا كانوا يحلمون، بعد أن توقفوا عن الحبو، وأنهم كانوا على استعداد للجرى إذا ما أرادوا ذلك، وكانوا على استعداد أيضًا للطيران إذا ما تحركت أرواحهم ونفوسهم فى ذلك الإتجاه. ولكن الأيام الصغيرة المعتاده تمر بطيئة ومتثاقلة فى الشوارع، على أولئك القادرين على تعرف وجوه المخلوقات المعتادة التى تحركت بفعل الروح ولكنهم غير قادرين على السير فى ذلك الإتجاه الذى تشير إليه تلك الروح. هذه الحرية غير المسئولة هى وإدراك ذلك الشاب أنه قد حان موعد انصرافه، ملأت ذهن ذلك الشاب بالتخوف غير المحدود من كثير من الأشياء التى لم تحدث بعد. حيا ذلك الشاب الكاتب الجالس إلى الطاولة.

رد الكاتب: 'مساك الله بالخير.' ثم نهض الكاتب واقفًا .'أنت تعرف، بطبيعة الحال، ذلك الذى سنفعله. استعمل الهاتف (التليفون).'

'وهو كذلك.'

'ليس لديك عملاً كثيرًا هذه الليلة. وقت استرخاء على طول الخط. القطارات الليلة مسجلة ومدونة.' وراح الرجل يتجه صوب الباب.

صاح الشاب عقب انصراف الرجل، «طاب مساؤك.»

«عمت مساءً أنت أيضًا.»

عند الباب، كان الكناس، أو إن شئت فقل : الماشى النائم ، على وشك مغـادرة المكان . ولكنه أنزل أشياءه وفتح الباب ليخرج منه الكاتب،وراح يبتسم لـه ويحييـه للمرة الأخيرة .بدأ الكاتب يهبط درجات السلم . وفى ظل تعبه وإرهاقه لم يكن تهمـه إن كان إبهامه وأطراف أصابعه قد اتسخت بفعل التراكمات الموجودة على درابـزين السلم (الدرج) . وعندما وصل الرجل إلى نهاية السلم برز له ظل وراح يتقدم نحوه للقائه ، كان ذلك الظل هو ظل الكاتب نفسه .

الفصل الرابع

خارج المكتب أثار منظر الشارع نفسه فى ذهن الرجل (الكاتب) ذكريات التوبيخ الذى أصابه من محبيه، وجاء ذلك التوبيخ واللوم والتأنيب على شكل أصوات صامتة كانت تدور فى ذهنه على شكل دوائر حلزونية، وظلت تلك الأفكار تدور فى الذهن على شكل دوائر محكمة، لاتفارق ذهنه مطلقًا. لم يكن هناك داع للعجلة أو التسرع. على الجانب الآخر من الشارع، أو بالأحرى عند نهايته، كان هناك المنزل وحده، هذا المنزل هو أرض المحبين، وفى هذا المكان كان هناك أيضًا أبطال الوميض الذين لم يستشعروا أنهم كانوا غرباء. يضاف إلى ذلك أن الرجل لم يكن لديه ذلك النوع من العسر الذى يحتاجه البرق والوميض. هذا الرجل الذى كان يمشى ببطئ أولئك الذين لاتعرف رغباتهم إلى أين تتجه، راح يمشى فى إتجاه بداية الشارع، أو إن شئت فقل: بداية الطريق، وخطى صفوف الناس الواقفين فى أضواء المصابيح الضعيفة ويبيعون البرتقال الأصفر والبرتقال الأخضر، كما يبيعون أيضًا أرغفة الخبز لامعة السطح بسبب دهانها بالزيت، كما يبيعون أيضًا علب صغيرة ولفافات صغيرة من أشياء ليس الإنسان بحاجة ماسة إلى شرائها على وجه السرعة. وتحت مصباح متضائل الضوء كان هناك طفل يعانى من سعال طويل كان يصدر من مكان ما فى داخل جسم ذلك الطفل. وبعد انتهاء نوبة السعال تضع أمه فمها فى هدوء على فتحتى أنف الطفل المبتلين وتروح تمصهما لتخلصهما مما فيهما من المخاط. ثم تلقى بهدوء ذلك الذى فى فمها على الأرض وتدوسه بعد ذلك بقدمها لتخفيه فى الأرض. وعند بدايه الشارع تجيء حافلة وتستدير إستعدادا للقيام برحلة جديدة، رحلة العودة. لم يسارع الرجل إلى ركوب الحافلة. دع هذه الحافلة تفوتك. على الجانب الأخر من الطريق يتناهى إلى مسامع الرجل فحيح غير واضح المعالم صادر عن جائلة من جائلات الليل التى تعانى هى الأخرى جراء أسبوع العواطف. فى بعض الأحيان قد يكون ذلك الفحيح موجه إلى الأبطال وحدهم، ولكن هذا الفحيح بدأ يتضح الآن وفى

المسافة مابين المصابيح الضعيفة على الجانبين يستطيع الرائى أن يتبين بعض أشياء الزينة على تلك الجائلة من جائلات الليل. هناك الكثيرين من الموتى الجائلين، بل إن هناك من هم أسوأ حالاً من أولئك الموتى الجائلين. هذا هو الضوء يخبو ثم يجيء مرة ثانية، يقترب أكثر، إلى مكان قريب من منتصف الطريق. هذا أمـر غيـر معقـول لايصدقه عقل. وإن هى إلا لحظة حتى تشيع فى الهواء رائحة طيبـة صـادرة عـن المسحوق الذى يضعه الناس تحت إبطهم؛ هذه الرائحة محبوسة بين ثنيـات البشـرة المرهقة. وعلى بعد مسافات قريبة هذه هى الأبخرة الصادرة عـن طـواقى الشـعر المستعار. هل هذا شعر خيل أم شعر إنسان؟ هل هذا شعر ميت أم إنسان مايزال على قيد الحياة؟ وإن كان ميتًا فمتى رحل عنا؟

'هس.' هذا الفحيح ليس موجهًا لأحد غير الرجل. المستحيل يتحقق فى بعض الأحيان وبخاصة فى مثل الظرف الحالى. ينفرا الرجل إلى الأسفل فيرى كتلـة مـن شعر مستعار ومن تحتها حلق أوقرط من أقراط الأذن. آثر الرجـل، أوفضـل أن لا ينظر إليه، أوحتى إلى ابتسامته الفاترة.

'خمس، هذا ليس صوتًا من الأصوات المعتادة. هذا الصوت شـبيه بصـوت طفل يشعر بالخجل. يهز الرجل رأسه. كيف لمثل هذه الجائلة أن توجد هنا فى مثـل هذا الوقت؟

'ثلاثة' انخفاض مفاجئ. الاحتياجات الماسة كثيرة جدًا.

' أختاه، ليس لدى شىء على الإطلاق.' لا إجابه. هذا هو الضوء ينعكس من القرط، حلق الأذان. يعود ذلك الرجل الماشى إلى ذلـك الخيـال الموجـود بـين الأضواء ، ويروح ينتظر تلك الوجوه الغريبة فى الظلام. هؤلاء هم بائعون يقفـون تحت الأضواء الخابية ويبعيون المزيد من الأشياء التى ليس الناس بحاجـة ماسـة إليها.ومن ذلك المرتفع الذى فى الأمام يتقدم جسم أوشىء فيه طاقة ومـن خـلال الظلام ويندفع منه ضوء لامع على شكل نهر متحرك، ويقف ذلك الشىء أمام بائع

شبه نائم، يقف بالقرب من الرجل ومن داخل المركبة ينبعث صوت أنثى، هذا الصوت أعلى من صوت الماكينة، هذا الصوت رفيع جدًا مثل سلك طويل يطعن العينين المفتوحتين.

'يبتاع السائق بعضًا من البرتقال.'

'مامقدار هذا البرتقال ، ياعمتاه؟'

'أوه، دزينتان.'

يبتعد السائق عن المكان ويغلق باب السيارة بعد أن يدخل فيها وهو سعيد بمسحة الجدة التى تبدو على السيارة. يبدوأن الصوت الرفيع الموجود فى الداخل قد بدأ يولول أكثر فأكثر، ومن المقعد الخلفى من السيارة الليموزين يخرج رجل مرتديًا بدلة سوداء ويتجه مباشرة إلى صندوق صغير مغطى فيه شيء من الخبز. وهنا سارعت الفتاة الصغيرة الموجودة خلف الصندوق، إلى فتحه وأخرجت منه رغيفًا كبيرًا ملفوفًا. يتناول. الرجل الرغيف ويقول:' رغيف آخر من فضلك.'

تخرج الفتاه رغيفا آخرًا. هذا هو وميض قطعة من النقود من فئة الخمسين بيسو Pesewa. يستدير الرجل، ويمشى واثقا متجهًا نحو السيارة.وتجرى الفتاة خلفه ومعها الفكة. ولكنه لايود تلك الفكة وتعود الفتاة مرة ثانية إلى صندوق الخبز. وإلى جوار هذه الفتاة، كانت هناك بائعة أخرى تكبرها سنًا، استيقظت على ضياع تلك الفرصة منها وراحت تنادى من جديد وتقول:' يامحترم، أنا أبيع خبزًا طيبًا.'

' لقد اشتريت شيئًا من الخبز بالفعل؛ كان صوت ذلك الرجل الذى يرتدى بدلة فيه شيء غير عادى، صوت يشبه صوت صياد من صيادى السمك؛ هذا الصوت المحمل بالرمال والملح يجبر صاحبه على الإتيان بقوافى إنجليزيه غير مألوفة.

' ياسيدى،'ينبعث صوت البائعة من جديد' ياسيدى المحتـرم، هـذا الخبـز حقيقى بمعنى الكلمة.'

من داخل السيارة يصدر صوت الأنثى الحاد، لينتشر فى أرجـاء المنطقـة، وهى تشكو من أن الثلاجات ليس فيها متسع لمزيد من الأشياء، وتشكو أيضًا مـن وجود كمية من الخبز فى المنزل. هذه هى البائعة الموجودة خارج السيارة نحـاول أن نجعل نغمات صوتها أكثر عذوبة.

'ياسيدى، ياعمى، يارجلى الأبيض، أوه، هيا تعال. تعـال واشـترى منـى خبزا. إنه خبزك، يارجلى الأبيض، إنه كله لك؛

ينفتح باب السيارة ويخرج منها ذلك الرجل الذى يرتدى بدلة، ويمشى ببطئ متجها صوب البائعة التى تنادى على خبزها. وينبعث الصوت الحاد مـن داخـل السيارة مرة أخرى وهو يعبر عن الضيق والقلق والتبرم. ثم ينحسر الصوت بعـد ذلك ويروح ينتظر. تقف البدله أمام البائعه، وهذا هو الصوت الذى ينبعث من تلك البدلة، صوت لعوب

'ياماما أنا لا أستطيع أن آكل كل هذا الخبز.'

قالت البائعة وهى تشير إلى السيارة:' إذن اشترى لزوجتك.'

'زوجتى لديها مايكفيها من الخبز.'

' لعشيقاتك- أليس لديك فتيات جميلات شابات؟'

'أنا ليس لدى عشيقات.'

'هو يارجلى الأبيض، لاتجعلنى أضحك مما تقول. هل صادفت فى حياتـك رجلا كبيرًا بلا بنات؟ بما فى ذلك كبار السن.' وتضحك بائعة الخبز ثم تقول:' بما فى ذلك الرجال كبار السن.'

’ياماما، أنا رجل مختلف.‘ يدفع الرجل مرتدى البدلة ثمن الخبز للبائعة. تتناول النقود ثم تمسك بيد الرجل، وتطيل النظر إلى وجهه.

تقول البائعة فى النهاية:’ أنت واحد من أهل السياسة. أنت واحد من الكبار.‘

’من قال لك ذلك؟‘

تتساءل البائعة، ’هل هذا صحيح؟ لقد شاهدت صوتك فى مكان ما.‘

’لقد فهمت.‘ وينظر الرجل مرتدى البدلة حوله . وكانت ابتسامته واضحة فى ذلك الضوء الخافت. هذه الابتسامة تشكل نمطًا غريبًا من أنماط الضوء الخافت مع القماش المصنوع منه القميص. هذا القميص كان مصممًا ليلامس المسافة مابين الوركين.

تقول الابتسامة للرجل الذى لايرى منه سوى ظله أوخياله:’ مرحبًا، ماذا تفعل هنا. أنا لم أراك مطلقًا.‘

وأنا عائد من العمل إلى المنزل. أنا لم أكن متأكدًا فى بداية الأمر.‘

ينظر مرتدى البدلة إلى ساعته ويروح يغمغم لنفسه بصوت خفيض جدًا.ثم يقول:’ على فكرة، سوف نحضر لزيارتك حالاً: استى Estie وأنا.‘

’إحم،إحم‘.

’لا. أنا أعنى ما أقول هذه المرة. فلننتظر. اليوم يوافق الأربعاء. ولعل ذلك يكون يوم السبت...، لا، سيكون ذلك مساء الأحد.‘

’ماموعد حضوركما؟‘

’أعتقد أنى سأكون جاهزًا عند الساعة التاسعة.‘

تمزق آلة التنبيه فى الهواء بذلك الصوت الجديد، وهاهو الرجـل مرتـدى البدلة يدور حول نفسه بالسيارة ثم يعتدل مرة ثانية ويقـول:'إسـتى Estie فـى السيارة، تعال وسلم عليها.'

يسير الرجل خلف لابس البدلة إلى أن يصل إلى السياره. وهنا يبدأ الصوت القادم من داخل السياره فى اللوم والتعنيف بلهجه شديده. ولكن مرتدى البدلة يوقف ذلك اللوم والتعنيف فجأة عندما يقول:' إستى Estie لقد عثرت على غريب.'

وهنا يبدأ صوت المرأة الحاد فى التغير شيئًا ما وتقول:'ياه، ياأنت، أنا لم أر أحدًا.' وتمد المرأة يدها خارج نافذ السيارة، وفيها شىء يلمع فى أضـواء الليـل. يمسك الرجل بتلك اليد. تلك اليد البضة الناعمة مثـل اللحـم المخـتلط بالشـحم. وسرعان ما انسحبت اليد كما لوكان التلامس كارثة من الكوارث أومصـيبة مـن المصائب، وظهر واضحًا أن المرأة الموجوده داخل السيارة قد نسيت كل شىء عن الرجل الموجود خارجها. وهذا صوت آخر صادر عن إغلاق بـاب مـن أبـواب السيارة برفق.' حسن، إذن الأحد عند الساعة التاسعة.'

' عظيم'

وهنا ينبعث صوت من داخل السيارة، كما لوكان صاحبه قد تـذكر شـيئًا، ويرتفع صوت محرك السيارة.'أوه، على فكرة، نحن لسنا ذاهبين إلى المنزل. نحن ذاهبان إلى أتلانتك Atlantic كابريس Caprice ، وقد تأخرنا. وإلا...'

يقول الرجل فى إثر انصراف السيارة: ،لاتشغل بالـك. لاتشـغل بالـك.' ويروح يكرر الكلام همسًا فيما بينه وبين نفسه، ثم يسحب بصـره عـن البريـق الموجود أعلى التل.

وقت الانتظار يعد فترة من الفراغ المريح، وبخاصة فيما يتعلـق بالأفكـار التى لاعلاقه لها بمرض اليأس لأن تلك الأفكار تجـىء وتـروح دون أن تخلـف وراءها أى أثر. ترى، كم عدد الأيدى التى لامست العارضة الطويلة فى هذا المقعد

الموجود فى موقف الحافلات منذ أن وضعوه فى ذلك المكان أول مرة؟ ماذا تعنى النوافذ الثلاثة المضاءة فى مكتب البريد أثناء الليل؟ ماالذى كان يفعله أولئك الذين ينتظرون هنا؟ وهنا تعلو ضوضاء الحافلة التى توقفت فى المحطة ولايبعد باب الدخول إليها سوى ياردة واحدة عن فتحة المحطة. وهنا يندفع المنتظرون ناحية الحافلة، أما المحصل فينزل إلى الطريق. وخلال لحظات يسمع المنتظرون صوت بول ذلك المحصل وهو يصطدم بصندوق القمامة المكتوب عليه حافظ على نظافة المدينة. لابد أن المحصل كان يوجة بوله ناحية الأعلى. الكل يسترخى هنا. الفقراء يكونون أثرياء أثناء الصبر. وهذا هو سائق الحافلة يقفز هو الآخر ويلحق بالمحصل عند التل. ولكن صوت بوله أضعف من صوت بول المحصل. ويقف الاثنان وقتا طويلاً عند التل وهما يضحكان ويتكلمان. كانا ينكتان متسائلين عن كل مايدور حولهما؟ ويقارنان هذا بذاك؟ ويعود السائق، ويصعد إلى الحافلة ثم ينام على عجلة القيادة. وهذا هو المحصل يسير فى إتجاه الباعة. هذه قلة قليلة من الركاب، تعبت من الانتظار، يصعدون إلى داخل الحافلة ويتكئون برؤسهم على البقية الباقية من ألواح الزجاج التى فى نوافذ الحافلة. هذا واحد من الناس يسعل، ولكن سعاله يفضى إلى سكون مفاجئ.وهولاء الذين مازالوا ينتظرون يسندون أجسامهم على القضبان الطويلة الموجودة فى محطة الحافلة، والسيارات المارة، تقع أنوارها على هؤلاء الناس لتضفى عليهم أشكالاً غريبة أثناء الليل. كان المحصل، أثناء عودتة، يأكل رغيفًا فى يده، ويقضمه من الداخل بحركه دائرية؛ وهذا المنظر، يبدو بين الحين والآخر، شيئًا مكروهًا فى ظلمة الليل، إذ يبدو شكل الرغيف وكانه كائن حى. وينادى المحصل وفمه مملوء بالطعام، يعنف أولئك الذين صعدوا إلى الحافلة؛ وتفلت لقمه من فكى المحصل لتسقط على شكل قوس بجوار الحافلة.!أنزلوا! هل دفعتم الأجرة، ورحتم تنتظرون داخل الحافلة؟'

ونظرًا لأن الناس كانوا يتوقعون شيئًا من هذا القبيل، فقد راحوا ينزلون من الحافلة وهم صاغرون وراحوا يقدمون الأجرة للمحصل. ويلغ المحصل من

الغضب مبلغًا جعله يرفض قبول الأجرة، ويعيدهم مرة أخرى إلى نهاية الصف. هذا ليس بالأمر الخطير. فالصف ليس طويلاً. وهنا يروح المحصل يوجه الشتائم واللعنات بشكل عام دون أن يوجهها إلى شخص بعينه وهو ينزع التذاكر من أماكنها. لاأحد من الركاب بحاجة إلى الفكة ولذلك تمضى الأمور على نحو سريع، اللهم إلا عندما يتوقف المحصل لكى يكيل إلى الناس السباب واللعنات.

يدخل الرجل الحافلة ويختار مقعدًا بجوار النافذة. ويتضح أن النافذة ليس فيها لوح زجاجي. هذا لايهم.الليلة من الليالى شديدة البرودة. عندما تبدأ الحافله فى التحرك يدخل الهواء القادم من النافذة على شكل موجة ناعمة من موجات الماء الدافئ. يضطجع الرجل على مقعده وأصابعه ملفوفة من حول رأسه. الرجل لاينظر إلى الخلف. بالإمكان بعد أن يقطع الراكب مسافة فى الأجزاء المرتفعة والأجزاء المنخفضة من ذلك الطريق، أن يغلق عينيه ويرفع رأسه إلى الخلف، ثم يعرف بعد ذلك وعلى وجه الدقة المكان الذى يكون فيه وذلك من خلال الروائح التى يحملها الهواء من تلك الأماكن إلى أنوف الراكبين. وحتى أثناء الليل تكون الريح محملة بالتراب وساخنة بسبب مرورها على الورشة التى يجرى فيها تخزين وصيانه القطارات، ومن هنا يثور فى الذهن خليط من صور الرجال القصار المتينين الذين يرتدون بدل الشغل الملطخه بالزيوت التى تبقى فيها ولاتنتهى حتى بعملية التنظيف؛ وصور قطع الحديد الخرده المختلطه بالرمل؛ وصور الماء الراكد الذى تلوث بفعل اختلاطه مع الزيت المتحلل المتخلف عن الغلايات المكسرة؛ كما تفوح أيضًا رائحة مصابيح الكاربايد Carbide ، ورائحة القواطع الكهربية. بعد تجاوز ورشه السكه الحديد يبدأ الهواء القادم من البحر، ذلك الهواء المنعش بصفة خاصة والذى يحمل معه بعض الروائح العضوية لبعض المخلوقات الحية من بدايتها إلى منتهاها. وعندما تكون فوق الجسر تتحرك القافله ببطئ. وهنا تفوح روائح السوق الذى يهجره الناس ويتركونة لليل من ناحية وللمشردين من ناحيه أخرى، ومعهم الغبار، والطين والوحل الذى تغطيه الطماطم المهموكة

والخضروات المتعفنه، والروائح الكريهة المنبعة من سوق السمك والقشور المتخلفة عن عملية التنظيف، ومن فوق كل ذلك أسراب الذباب. وهناك فـرع آخـر مـن الطريق يتجة ناحية البحر.وبعد ان قطعنا أكثر من نصف الطريق، نكون قد دخلنـا إلى مركز اكوام القمامة والمخلفات، وهنا تصطدم الروائح بالأنوف كمـا لوكانـت جدارًا قويًا، وهنا يصبح أمام الأعين مايمكن أن تسجله. هذه المخلفات بلغـت مـن القدم حدًا لم تعد معه مجرد قمامة، وذلك هو السبب فى هذه الروائح. لقد امتزجـت تلك القمامة وذابت فى الارض الموجوده تحتها. وفى موضع أو موضعين تستطيع الأعين أن ترى حطام الدراجات المحطمة وحطام الهراسات التى كانـت موجـودة هنا قبل الحرب وهذه هى الأصوات ترتفع وتعلو لتحجب الـروائح كلهـا عنـدما تقترب الحافلة من البلدة. وخلف منطقة المراحيض العامة تنشب الروائح الكريهـة مخالبها فى حلوق الغادين والرائحين. فى بعض الأحيان، قد يكون من المعروف أن الناس هنا يتفلون كثيرًا وذلك عندما تداهمهم روائـح الأشـياء المتحللـة وتخـتلط بأجسادهم. وفى أحيان أخرى قد يتفل الناس كثيرًا هنا طلبًا لتنقية الذات على حساب زيادة المرض خارج الذات. وهذه هى رائحة الغائط المتحلل بفعل حرارة الشـمس تفوح على الناس فى فترة العصر، وهى الآن ماتزال تتبخر بفعل النـدى، فتحتـا الأنف تتحدان بطريقة ما وتنفذ من خلالهما تلك الروائح إلى أن تصل إلى النهايـة. فى الجزيرة الموجودة فى البحر المواجه لنا، هذا رجل كبير السن نائم وفمه مفتوح يتلقى الهواء المندفع أثناء الليل، وهل يعرف أحد عدد الجسيمات التى يحملها مثـل هذا الهواء؟ إذن، لماذا يلعب ذلك الرجـل دور الغبى ويكـتم نفسـه؟ هـذه هـى الأصوات الصادرة عن قلى السمك فى زيت قديم بالقرب من المراحيض العامـة. من السهل جدًا أن يألف الناس هنا التعود على كل ماهو مريـع ومخيـف. شـىء مختلف؛ هذا هو الحمام العام، أقاموه لنوع من النظافة غير المؤثرة. داخـل هـذا الحمام لاترى غير بقايا قطع الصابون المختلطة بالأقذار الناتجة عن سوء استعمال البشرللحمام؛ هذه الأشياء تذكر من يدخل الحمام بشعر الإبط عندما تتسـاقط منـه حبات العرق فى الأماكن العامة. وهنا تصل الحافلة إلى مكان فى أعلى التل وبعدها

تنتهى الرحلة. وهنا تبدأ أمواج من روائح التوابل التى تنبعث من أوانى المنازل الشهيرة، هذه التوابل تضاف لكى تغطى على الرائحة القوية التى تصدر عن اللحوم؟

ينزل الرجل من الحافلة وتشق يده طريقها إلى داخل جيبه. هذا هو الهواء الذى يلفح عموده الفقرى عند أسفل العنق، على درجة عالية من البرودة. هذه هى الحفرة الموجودة عند نهاية الميزاب تتسع على نحو يتطلب جهدًا كبير للقفز من فوقها. وتلك عمليه متعبه تماما، عندما يصعد الإنسان الدرجات الأربع الصغيرة، من درجات السلم وصولا إلى الشرفة. هذا هو نور المطبخ مايزال مفتوحًا، ولكن كل ماعدا ذلك فهو هادئ تمامًا. ترى، هل هذا شيء غريب فى هذه الساعة من الليل؟ هذا أمر لايهم، فى واقع الأمر. لماذا لايخيم الصمت على المكان، أولاوقبل كل شيء لماذا لايخيم الصمت على المكان؟

صمت. لاأصوات، لا أصوات فى الليل، مجرد صمت وسكون ليس إلا. يدخل الرجل إلى الصالة، ويلتقى بعينى زوجته التى تنتظره. هاتان العينان مستقرتان، هما عينا شخص اتخذ قرارا بألا يقول شيئًا؛ هما عينان راضيتان على نحو مفاده أن الأمور التى لاطائل من ورائها ولا نفع منها يجب ألا تكون محلاً للتساؤل أوحتى القبول. وطالما أن هاتين العينين موجودتان هنا سيكون الجو مشحونا بالإتهام؛ وبالرغم من أن الرجل يستشعر الإمتنان المتعب الضعيف؛ إلاأنه يحس بالرضا لأن الجو خلو من الكلمات التى تعكر صفو ذلك الصمت. وهنا يبدأ الأطفال فى الخروج من الغرفة الداخلية. هؤلاء الأطفال لم يناموا بعد، بما فى ذلك الطفل الثالث الصغير. يبدو أن عيون هؤلاء الأطفال بدأت تتعلم تلك النظرة المسطحة التى هى بمثابة دفاع عن الأمل، كما لوكانت رسالة أمهم بحاجة إلى دعمهم وتأييدهم لها. ويأتى ذلك الدعم والتأييد على أحسن وجه. يجيء هذا التأييد والدعم على نحو تمتلئ الصالة معه بضغط لايطاق يتحتم معه كسر ذلك الصمت مهما كان الثمن. هذه هى المائدة ومن فوقها الطعام. هذا هو الرجل يتحرك ناحية

المائدة ويجلس إليها ويعطى ظهره لخطئه، وهو عاقد العـزم علـى كسـر ذلـك الصمت.

يقول الرجل:' لقد التقيت كومسونKoomson وأنـا فـى طريقـى إلـى المنزل.' وتتباطأ الزوجة فى إظهار اهتمامها بالأمر.

وتتساءل الزوجة بعد ذلك، 'هل كانـت أسـتيلا Esteila معـه، بطبيعـة الحال؟'

ويومئ الرجل برأسه، وهو يدير وجهه إليها ولكن عينيه تقعان على أطفاله. أيها الأحباء، أنقذوا أبيكم من الألم الصامت فى عيونكم.ثم يقـول لزوجتـه:' هـذا صحيح.'

'إم م م م؛ هذا الصوت الذى صدر عن الزوجة لابد أن يدل على الموافقـة أو القبول فى أضعف الأحوال، ولكن الأمر لم يكن كذلك. كان الصوت عبارة عـن صرخة ضعيفة عامرة بالإستياء وخيبة الأمل.إذن' فقد تزوجت بالفعـل....' تمنـى الرجل لو أنه قد تعلم تحمل ثقل الصمت السابق، ولكن العودة إلى الـوراء أصـبحت عملاً مستحيلاً.

رفع الرجل الملعقة إلى فمه، وبينما هو على هذا الوضع أحس ببقايـا رائحـة العطر فى يده وهو يقول:' لقد كانا ذاهبين إلى أتلانتكAtlantic كابريس Cabrice . لقد صافحت زوجته، وأنا مازلت أشم رائحة عطرها. لقـد كانـت يـدها مبللـة بالعطر.'

'إم م م م ؛ هذا الصوت الطويل يصدر من جديد .' لقد علمتها الحياة الكثير من الأشياء؛

' يقول كومسون Koomson إنه يود أن يأتى إلينا لزيارتنا عنـد السـاعة التاسعة يوم الأحد.'

'إم م م م ؛

'ربما كان يعنى أمك بهذه الزيارة ولايعنينا نحن. ونحن يتعين علينا إبلاغها بذلك عندما تأتى.'

صمتت المرأة قبل أن ترد. 'إن كوموسون لن يأتى لزيارة أمى وحدها.'

تساءل الرجل، وسقطت منه ملعقته ولكنه تجاهلها وقال:'ماذا تعنين بكلامـــك هذا؟'

'أعنى أن الأمور إذا ماسارت على مايرام فإن ذلك ســيكون فــى صـــالحنا جميعًا.'

ينظر الرجل إلى زوجته نظرة مشــوبة بـــالحرج. وهــى تشــعر بالغضـــب والاستياء، هل تعتقدين ذلك؟'

' لماذا تحاول إبعاد نفسك عن كل ما يهمنا جميعًا؟

يرد الرجل ردًا بطيئًا،' أنا لاأعرف سببًا لذلك. أنا لاأعرف أنى سبق لى أن وافقت على الانضمام أو المشاركة فى أى شىء؛

'لكن'ألست تأكل من الطعام عندما ينضـــج؟' حاولـــت المــرأة بابتســـامتها الدفاعية الصغيرة، ولكنها لم تفلح، فى القضاء على حدّة الســؤال. وهنـــا يـــنهض الرجل من أمام المائدة ويتجه صوب زوجته. وها هى الزوجة تحاول الإبتعاد عنه، ولكنه يبتسم لها ابتسامة حزينة وهنا تحس الزوجة بشىء من الاسترخاء.

يتساءل الرجل،' من أين لكومسون بتلك النقود التى يستخدمها فـــى تســـيير قاربه؟'

ترد الزوجة،'إنه يحصل عليها.'

يقول الرجل:' وهو كذلك. دعينا نقول إننى لست طرفًا فى ذلك.'

تحملق المرأة فى وجه زوجها وهى لاتصدق ذلك الذى يقوله، ثـم تهمـس قائلة:' شكشك دودو، بمعنى 'الجن أو العفاريت.'

طرق على الباب. والمرأة ترد على الطارق، وتدخل أمرأة عجوز وصدرها شبه عارٍ إذ لايسترة سوى القماش الذى تلبسه، وتحمل بأطراف إصـابعها فنجـالاً صغيرًا مطليًا بالميناء.

تقول:' مساء الخير أنا جئت إليكم مرة أخرى. إنه السـكر.هـل ترضـين بإقراضى قليلا من السُّكر؟ أنا أحتاجه للأطفال.'

ترد الزوجة' لقد نفذ ماتبقى لدينا من السكر منذ وقت قليل.'

تظهر على وجه المرأة العجوز ابتسامة هى خليط من الشك واليقين الأكيـد. وعندما تختفى المرأة عند عتبه الباب تنظر إلى الزوج والزوجة وتقـول:'آه، مـن هذه الحياة!'

ينظر الرجل إلى زوجته ويكتشف أن عينيها مثبتتان على وجهـه ويسـألها: 'ماذا كنت تقولين؟'

تقول:' لاشىءَ.' ويزداد صمت الرجل.

يقول الرجل بعد شىء من الصمت:' لقد عرض على شخص ما رشوة فـى هذا اليوم.'

'إم م م م. رشوة من أجل ماذا؟'

'كى أحجز له مكانا فى عربة من العربات.'

'وبالتالى رفضت أنت تلك الرشوة وكأنك جندى مسيحى مستقيم؟'

يأخذ عنف السؤال ومفاجأة الرجل على غرة، ويجعله يتساءل. 'تقولين مثـل ماذا؟'

'أقول مثل جندى مسيحى مستقيم م!

يمشى كما لوكان ذاهبًا إلى الحرب

ومعه صليب المسيح

يسبقه فى المقدمة

أطال الرجل النظر إلى وجه زوجته. ثم قال:' لم تكن تلك الرشوة ضرورية أو حتمية.'

تساءلت الزوجة،' ما الذى خفت منه عندئذ؟'

'لكن مالذى يحتم علّى أخذها؟'

'لماذا لم تأخذها؟ أنت عندما صافحت يد إستلا Esstell كوموسون Koomson، ألم يكن العطر الذى بقى أثره على يدك شيئًا جميلا؟ ربما تكون معجبًا بالحبو الذى نحن فيه، ولكنى سئمت هذا الحبو. أود أن يكون معى إنسان يوصلنى بالسيارة إلى حيث أشاء.'

'تودين أن تكونى مثل إستلا كومسون Koomson ؟'

'نعم، مثل إستلاكومسون. ولم لا؟ هل هى ؟'

قال الرجل:'نحن لانعرف الطريقة التى حصلت بها على ماليديها.'

'نحن لايعنينا ذلك أو يهمنا.' وهنا فقد صوت هذه المرأة الانفعال والإثارة، وعاد ثانية إلى تسطحه. وبإشارة صامتة أعادت الأطفال إلى الغرفة الداخلية. «نحن لايهمنا أى شىء . لماذا لانتظاهر؟ كل إنسان يسبح فى الإتجاه الذى يبتغيه. ومن يبقى على الشاطئ إنما يطلب المستحيل. ''كيف..... كيف...كيف؟''

سأل الرجل زوجته ،'أهذه هى طريقتك فى النظر إلى الأمور؟'

'هل اكتشفت أنت طريقة غير هذه الطريقة؟'

‘لا’

’هل يمكن أن ترفض سيارة كوموسون Koomson إذا ما أعطيت لك مجانًا؟‘

’لا‘ أنا سوف أعتمد على ....‘

’هل هناك من خطأ فى الاستمتاع بين الحين والآخر؟‘

’بالطبع لا.‘

تساءلت،‘ إذن لماذا رفضت؟‘

تساءل،‘ ولماذا لا أرفض؟‘

فتحت المرأة فمها ولكنها أغلقته مرة ثانية. ثم قالت:’ هذا شيء لطيف. إن الحياة التى تحياها إستلا Estella حياة نظيفة.‘

هز الزوج كتفيه. ثم تكلم بعد ذلك، وكان كلامه مفعمًا بالتراخى المتعمد والمقصود.’شيء‘ من هذا النوع من النظافة فيه الكثير من العفن والتعفن، على نحو يفوق العفن الذى يكمن عند قاع مقلب النفايات والمخلفات.‘

’أم م م م م ....‘ وكادت أن تدخل المرأة فى نوبة من نوبات الغناء. وربما أخذ الصوت على إنه علامة من علامات الرضا والاقتناع’أنت الجن والعفاريت نفسها.‘

’ماالذى تعنيه بذلك الكلام الذى تقولينه؟ لم يكن صوت الرجل محملاً بالغضب وهو يقول هذا الكلام، ولكنه كان قد استدرج إلى مؤامرة وبهدوء شديد راحت المرأة ترد عليه.

’ياأنت؛ أنت تعرف أن ما أسميه الجن أو العفاريت Chicidodo هو اسم لطائر. وهذا الطائر يكره الغائط كراهية شديدة. ولكن هذا الطائر يتغذى على

يرقات بعض الديدان، وأنت تعلم أيضا أن تلك اليرقـــات تنمـــو وتزدهـــر داخـــل المرحاض. هذا هو طائر (الشيشى دودو).'

كانت المرأة تبتسم.

الفصل الخامس

عتاب المحبين يكون حانيًا ولطيفًا عندما يكون على شكل صـمت. وعنـدما يكون ذلك الصمت مفعمًا بالوعى الناجم عن الأسى والاستياء، يكون هنـاك دومًـا أمل فى تفهم أولئك المحبين للرغبات الصغيرة الغامضة التى يتعين فهمهـا، كمـا لوكان الإنسان يحاول دومًا المحافظة على الزعم أو الإدعاء الذى مفادة أن الفـارق بين الفاشلين والأبطال الجادين فى أى حلم من الأحلام لايعدو أن يكون مسألة وقت ليس إلا. الزمن الذى يستغرقه الإنسان فى القفز عبر ياردات مكونة مـن ألطـين الناتج عن سقوط المطر طوال بضعة أيام؛ القفز على ميازيب واسعة لـيس فيهـا سوى قطر من البول القابل للجفاف عند القاع مع الكثير من أعقاب السجائر المبتلة التى ألقى بها أصحابها فى الأماكن التى تخلصت منها شـفاههم عنـدها، بعـد أن امتصوا دخانها. الزمن اللازم للإبحار بنعومة جميلة فى إتجاه الـوميض الجميـل، ونحن نحمل بقوه يسيرة كل واحد من أولئك المحبوبين والأعزاء؛ الزمن هو تغيير لعنات الاستياء الصامتة الصادرة عن المحبين والمحبوبين، والـزمن أيضًـا هـو الاسئلة الصامتة التى تصدر عن أولئك الذين استطاع الالم هو وخيبة الامل أن يقتل فيهم الانفعالات والعواطف الأخرى، الزمن هو تغير كل ذلك وتحويله إلى ضـحك غير مفتعل عند أولئك المسافرين المُتعَبين الذين يصلون إلى بيـوتهم فـى نهايـة الأمر. ولكن عندما يتحول عتاب المحبوبين إلى صوت وإلى ألم يلقى وجـه ذلـك الذى تسبب فيه، هنا النظر إلى الزمن بشىء من الأمل يكون أمرًا مستحيلاً.

انتقل الرجل من أمام المائده ليضطجع على السرير الموجـود فـى الـركن البعيد من الصالة، ثم يغلق الرجل عينيه ولكن فشله لم يجعله يهنأ بالراحة . هذه هى المجادلات والاتهامات المضادة التى دارت مرات عدة تحت السطح داخـل ذهنـه، هاهى تتكالب على ذهنه من جديد ثم تختفى مرة ثانية وراء ارتباكه وحيرته بعـد أن زادت تلك المجادلات والاتهامات المضادة من حدة ذلك الإرتباك. والرجـل، حتـى

عندما يتعثر مرة واحدة، يتعين عليه أن يكون قادرًا على النهوض من جديد ويجـــرى فى إثر أولئك الذين سبقوه، الرجل يجب أن يكون قادرًا على فعل ذلك، حتى وإن كان ذلك من أجل خاطر وعيون المحبوبين والأحياء. والرجل الذى تضـــغط عليـــه فـــى عثرته أثقال ليست خاصة به يتعين عليه هو الآخر أن يســـرع. وحكـــم المحبـــوبين الأحياء لايختلف عن حكم الناس الأخرين، بالرغم من أن الأحياء فى الذهن المنعـــزل قد يبدون كما لوكانوا عذرًا قويًا يساق فى حالة الفشل أو السقوط . ماهو المغزى من توجيه كثير من الآلام فى إتجاه الأحباء والمحبوبين، وماهو المغـــزى مـــن وراء رد المحبوب للألم أيضًا؟ ماهو المغزى، عندما لايكون هناك داع للملاحقـــة، أو عنـــدما لايكون هناك داع إطلاقًا لتبديد دقائق الحياة، وبخاصة عندما تكون تلك الأيام خـــارج منطقه الوميض الذى تسبب فى جعل المحبوبين والأحباء يعانون الكثير بسبب القلق؟

لم يكن لدى الرجل مايقوله لزوجته، التى لم يبدو عليها أنها كانـــت تنتظـــر أن يقال لها أى شىء عن ذلك الذى كانت تعرف أنه يقين وصادق من منظورهـــا هـــى. ولكن القلق والعجز داخل الرجل تورمًا وتحولاً إلى شىء كان يبحـــث لنفســـه عـــن مخرج من سجنه الإنفرادى؛ وينهض الرجل؛ واقفا فى هذا الجو مـــن القلـــق وعـــدم الارتياح ويخرج بهدوء شديد من خلال الباب فى حين بقيت زوجته فى مكانها ولـــم تكلف نفسها مشقة النظر إليه أو الحملقة فيه، ولم تسأله عن مقصده أو موعد عودتـــه أثناء الليل، بل إنها لم تكلف نفسها مشقة سؤاله إن كان سيعود أو لايعود إلى المنزل.

خارج المنزل، كان الليل نفقًا طويلاً إلى حد أن الرجل لم يكن يرى لذلك النفق نهاية من فوقه أومن أمامه، وكان واضحًا لذلك الرجل الذى كان يسير فى ذلك النفـــق أن الأنوار التى كانت هنا وهناك لم تكن أى شىء غير قوة هذا الليل الذى كان ينادى نداءً سهلاً وخفيفًا على كل أولئك النائمين فى جوفه. وعندما نظر الرجل حوله وجـــد أنه هو الشىء الوحيد الذى لا يعرف كيف يجيب على نداء الليل هذا. كانـــت عينـــاه تؤلمانه بسبب يقظتهما، وبخاصة فى هذا الهواء الليلى الذى كان رطبًا بفعل ماء وملح البحر القريب من المكان؛ أحس الرجل بجفاف شديد ومريع فى أنفه، وفى فمـــه كلـــه

وحتى بالقرب من حلقه، يضاف إلى ذلك أن رأسه بدأ يدور بفعل هـذا الاستخفاف الشديد ومن حوله مصباح من مصابيح الشارع الذى يعلـوه زفـت الفحـم، راحـت حشرات الليل تئز وهى تتراقص تراقصًا مجنونًا، هذه الحشرات لـم يجـذبها الليـل بصورة مباشره من داخله، وإنما الذى جذبها هى النار الناتجة عن المصابيح التى فى هذا الليل. هذه هى الطريقة الخاصة التى تلتقى بها هذه الحشرات ذلك الليل، والجميع سواسية فى نهاية الأمر. أليس هناك شىء ما حول هذا المكان وحول الـزمن، بـل وحول كل شىء فى واقع الأمر، وأن ذلك الشىء كان يسعى جاهدًا لتوضيح أن هناك شذوذًا كبيرًا فى أى رجل من أولئك الذين يتخيلون أنهم قادرون على الهـرب مـن التحلل الحتمى للحياة ويرفض التسليم بالتحلل والفناء فى نهاية المطاف؟ فى مواجهـة هذا الشذوذ، ألايمكن لتلك الصراعات أن تكون أى شىء آخر،غير مجادلات مستمية من جانب أولئك المعاندين اليائسين، لإطالة شبابهم فى مواجهة عفـن العمـر الـذى لايعرف لينا أوهوادة؟ هوادة؟ هذا هو رفيق يستعيد ذكرياته عن راما Rama كرشنا Krishna . هذا الرجل غانى،أى من غانا، ولكنه انتحل لنفسه هذا الاسم البعيد بعـد أن تناسخت روحه على إثر هروب طويل حافل بالعذاب والقهر، من كـل الأشـياء القديمة ومن كل الأشياء المعروفة ، نظرًا لأن كل ما حول هذا الرجـل كـان يثبـت ويؤكد له التهديد المريع لذلك التحلل. هذه هى الروح تلتهم الأفكار الناتجة عن الأشياء دائمة الخضرة وعن نوع من السرمدية أو الخلود الذى كان يحاول تفهمـه بصـورة دائمة ، فى ظل كل ذلك ينغمس هذا الصديق بكل جسده فى اليوجـا التـى ينظـر الآخرون إليها باعتبارها مجرد عون على هذه الحياة. هذه الحياة عامرة بالتـدريبات التأملية، وبالحميات الغذائية الخاصة التى تعتمد على العسل وعلى الخل، والـرفض الحاسم والقاطع لقتل أى شىء حى من أجل الطعام أو الغذاء. كان ذلك الصديق يوافق كل من يسأله قائلا: 'نعم' إنه من الحكمة أيضًا أن تكون النباتات الصامتة،ــــ ومـن يدرى ــ أكثر حياة من الأرواح المحطمة، ومنا نحن الذين نسـتهلك هـذه الأرواح.' وبعد ذلك' وفى هدوء، شأنه فى ذلك شأن رجل يعانى كربًا نفسيًا شديدًا، يتجه ذلـك

الرجل إلى كتاب آخر، هو لشخص غريب آخر، كان يسميه نبيا فى بعض الأحيــان، ويسميه جبرانا Gibran فى أحيان أخرى، ويقرأ فى هذا الكتاب مايلى:

ليتك تستطيع العيش على الأرض ،

ويعولك الضوء مثل نبات من نباتات الهواء.

ولكن طالما تعين عليك القتل كى تأكل ،

وتسرق من الوليد لبن أمه لتطفئ به ظمأك،

فليصبح ذلك عملا من أعمال العبادة ....

ومع ذلك تستطيع القول : إن تلك الكلمات التى كان القصد منها إضفاء نــوع من الهدوء على روح ذلك الرجل المتسائل لم نستطع أن تضــفى علــى روح هــذا الصديق الحزينة أى شيء من الراحة أو الاطمئنان .وبالقرب من النهاية اكتشف ذالك الرجل الطريق الأوحد: ألاوهو ألايدنس نفسه أو يفسدها بلمس أية أمرأة من النســاء، ولكنه ادخر منيه كى يعيد الحيوية إلى ذهنه عندما يقف على رأسه بضع دقائق كــل ليلة ومع طلوع الفجر فى كل يوم. فى كل يوم كانت تنطبع على محيا ذلــك الرجــل نظرة بعيدة رمزية دائمة الخضرة، توحى بأن ذلك الرجل دائم التفكير فى الهرب من كل من الفساد والسرمدية. لقد مات الرجل بسبب مرض السل، مات وهو فــى ســن صغيرة،ولكنه جسمه الداخلى كان قد اعتراه نوع من التحلل أكبر بكثير مــن التحلــل الذى يمكن أن يعترى أى كائن من الكائنات الحية الأخرى، بغض النظر عن شيخوخة مثل هذا الجسم أواقترابه من الوفاة. سرى همس ـــ كيف يمكن معرفــة مثــل هــذه الأشياء فى واقع الأمر؟ـــ مفاده أن المرض قد أتى على المادة الهشة فى الرئتين، وأن ذلك الذى ينبغى أن يكون القلب فيه أصبح مجرد عدد كبير من الديدان الحية تجمعت إلى بعضها البعض على شكل قلب. وعليه فإن ذلك الذى لم يتعفن داخل الصــديق لا علاقة له بالخوف من ذلك الذى كان يتحلل خارج ذاته؟ وكم يساوى ذلك الهروب غير الطبيعى فى نهاية الأمر؟ وراح الرجل يتعجب من تلك الصرخة التى تصــدر عــن

طائر الشيشي دودو Chichidodo، هذا الطائر يتحرق شوقًا إلى يرقاته ولكنه يهرب من الأرياح Feces التى وهبت الحياة لتلك اليرقات.

بعد أن عبر الرجل الطريق متجهًا صوب طريق الوصل الرئيسى بالقرب من البحر، قطع المسافة كلها سيرًا على قدميه إلى أن وصل إلى منطقة إيسىEssie ليقف خلف حاجز الأمواج الذى يباعد بين البحر وبين إتلاف الطريق. وبين الحين والآخر كانت تتجه نحوه الأضواء المبهرة فى سيارة من السيارات وتمنعه من رؤية الأشياء، ثم يجيء الظلام بعد تلك الأنوار المبهرة، ذلك الظلام الدامس والحالك أكثر من ذى قبل إلى حد أن قليلاً من الإحساس الضائع المريح الذى كان يعتمل داخل الرجل وحده فى العالم الخارجى، والذى يختلف عن الوحدة التى يكابدها المحبوبون الذين يحيط بهم المحبوبون الذين يكابدون الأحزان، كل ذلك بدأ ينهال على الرجل على شكل آمال حلوة ومحبطة تبددت قبل أن يستطيع الإمساك بها. ومع ذلك، فقد اختمرت الفكرة وثارت فى ركن ما من أركان عقله: الفكرة التى مفادها أن البرىء'بحق ينبغى أن لايهزم بهذه الطريقة بفعل الإتهامات التى يوجهها إليه أولئك القريبين منه... ولكن هذه الفكره لم تخرج إلى خارج حيز نطاق عقله، وراحت تغوص إلى عمق أكبر من ذى قبل، مخلفة وراءها السخط وعدم الرضا. عند الجسر (الكوبرى) كانت تقع تلك البحيرة الموجودة على الجانب الأيسر، وكانت ظلمة تلك البحيرة أحلك من الظلام الذى يطوقها ويحيط بها. وكانت الأضواء التى على سطح تلك البحيرة والتى كانت صادرة عن صيادى السمك الذين يعملون فى الليل، تمتد على شكل ومضات خفيفة طويلة ورفيعة جدًا على نحو يفاجئ العين. وبالقرب من سوق إيسى Essie كان هناك صف طويل من النوافذ الصغيرة التى تطل منها البغايا والمومسات، هذه النوافد كان جمالها من نوع غريب، ومن نافذة من تلك النوافذ تناهت إلى مسامع ذلك الرجل ضحكة صادرة من واحدة من الغرف، وانتهت تلك الضحكه على نحو يفيد أن تلك المرأة الشابه التى ضحكت تلك الضحكة الطويلة قد أصابها الإرهاق والتعب على إثر المجهود الذى بذلته.

منذ وقت مضى – منذ متى؟ قال الناس إن سوق إيسى هو والمنطقة المحيطـــه به كان عبارة عن بحيرة. وإلى يومنا هذا، وبعد يوم من المطر الغزير، تـــرى ذلـــك السوق يتحول إلى نهر سريع، الأمر الذى يجعل السوق يتحول إلى بحيـــرة ضـــحله ويستمر الحال على هذا المنوال إلى أن يتسرب الماء خلال الأرض أو ينصرف ناحية النهر أو يتحول إلى بخار فى الهواء من جديد. وحتى بعد كل ذلك تظل أرض السوق محتفظة بطراوتها، التى تعطى صمتا غير عادى لوقع أقدام كل من يمشى فوقهـــا. وفى أنحاء هذا السوق تنتشر جماعات غير منظمة من رجـــال الفرافـــرة Frafra ومن رجال الهورا وهم يبيعون أرغفة من الخبز بواقع بنس واحد لكل رغيف كمـــا يبيعون أيضًا شايًا فى علب الألبان المستعملة، وذلك بالرغم من عدم وجود مشـــترين حول هؤلاء الباعه فى ذلك القسم من الليل. هذه هى الجدران المصنوعة من الصَّـــاج المضلع تمر سريعة من أمام الرجل بفعل موجات الضوء التى تظهر وتخبو فى ذلـــك الظلام. كانت تتراى للرجل بين الحين والآخر بعض الجدران المبنيـــة مـــن الطـــين والأسمنت ومن فوقها تقفيصة من الحديد تحول دون دخول الضوء إلى الداخل. كـــان الماء الكسول، فوق الأرض، يبحث دون جدوى عن ميازيب كى يســـتطيع المـــرور خلالها، ليشكل فى النهاية رغوة تترآى للناظر إليها أثناء الليل.

كان شجن الموسيقى الكنغوليه الحلو ينساب من خلال نافذة قريبة مـــن نهايـــة صف المنازل الصغيرة، وتوقف الرجل بالقرب من تلك النافـــذة. وأمســـك الرجـــل بقضبان النافذة المستقيمة، وراح ينظر داخل الحجرة. فى داخل الغرفة، كـــان هنـــاك رجل راقدًا على سرير صغير موضوع بجوار الجدار البعيد وبـــالقرب مـــن بـــاب الغرفة، كان الرجل يقرأ فى كتاب.وقف الرجل الموجود خارج الغرفة فترة طويلـــة بجوار النافذة، وهو ممسك بالقضبان الحديدية وراح يطيل النظر إلى ذلـــك الرجـــل العارى داخل الغرفة. ثم تحرك الرجل ليعبر فناء صغير، وطرق باب غرفـــة ذلـــك الرجل العارى. انفتح الباب فى صمت ودخل الرجل الغرفة. لم ينهض الرجل العارى من فوق السرير .رفع الرجل عينيه عن الكتاب بصوره مؤقتة، ثم عاد إلى مواصـــلة

القراءة وهو يبتسم ابتسامة خفيفة. لم يتسبب الرجل فى إزعاج العارى. كان صوت اثنين من المذيعين ينبعث من جهاز الراديو: صوت مذيع وصوت مذيعة، كان المذيعان يقرآن قائمة طويلة من الأسماء التى بدت للوهلة الأولى بعيده جدًا وشديده الأفرقة، ثم انساب بعد ذلك لحن حزين من ذلك الجهاز الصغير. انتقل الرجل إلى الجانب المقابل من الغرفة ليجلس فوق المكتب الموضوع بجوار الجدار ويريح قدمية على الكرسى القريب من المكتب.

توقفت الموسيقى على نغمة طويلة جاءت بعد أن قال الصوتان ذلك الذى يجب أن يكون توديعًا للمستمعين غير المرئيين، وضاعت تلك النغمة فى لحن الإشارة الذى انساب من المذياع. مد الرجل العارى يده اليسرى إلى مفتاح المحطات وراح يديره. كانت الموجات المتسارعة تصطدم بالموجات العائدة، وكانت تتخلل تلك الموجات أصوات عالية، وحادة وقصيرة جدًا. وهنا عبر صوت أغنية سريعه ثم عاد مرة ثانية. كان إستقبال الجهاز ممتازًا، ولكنه ازداد وضوحًا على وضوحه. هذه هى أقرب المحطات، الإذاعة الغانية. كانت الأغنية من الأغانى العادية جدًا عن ' الحياة المرفهة'، ولكن قبل أن تتمكن يد الرجل من إدارة مفتاح المحطات، كانت تلك الأغنية قد انتهت وأعقبتها أغنية لحنها أبطأ من لحن الأغنية السابقة وأكثر عذوبة منها. سحب الرجل النائم على السرير يده من على مفتاح المحطات، ثم أغلق الكتاب الذى كان يقرأ فيه، وراح يستمع إلى المعجزة. كانت المعجزة عبارة عن لحن بطىء جدًا، بالرغم من أن كل ثقب فى تلك الأغنية كان مليئًا بالأصوات التى كانت تحكى، وبحزن بالغ، الكثير للآذان الصاغية، وعندما بدأت الكلمات تنساب من أفواه المغنين، الذين استشعروا تلك الكلمات وأحسوابها كانوا قد أضافوا شيئًا إلى ماتقوله تلك الأغنيات شأنهم فى ذلك شأن المطر عندما يسقط بعد نهار طويل عامرًا بالحرارة والبلل.

هؤلاء الذين باركتهم القوة

وسرعة تحليق النسر

وطاروا فى المقدمة،

دعهم يذهبون.

سوف أنتقل أنا ببطئ،

وسوف أصل أيضًا.

من الواضح أن الأغنية عمقت من صمت الرجل المسترخى على السرير. ولكن فيما يتعلق بالرجل الجالس على المكتب المقابل للسرير، فقد أثار ذلك الحزن عنده أفكاره الشخصية الوحيدة المنعزلة، عندما تكتشف أن مسألة تبرير أمانتها إنما تعد أمرًا بالغ الصعوبة. كيف يستطيع تبرير أمانته فى الوقت الذى لايسأم العالم المحيط به ترديد القول بأن هناك صنفين فقط من الرجال هما اللذان يلجأن إلى الأمانة– الجبناء والأغنياء؟ هذا الرجل، يكون فى أحيان كثيرة من أيامنا هذه محملاً بشعور ملأه اليأس والعجز، ومفاده أنه ليس مجرد واحد من هؤلاء، ولكنه خليط بائس ويائس من الاثنين معًا. هذا الرجل الذى يعانى من الوحدة والمحصور فى الحانة تحركت فيه الأفكار والصور الذهنية؛ هذا الرجل لايسكر ولايشرب ولكنه يحس بالارتباك أكثر من السكارى الضالعين فى الشراب، وعندما قاربت تلك الصور الذهنيه على الإختلاط بذاته، تحول إلى ذلك الرجل المريض الذى يرفض المقامرة بحياته، وترتب على ذلك أن بدأ يستشعر اللوم الحاد والعنيف الذى يلقيه عليه أقرب أقاربه. وطوال كل ذلك الوقت، كانت تلك العيون التى لايمكن تحاشيها أو تجنبها لاتفعل شيئًا سوى أن تطيل النظر إلى ذلك الرجل وتحملق فيه، وتهيء له بوضوح مرعب ومخيف،أن الأمانة، فى هذه الأيام، ليست سوى رذيلة من الرذائل الإجتماعية، عند أولئك الذين يؤثرون أن يغمسوا فى هذه الرذيلة شكلاً شديد العداء من أشكال الأثرة والأنانية وحب الذات،أو إن شئت فقل: شكل من أشكال الأنانية شديدة الإنحراف،

بعد أن يعجلوا بالتسلق

دعهم يذهبوا.

سوف أتجول ببطئ،

ولكنى أيضا سوف أصل

لابد أن شخصًا ما استشعر أوأحس إحساسًا عميقًا بأمر من الأمور مما استنفر فيه أصوات اليأس الطويلة التى ترفض الموت. كم عدد هؤلاء البشر الذين وصلت بهم الحياة إلى مثل هذا الفهم دون أن يدروا عن ذلك أويعرفوه؟ ومامدى صمود ذلك الفهم فى مواجهة قوة الوميض الموشّره والحث المخيف من جانب الجوع عديم الحيلة الذى ينشب أظفاره فى الأحياء والمحبوبين؟ هذه النغمات البطيئة المعلقة التى بدأت تتماوت مع اقتراب نهايتها ، اختفت فجأة اختفاءً تامًا مخلفة وراءها داخل هذا الرجل نوعًا من الإحباط يشبه الجوع الحقيقى إلى حد بعيد. وخلال الصمت الذى أعقب ذلك، راح الرجل العارى المسترخى على السرير، يتنهد، ويمد يده من جديد ناحية مفتاح المحطات فى المذياع بحثًا عن محطة أخرى، ولكن بحثه لم يسفر عن شيء سوى الأصوات اللاسلكية الخشنة، مما جعله يطفئ المذياع فى نهايه الأمر. كان الرجل الجالس على المكتب يراقب كل مايحدث، وعندما وجد أن الرجل العارى لم يعد إلى الكتاب مرة ثانية، راح يتحدث إليه قائلاً:

'أنا لم أعرف شيئًا عن تلك الأغنية؛

'لا. وأنالم أسمعها للمرة الأولى إلا فى هذا الصباح.'

قال الرجل:'وأنا أعجب من ذلك الذى أبدعها.'

رد عليه الرفيق'أنت على حق،أنا أود أن أعرف ذلك الذى أبدع هذه الأغنية. قلة قليلة من الناس هم الذين يرون الأشياء ثم يقولونها. أود أن أعرف مؤلف هذه الأغنيه.'

'يقولون إن الفرق هى التى تؤلف أغانيها.'

'شعراء فشلوا.'

'لماذا؟'

'واقع الأمر، أنى لم يكن من حقى قول ذلك. كان المفروض أن أقول عكس ذلك الذى قلته تمامًا.'

'ماذا عنا نحن أنفسنا؟'

يذهب السؤال أدراج الرياح عندما يهب الرجل العارى واقفا ويترك السرير، ثم يتناول قلما من أقلام الرصاص الموضوعه فوق رف الكتب القريب من السرير ويضعه داخل الكتاب فوق رف الكتب ثم يعود إلى الجلوس فى السرير من جديد، ويسند ظهره على شباك السرير ثم يسحب ركبته إلى الأعلى.

ويتساءل الرجل الجالس على المكتب، وهو يشير إلى الكتاب،' ماهذا الكتاب؟'

'لقد رأيته بالأمس. كان ذلك هو العنوان الذى استهوانى. عنوان الكتاب: ذلك، الذى ينبغى أن يموت. مؤلف الكتاب يونانى.'

'هل هو كتاب جيد؟'

'إيه جيد جدًا. هناك أشياء كثيرة طيبة لاتتهيأ لنا فرصة مشاهدتها أورؤيتها. إذ يتعين ترجمة تلك الأشياء فى بدايه الأمر. وحتى بعد ذلك...'

صمت الرجل الجالس على المكتب فترة قصيره لم يقل خلالها أى شىء، ثم قال: 'الناس يمكن أن يرونك على هذا الحال من خلال نافذتك.'

قال الرجل الجالس على المكتب :'هذا إذا ما اهتموا بالوقوف وإطالة النظر إلى الأشياء. وهذا لايضايقنى أويشغلنى.'

تكلم الرجل الجالس فى السرير وقال كلاما لا هو بالخبر أو السؤال إذ قال: 'وعليه.'

قال الرجل: 'أردت الدخول والالتقاء بك.'

هز المستمع رأسه مؤكدًا: ' أنت هارب من الهدوء العائلى مرة ثانية.'

'الأمر خطير فى هذه المرة.'

'إنه خطير فى المرات كلها.'

قال الرجل: ' من حقك أن تضحك.'

تساءل الرجل العادى،' هل تعتقد ذلك؟ هل تظن حقيقة أن بوسعى أن أضحك؟' كان الرجل لايزال يبتسم.

قال الرجل: ' حسن، أنت لم ترتكب أقذع الأخطاء وأخطرها.'

ضحك الرجل العادى بصوت عالٍ.' أنت لست بحاجة إلى حياتى، وهذا ما أصارحك به.'

'أيها المدرسTeacher، أنت تحول الأشياء إلى نكات.'

'أنا آسف. أنا لاأقصد ذلك.' كانت هناك نبرة حزينة فى صوت الرجل، وراح الرجل الجالس على المكتب ينظر إلى الأرض المصنوعة من الأسمنت تحت قدميه.

قال:' لقد عيَّرتنى أويو Oyo بانعدام جدواى هذه الليلة.'

'ماذا حدث؟'

لقد نعتتنى بأنى مثل طائر الشيشى دودو CHichidodo '

'آه إنه مثل، أظن أنه ليس مثلاً؟ هذا الطائر يأكل الغائط، ويكره الديدان؟'Teacher

'نعم' العكس هو الصحيح، أيها المدرس.

'لماذا قالت أويوهذا الكلام؟'

'حكيت لها ماحدث لى فى العمل اليوم. وعرض على رجل رشوة؟'

'تحولت أنت إلى قاتل، وتخليت أنت عن تلك الرشوة؟

قال الرجل: 'تخليت عنها.'

'تنتظر الصفح والعفو من أسرتك بعد ذلك.'

قال الرجل: 'أنا أفهم ماتقول جيداً. أنا أفهمك بعقلى عندما تتكلم بهـــده الطريقـــة الباردة عن مثل هذا الشيء. ولكن الناس يريدون الكثير.'

'الناس يتطلعون إلى الحصول على مايتمتع به الآخرون، هذا هو كـــل مـــافى الأمر.'

'وهم لاتهمهم الوسيلة التى يمكن الحصول بها على ذلك؟'

'هذا أمر لايهمهم بطبيعة الحال. هناك طرق عديدة للحصول على ذلك. وأنت، بصفتك زوج يتعين عليك اكتشاف تلك الطرق. هذا أمر فى غايـــه البســـاطة ألـــيس كذلك؟'

قال الرجل: ' أنت تعرف جيدًا، أنه ليس هناك سوى طريق واحد فـــى نهايـــة المطاف. طريق واحد لأمثالنا من الناس.'

'حسن، وماذا بعد.'

'ماذا تعنى بكلامك حسناً، وماذا بعد أيها المدرسTeacher ؟'

،هل أنت مندهش عندما يغضب أهلك معك لأنك لم تسلك أوتمشى فـــى ذلـــك الطريق الوحيد المفتوح أمامهم؟'

'آه، من ذلك الطريق الأوحد!'

قال الرجل العارى، ' هذا كلام دقيق. ذلك الطريق الأوحد هو المســار الــذى تريد أنت أن تتحاشاه. ما الذى سيفعله أهلك إذا ما تحاشــيت ذلــك الطريــق؟ هــل سيتظاهرون بأنهم لم تعد لديهم رغائب أو نزوات'

'إنهم سيدمرونى ويحطمونى أيها المعَلم.'

'أوقد يجعلونك رجلاً عظيمًا. واحدًا من هذين الاثنين اللذان يعرفان؟'

أغمض الرجل عينيه وترك قدميه يترنحان مــن تحتــه. أخطــأت القــدمان الأرضَ.

قال.'الذى لاأفهمه هو إحساسى الخاص حول هذا الأمر. أنا أعلم أنــى لــم أقترف أى خطأ من الأخطاء. وأنا بوسعى أن أختلف مع أويو Oyo حول هذا الأمر. ومع ذلك، ومع كل ذلك، فأنا هو ذلك الشخص الذى يشعر بالغربة والغرابة.'

'أنت الرجل المدان.'

'نعم. أحس كما لوكنت مجرما. أنا أجد نفسى فى أغلب الأحيان، هــذه الأيــام وكأنى أفكر فى شىء مفاجئ بوسعى أن أفعله كى استعيد نفسى فى عيون أهلى. ثــم أجلس بعد ذلك وأروح أسائل نفسى عن الخطأ الذى أرتكبته، وأجدنى لا أصــل إلــى شىء.'

قال الرجل العارى:' أنت لم تفعل ذلك الذى يفعله الآخرون؛ وهذا يعد جريمة فى العالم الذى تعيش فيه. وأنت على علم بذلك بصورة دائمة ومستمرة.'

أوقف الرجل الجالس على المكتب عمليه مرجحة رجليه، ثم راح ينظر إلــى صديقه. وقال:' إذا كانت تكرهنى إلى هذا الحد، فما الذى يضطرها إلى البقاء معى؟'

تساءل الرجل العارى'' إلى أين تذهب أوتروح ؟ يضاف إلى ذلك أنك تبــالغ فى الأشياء. أولاوقبل كل شىء، فإن مثل طائر الشيشــى دودو Chichidododo من حيث أنه أهانه لشخص متزوج، يعد شيئا بسيطًا جدًا.'

'أيها المعلم، أنت من عادتك أن يكون كلامك مفعمًا بالود والحنان.'

'أنا آسف عما قلته.'

بقى الرجل الجالس على المكتب مطرقًا ونظره متجه إلى قدميه الممـــددتين. حول الرجل العارى وجهه ناحية الرجل الجالس على المكتب وراح ينتظـــر بدايـــة الحديث.

وعند مايحين الوقت يسخر ذلك المعلم Teacher من آلامى، فـــإلى أيـــن سوف أذهب بعد ذلك؟'

قال الرجل العارى:'أنا لم أكن أسخر منك. ولكنى كنت أفكر فـــى زوجتـــك. زوجتك هذه، إمرأة مؤدبة جدًا.' قال الرجل هذا الكلام وجاءت الضحكة التى أعقبت ذلك الكلام طويلة وجافة.' أنا أحس وكأنها قالت لى هذه الكلمات أيضا. أنا أرى أننـــا كلنا صنو واحد.'

'كلنا ماذا؟'

'كلنا طيور شيشى دودو، أقصد هؤلاء الذين لاتقوى أمعـــاؤهم علـــى اللعبـــة الوطنية.'

قال الرجل:'أنا لم أسمعك مطلقًا تتكلم عن تلك اللعبة الوطنية.'

هذه ليست طبيعتى، وأنا صادق فيما أقول. لقد أمضيت وقتًا طويلاً وأنا أحاول الهرب من تلك اللعبة.'

'ظننت أنك واحد من أولئك الأشخاص المتحررين تمامًا من كل ذلك.'

'لا. لقد حاولت التحرر من ذلك، ولكنى لست حرًا، ولن أتحـــرر مـــن ذلـــك مطلقا.' انقلب الرجل العارى على جنبه ورفع جسمه متكئًا على كوعه الأيمن ليصبح مواجهًا للرجل الجالس على المكتب.' كل شىء كان طيبًا تمامًا، الشباب وماء الحيـــاة النقية الأمينة ينساب إلى الأرض الظمآنة، أليس كذلك؟ ولكن ماذا يحدث عندما تخرج

ونجد أن الأرض بحاجة إليك، وأنت لست أمينًا أوحيًا، وإنما شبيه تمامًا بــذات هــذه الأرض الميتة؟ ألا يخطر ببالك أنى أيضا كنت أعجب وأندهش لهذا الأمر؟'

قال الرجل:'أنا أعرف أنك الشخص الوحيد الأكثر تحررا من بين كل أولئــك الذين أعرفهم.'

'إذن، فكل أولئك الذين تعرفهم هم من العبيد.'

'حسب كلامك، يبدو أنك هربت من نداء الأحباء والمحبوبين.'

'نعم، ولكنى لست حرًا. فأنا لم تتوقف رغبتى فى لقاء أولئك المحبوبين، وفى لمسى لهم، ولكنك تعلم أن المحبوبين يصبحون ميتين حتى عنــدما يمشــون حــول الأرض مثل الأحياء، وأنت تعرف أن كل مايريده أولئك المحبوبين هــو أن تخلــص ذهنك وعقلك من ذلك الشىء الذى يجعلك تظن أنك مازلــت حيًــا، وأن أحضــانهم ستكون ترحابا بك فى الموت.'

'من هنا يهرب المعلم.' Teacher

'من هنا، أنا أهرب بالفعل. أنا أعرف أنى لاشىء ولكن لن أكــون أى شــىء مطلقًا بغير هؤلاء المحبوبين والأحياء، وعندما تتملكنى رغبه التوقف عن ألا أكــون شيئا، عندئذ تتملكنى من جديد رغبه العودة إلى أولئك الذين هربت منهم. ويستمر ذلك إلى أن أرى تلك الأذرع المحبة وهى مفروده، لكى تهدى إلى الموت. وعندها أتوقف واستدير حولى وأعود إلى هنا، لكى أعيش حياة العزلة.'

يرد الرجل، 'ولكنك أنت الذى أخترت ذلك بنفسك ،أليس هذا أفضل بكثير عما كنت فيه؟'

'تقول ؟أفضل؟ أتسكع... لاشىء ... هذا يعتمد على أمور كثيرة.ولكنك تعلــم أن ذلك ليس خيارًا بين الحياة والموت، ولكن مانوع الموت الذى يمكن أن نتحمله، فى نهاية المطاف. ألم تتبين أن الخلاص غير موجود فى أى مكان من الأماكن؟'

' زوجتى تظن أن الخلاص موجود.'

قال الرجل العارى :' هناك خلاص من نوع ما، بطبيعة الحال ؛ ولكن ذلك الخلاص يكون فى إطار إدانتنا ذاتها.'

'أيها المعلم، أنت تتحدث مثل واحد من أولئك المؤمنين الجدد.'

' المؤمنون هم أصحاب الكلام الواضح تمامًا.'

' لقد رأت زوجتى الخلاص الحقيقى.'

'كيف عرفت ذلك؟'

'هى تتحدث عن ذلك، أيها المعلم. الخلاص الحقيقى هو الوميض المبهر فى المنازل الصغيرة الجديدة، الخلاص الحقيقى هو البريق الساطع للسيارات المرسيدس الجديدة القوية، وهو أيضًا عبيق العطور الغالية، وطواقى الشعر المستعار.'

'الخلاص هو النقود، فى نظرك.'

قال الرجل نعم' أيها المعلم، الخلاص هو النقود، ولكنه ليس النقود وحدها، وإنما القوة أيضًا. والخلاص يتجمع فى أيامنا هذه فى شخص كومسون *Koomson* .'

'احترس، يارجل. الأسماء الكبيرة يجب أن لاتنطق مجردة. سعاده جوزيف كومسون، الوزير المفوض، عضو لجنة الرئاسة، بطل حزب العمل الإشتراكى.هل هذه هى مظاهر الأحترام التى تشير إليها وتقصدها؟'

' زوجتى، هى وأمها تعتقدان أنه على وشك أن يجعلهما أثرياء.،

'حسنًا، قد يستطيع ذلك.'

'تتحدثان عن القوارب. الطريقة التى تحكى بها والدة أويو Oyo ، تفيد أن كومسون على وشك أن يشترى عددًا كبيرًا من قوارب الصيد ثم يقدمها لوالدة أويو.'

'هذا شيء ممتاز أقول إنه شيء ممتاز يارجل. لاتنسانى عندما تأتى الأسماك.'

'إن كومسون سيخذلهما ويخدعهما.'

'أنت لاتعرف مايدور، أيها الرجل. كل مافى الأمر أن تغمض عينك وتروح تراقب مايدور.'

صاح الرجل، 'لكنى أعرف ذلك!'

'إذن، أنا موافق على ماتقول. اذهب وقل ذلك الذى تعرفه . وسوف تكرهك زوجتك إذا ما فعلت ذلك، كما أن أمها سوف تتكلم معك عن الحسد.'

'لكنى ،أيها المعلم. لايمكن أن أجلس وأرى بعينى أن أويو Oyo هى وأمها يجرى استغفالهما بواسطة كومسون. هل يمكن أن أفعل ذلك؟'

'لم لا؟ أنا أنصحك بأن تفعل ذلك بكل دقة. اتركهم يفعلون مايريدون. ربما استطاعوا تحقيق الثراء. أنت لاتعرف كيف تحقق لهم الثراء،إذن اتركهم يجربوا ذلك هم بأنفسهم.

'يارجل،إنس كل مايتعلق بإحساسك حول هذا الموضوع. وأنت إذا ما منعت زوجتك وأمها من الحصول على قوارب الصيد، سيكون لك عدوان يظلان على مقربة منك طوال الجزء المتبقى من حياتك؛

نزل الرجل من فوق المكتب. وبدأ يمشى على غيرهدى داخل الغرفة، وكان يقف أمام الجدار كى يفرد طوله عليه.

قال: 'أيها المعلم، إنهم يلجأون إلى موضوع القوارب هذا كوسيلة لغاية، هم يستعملون ذلك الموضوع كي يضربوني به على رأسي مع بداية كل يوم من الأيام المرعبة والمخيفة، يلجأون إلى هذا الموضوع كي يجعلوني أحس بانعدام قيمتـــي. وأسوأ ما في الأمر أني أعلم أنهم نجحوا فيما يخططون له. وأنا أسائل نفسي دومًـــا عما بي من أخطاء. وهل أنا ينقصني عضو من أعضاء جسمي؟ أيها المعلم، هــذا الكومسون كان زميلاِلي في الدراسة. أقول أيها المعلم،إنه كان معـــي فـــي فصـــل دراسيٌ وٌاحد.إذن، خبرني، وقل لي: ماذا ينقصني؟ وماهو العيب الذي فيّ؟

' ربما أنك لاتعرف كيف تكذب بطريقه جيــدة، فضــلاًعن خوفــك مـــن السرقة.هذا هو العيب الذي فيك. هل لديك أية صراعات أخرى؟'

قال الرجل:'كنت أتبين ذلك في بعض الأحيان. ولكني أقول لنفسي، في هذه الأيام، إن تلك أعمال صبيانية. كنت أستمد من ذلك شيئًا مـــن القـــوة فـــي بعـــض الأحيان.'

'ترى ماالذي حدث حتى يجعلك تغير نظراتك إلى الأشياء؟'

'إنها أويو Oyo .'

'لماذا، هل هي تنتظر طفلاً آخرًا؟'

'ليس هذا هو السبب، ليس هذا هو السبب على الإطلاق.'

'حكت لي عن أسلوبها في النظر إلى هذه الأمور. وبدءً من ذلك اليوم بدأت تختفي مني تلك الطاقة التي كنت أستلهمها كي أستعين بها؛ وهنا تحـــرك الرجـــل مبتعدا عن الجدار ثم وقف أمام المكتبة، كما لوكان يبحث فيها عن عنوان محــدد. ولكنه لم يتوقف عن الكلام.

'في يوم من الأيام شرحت أويو Oyo لي كل شيء. وأظن أن ذلــك تـــم عندما تطرقنا أولا لموضوع القوارب هذا، وتكلمت بقدر كبير من التفاخر مؤكـــدة

أن الوزير سوف يفعل وينفذ ذلك الذى تكلم عنه. وكنت قبل ذلك قد سألت والـدة أويو عمن سيدفع ثمن تلك القوارب.أى وزير تعنين؟ هو كومسون بطبيعة الحـال. كانت هى الوحيدة التى تدعوه الأخ جوJoe ؛ عجبًا، الآخ!آه قلت:أنـا أعـرف أن كومسون.ليس لديه من المال مايمكنه من دفع ثمن هذه القوارب، بل وحتى قارب واحد منها.هذا الشيء يكلف آلافًا مؤلفه من السِّيدات Cedis .وهنا سألتنى حماتى فى شيء من الصبر والتأنى عما إذا كنت أعرف أن كومسون صاحب نفـوذ أم لا. أسمته نفوذًا. كنت قد تناولت قصاصة من الورق ورحت أحسب فيها صافى راتب كومسون اعتبارًا من تاريخ انضمامه إلى الحزب. وهنا ألقيت بقصاصـة الـورق على الأرض وقلت: "أوه لقد فهمت." وهنا تساءلت حماتى بنفس الصبر، عن ذلـك الذى فهمته فى نهاية الأمر. وهنا ازداد غضبى مماجعلنى أقول لها: إننى فهمت أن هناك فسادًا هناك سرقة عامة.'

'لقد أسأت التصرف. لقد كنت غير وطنى فى واقع الأمر.'

خرجت حماتى من منزلى.'

'حسنًا . فلتسقط العناصر المخربة التى تهاجم نسيج الأمة'

'كنت أحسب أن أويو سوف توافق على ما أقول بصورة أو بأخرى. ولكنـى كنت مخطئا فيما ذهبت إليه. وبعد أن غادرت أمها منزلنا راحت أويو تتحدث معـى عن حياتها، وخطر ببالى أنها توصلت إلى أساليب جديدة تضفى على زواجنا مزيـدًا من البهجة. كما هو الحال فى الفلسفة.'

'كان مفروضًا أن تكون قسًا. فأنت لديك الكثير من الأفكار المشوبة بـالعطف والحنان.'

'أيها المعلم، لقد أوضحت زوجتى لى خطوة بخطوة، أن الحياة شبيهة بعدد من الطرق. طرق طويله، وطرق قصيرة، وطرق وسيعة وأخرى ضيقة، وطرق منحدرة وطرق مستوية، كل أنواع الطرق. ثم طلبت منى أن أعرف أن المخلوقات البشـرية

يشبهون أناسا كثيرين ممن يقودون سياراتهم على هذه الطرق كلها. وكانت تلك هـي النقطة التى أخبرتنى عندها أن أولئك الذين يودون الوصول إلى مسافات بعيدة يتعـين عليهم تعلم القيادة السريعه. ثم طلبت منى بعد ذلك أن أطلق اسما على أولئـك الـذين يخافون من القيادة السريعة، أو أولئك الذين يخشون من القيادة بشكل عام. لـم يكـن عندى إسم كى أعطيه إياها، ولكنها لم تكن قد أنهت كلامها. قالت لى: الحوادث يمكن أن تقع ، ولكن الخوف من الحوادث لن يمنع الناس من ممارسة القيادة، وجو JOE كومسون سبق له أن تعلم القيادة.'

'اسمح لى أيها الصديق،أن أخبرك بطالعك. أنت مع زوجة من هذا النوع لـن تكون غنيًا وحسب. بل ستكون عظيما فى وقت قريب.'

'سوف أتذكرك أيها المعلم. ولكن ألاتستطيع أن تتبين صدق ذلك الذى تقولـه هذه الزوجة؟'

ضحك الرجل العارى وقال:'أنا أستطيع تبين ذلك. لقد رأيت ذلك بوضوح تام مما جعلنى أنفق وقتًا طويلاً فى الجرى هربًا من صدق هذا الكلام.'

'لقد كانت محقة،ولم يكن الأمر من قبيل الفلسفة. لقد كانت تتكلم عن غانا.'

'الحوادث فقط هى التى يجرى الإمساك بها.'

قال الرجل:' هذا صحيح، أيها المعلم؛ أضف إلى ذلك أن السائق هو أنا.'

'إن السائق هو أنت.'

'اعتبارًا من ذلك اليوم لم أستطع أن أباعد بينى وبين الاندهاش من أنى لم أكن أعرف ذلك الإرتباك الذى أصابنى، وأين أصابنى. لقد كان كومسون رفيقًا لى أثنـاء الدراسة.'

'أنت تقول ذلك كما لوكنت تردد إبتهالاً.'

راح الرجل يقطع الغرفة جيئة وذهابًا،' إنه لم يكن ذكيًا تمامًا. الغريـــب، أنـــه كان غبيًا بحق.'

'ربما يكون قد حصل على عقل جديد.'

قال الرجل:' العقل الجديد هو قدمي. ولكن هذا هو ما لايراه أهلي.كومســـون يحقق نجاحًا كبيرًا فيما يتعلق بنفسه... وأي رجل، يكون لديه مخ جديد، في هذه الأيام يستطيع أن يحقق النجاح... أمثال هؤلاء الناس يجعلوني أحس وكأني مجرم.'

'بوسعك أن تتكلم على هذه الشاكلة. أنت حظيظ.'

'أنت لاتعرف مدى الرعب الذي يمكن أن تنطوي عليه الوحدة والعزلة.'

'أيها المعلم، لقد أخترت أن تكون وحيدًا.'

'السبب في ذلك أنني لاأستطيع القيادة.'

'لديك كل حريتك.'

'هذا يجعلني مجرمًا أكثر مما أنت عليه. أنت ترانـــي بالنهـــار وتظـــن أنـــي حر.وربما تتخيل أني سعيد أيضًا. وعليه، داوم على ظنك هذا. ولعل ذلك يولد لـــديك شيئًا يجعلك تتعلق بالأمل. ولكني أقول لك: إن هؤلاء الذين هربت منهم يزورونني في أحلامي. هناك أمي. وهاهي، في أضعف الأحوال، تتركني وحيدًا، ولكنها قبل ليلتين كانت معي في الحلم، وكان ذلك الحلم مليئًا بالذنوب والآثام والخوف والوحـــدة. لقـــد وصلت إلى مكان يشبه إلى حد بعيد المنطقة المحيطه بمبنى المحكمة فـــي المنطقـــة المجاورة لبلدة باكانو Bakano في إقليم ساحل Coast الرأس Cape يوجد بالقرب من مبنى المدرسة الحكومية القديمة منزل كبير، هذا المنزل كان يشبه القلعة، وكان مدهونًا بلون ناعم أبيض، وهذا البياض مشوب بمسحة قليلة من اللـــون البنـــي.هـــذه القلعة، التي رأيتها في الحلم، كانت مملوكة لأمي. كنت قد وصلت مع رفيقـــي الـــذي شاركني كل رغباتي الروحية، إلى هذا المنزل، قادمين من مسافة بعيدة، ونحن نبحث

لأنفسنا عن ملجأ فى بيت أمى. كان المنزل كبيرًا جدًا. كان فى المنزل عدد كبير من الغرف، ولكنى عندما تحدثت مع أمى بدت لى ممزقة من داخلها بفعل قرار من القرارات المستحيلة. ولكنها عقدت العزم فى نهاية المطاف، وخرج من فمها سيل من الكلام، وكانت كل قطرة من قطرات ذلك الكلام مليئة بالاستياء والكراهية التى ترتبت على الإحباط الذى أصابها وخيبه الأمل التى ألمت بها جراء تصرفاتى." نعم، أنيت جئت هنا لتناول قسط من الراحة، أنت يامن لم يصنع أى شىء هنا على الإطلاق، وعليه ماالذى أعطيتنى إياه على امتداد حياتك إلى الآن، وماهو العون والمساعدة التى قدمتها لى؟ وها أنت قادم إلى هنا، إلى هذا المكان." وعندما بلغ غضب أمى أقصى مداه طردتنى من البيت إلى عرض الشارع. سرت مسافة قصيرة'سرعان ماوجدت نفسى فى مكان فيه منازل أكبر حجمًا وأكثر إظلامًا بين البيوت الأخرى التى سبق لى أن شاهدتها، كما كانت الشوارع أوسع ومخلخلة السكان أكثر من الشوارع الأخرى، كما شاهدت أيضا أناسا لم يخطر ببالى أنهم يمكن أن يعيشوا ويحيوا فى هذا العالم. ألا تزال تعتقد أنى رجل سعيد؟'

قال الرجل : 'كلنا لنا أحلامنا.'

'ولنا متاعبنا أيضا. كيف لى أن أظن أنى أفعل الصواب عندما أكون وحيدًا وأن هناك الكثيرين الذين هربت أنا منهم؟ من هو المصيب بحق؟ أنا أعلم أنى إخترت شيئًا، ولكنه ليس ذلك الشىء الذى كان يمكن أن أختاره لو أنى كانت لدى القوة التى تمكننى من الإختيار الصحيح. أنا مجرد شخص جالس هناك، وأنت إن كنت تظن أنى أسعد منك يامن تقود السيارة هناك، فأنت لاتعرف ذلك الذى أحسه فى داخلى. كان لدى الكثير من الآمال قبل الآن.... كان لدى آمالاً كثيرة وكبيرة...'

قال الرجل:' أنا لست على يقين من أنى كان لدى مثل هذا الأمل.'

'آه، أن تتناسى الأشياء التى وقعت لك أثناء تعاستك.'

'أنت على حق فيما قلت. كل ما أتذكره بصورة واضحة هذه الأيام هو أنني أسير في مسارات اختارها الغير لي قبل أن أتخذ أنا قراري، وهذا هو الذي يجعلني أحس كما لوكنت واحدًا من الرجال العاجزين أو المعاقين. وأنت أيضًا بوسعك أن تقول لي: إنك تكابد الإحساس نفسه. أنت أيها المعلم، لديك مثل هذه الحرية ومثل هذا الخيار أيضًا. أنت لديك حريتك الخاصة بك.'

'هذا لايشكل أمامي أية عقبة من العقبات. ونحن إذا لم نستطع أن نضحي بأنفسنا من أجل شيء نؤمن به، تصبح الحرية بلا معنى على الإطلاق. أنت تعلم، أنني حر في فعل ما أشاء، ولكن هناك أشياء تقع أود أنا المشاركة فيها. كان هناك شيء ما، وأنت تعرف ذلك الذي أعنيه وأقصده.'

صمت الرجل لحظة ثم قال: 'أنا أعرف ذلك.' قالها كما لوكان قد توصل إلى شيء مختلف تمامًا.' أنت مازلت تراودك الآمال، أيها المعلم؟'

'أية آمال تقصد؟'

'أي شيء . نهاية لهذا..... بداية لشيء آخر، ألا تأمل في الحصول على أي شيء من الأشياء؟'

'لا. أنا لاآمل في الحصول على أكثر مما لدي. أنا لاآمل بأي حال من الأحوال. أنا لم أعد أستشعر أي أمل في داخلي. أنا قادر على رؤية الأشياء، ولكنني لست كثير الإحساس. والإنسان عندما يستطيع رؤية نهاية الأشياء حتى وهي في بداياتها، يصبح الامل معدومًا، اللهم إلا إذا كان الإنسان يريد التظاهر والإدعاء، أو النسيان، أو يسكر أوأي شيء من هذا القبيل لا أنا أيضًا واحد من أولئك البشر الأموات، الموتى الذين يمشون. أنا مجرد شبح. لقد مت منذ زمن بعيد.لقد مت منذ أزل بعيد إلى حد أن سلب الدم الحي القديم لن يجعلني أحيا من جديد.

تقلب الرجل العاري في سريره. وأدار المفتاح الأيسر من المذياع إلى أن توقف المفتاح عن الحركة، ثم ضغط الرجل على مفتاح المحطات إلى الداخل مما

جعل الخط الاحمر يعبر الواجهة الزجاجيه كلها. وعندما توقف الخط الاحمر انبعث خلال الهواء صوت رجل، مصاحبًا لصوت آخر الأمر الذى ترتب عليه بقاء صدى ذلك الصوت مدة طويلة، هذه كلها ذبذبات، فى حين كانت أصوات الموسيقى العالية أكثر من اللازم تغمر الغرفة قادمة إليها من وراء المحيط، أو إن شئت فقل: عبر البحار. وهنا أطفا الرجل العارى المذياع ومعه ذلك الصوت أيضا، ثم تمدد على ظهره، وكان ذراعاه يرتفعان وينثنيان حتى يتمكن من إسناد رأسه بين كفيه، ويسترخى بصورة مريحة، وكان نظره مثبتًا على سقف الحجرة.

وفى الجهة العكسية، قصد الرجل عائدا مره ثانية إلى المكتب ليجلس فوقه من جديد، ولكنه فى هذه المرة كان كله ، تفكيرًا، وإصغاءً وإمعانًا فى النظر.

الفصل السادس

لماذا نبدد الكثير من الوقت فى أسفنا ورثائنا على أنفسنا؟ صحيح أننا أصبحنا رجال، ولكن قبل

وقت ليس بطويل كنا مجرد خلائط من لحم طرى والعظم غير المشكل، وأن تلك الخلائط تتضاغط خلال ثقوب متفجرة، وتلازم الروث وكذلك الدم الفاسد. لم يكن بوسعنا عندئذ أن نسأل عن الأسباب التى حتمت النمو علينا أيضًا. إذا كان الأمر كذلك، فلماذا يتعين علينا أن نروح نهز رؤسنا ونتعجب تعجبا شديدًا من الأسباب التى تجمع الأطفال مع كبار السن، وعن أسباب عدم توقف الزمن عندما نكون قد وصلنا إلى المحطات التى نود عندها الحصول على قسط من الراحة؟ الأمر هنا يشبه حال الطفل، عندما توقف الحركة كلها.

ومع ذلك فإن الرعب الذى يبعث على الدهشة والعجب ويهز الانسان من أعماقه كما يثير الغثيان، لايكون مصدره المرض الداخلى الذى يصيب روح الفرد. وفى هذا الأتجاه مرت علينا حركة قادرة على إصابة المعدة السليمة بالمرض. الذى يؤلم العقل المفكر ليس هو الحركه بحد ذاتها، وإنما السرعة التى تنطوى عليها مثل هذه الحركة والتى تبعث على النعاس والنوم. هذه السرعة هى التى تنطوى على هذا الرعب والفزع. لو كنت قد توقفت عند مجرد السؤال والتساؤل لقلت إن ذلك أمر شاذ وغير طبيعى، ولكنه شاذ لأى نوع من أنواع الطبيعة؟ كل حركة، وكل نمو، بل وكل شىء يحمل فى طياته طبيعته الخاصة كيما يحبط حكمنا المستقبلى. وأنا الآن، عندما أكون قادرًا على النظر إلى ماوراء الجمال، وبخاصة جمال الأيام الأول، أعنى أيام الميلاد، أستطيع تبين النمو. وهنا أقول لنفسى إن ذلك هو ماينبغى أن يكون الحال عليه. ليس هناك من بين الأشياء مايحتم إبعاد القلب بحركه مضطرده، عن جمال الأيام الأول. وأنا أرى أن النمو، هو كل ما يمكن فى ذهنى وفى عقلى. ، أنا عندما أتبين، عندما لايكون هناك ما أحسه واستشعره أجدنى غير مضطرب. ولكن هذه

المشاعر غير المرغوب فيها تطبق علّى فى نهاية الأمر. وتصيب الذهن المتعب بالإضطرابات جراء تلك الافكار التى لاتنتهى ولا تبعد عنى. إن الأمور تتسارع بشكل مريع ومخيف، من تلك الأيام التى كان الرجال فيها لايخجلون من الحديث عن الأرواح وعن المعاناة، وعن الأمل، إلى أن تصل هذه الأيام المتدنية التى تنطوى على الإبتسامات التى لن تتورع مطلقا عن المسارعة إلى إخفاء معرفة الغدر والخيانة والخديعة . هذا التحلل السريع ينطوى على شكل من أشكال الرعب التى لايمكن مقاومتها.

عندما كنت فى المدرسة، وبالتحديد عندما كنت فى المستوى الخامس، وجد واحد منا، صبى من الصبية، متعة خاصة فى أن يثبت لنا جوانب صادقة، ولكن غير متوقعة فى العالم الذى نعيش فيه، جاء هذا الصبى وعرض علينا شيئًا، أنا على يقين، أن أحدًا منا لم ينساه. أطلقنا على ذلك الصبى أى أبوليجا Aboliga الضفدعة Frog. كانت عينا هذا الصبى تشبه عينى الضفدعة. أحضر لنا أبوليجا هذا ذات يوم كتابا عن الأهواء والنزوات والغرائب وعرض علينا أشياءه المفضلة من بين أشياء ذلك العالم. عرض الصبى علينا صورة فى تعليق أو تذييل يقول: أن ذلك الرجل الطفل Manchild القديم. وأن ذلك الرجل الطفل ولد وله كل خصائص الطفل البشرية، ولكن هذا المخلوق أكمل خلال سبع سنوات الدائرة من الطفولة إلى الصبا ثم الشباب، ثم النضوج ومنه إلى الشيخوخة، كما مات ذلك المخلوق فى عامه السابع ميتةً طبيعية. صورة أبوليجا الضفدعة هذا كانت لرجل طفل فى مرحلة الكهولةً ، كان الرجل كهلاً فى كل شيء فيما عدا صغر حجمه، وهذا الشيء بحد ذاته أدى إلى تعميق ذلك الشذوذ. هذا الرجل الطفل كان يبدو عليه العجز تمامًا، كان يبدو عليه التحلل أيضًا، وذلك على العكس من الرجال المعتادين الآخرين. ولكن هذا المخلوق، كانت له بطبيعة الحال، طبيعة خاصة به هو، إلى حد أن أولئك الذين اكتشفوا أرضًا صلبة، هم وحدهم الذين يمكن أن يدعوا أن الطبيعى سيكون من حقه أن يقول: إن ذلك غير طبيعى. ولكن أين أرضى الصلبة فى هذه الأيام؟ ولعلنا نقول:

إن الدائرة بدءً من المولد إلى الممات (التحلل) كانت قصيرة. قصيرة، ومختصرة أيضا. ولكنها لم تكن شاذة أوغير عادية على الإطلاق. وحتى فى التحلل النهائى هناك أشياء تذكر العقل الفضولى بالبدايات القديمة، وتتطلع إلى وعود بأشياء جديدة، أشياء من قبيل يأس الإنسان. لقد سمعت ذلك الألم من قبل، فى ذلك الوقت تضاعف الألم مرات ومرات ، ولكن ربما حدث ذلك من قبل، في ذلك الوقت تضاعف الألم مرات ومرات، ولكن ربما حدث ذلك لأنى لم أكن وحيدا فى ذلك الوقت، ولم أكن منعزلا عن الباقي. قد تكون هناك أصوات وحيدة أخرى ومنعزله تكابد اليأس وتعانيه فى الوقت الراهن. وأنا لن أسمح لذلك الصوت أن يظهرنى أو يدخلنى إلى خشبة المسرح، حتى وإن تضخم ذلك الصوت، مثلما فعل فى الأيام التى كانت مفعمه بالأمل. لن أسمح لذلك الصوت بإظهارى، طالما رأيت بنفسي تحطيم الوعود التى قطعها ذلك الصوت على نفسه. ولكنى أقاوم ذلك الصوت. لأنه سيصبح شبيهًا بالفلينة.

أليس من المدهش أن تكتسب أحداث الماضى السيئة حلاوة فى الذاكرة. الكروب القديمة هى مجرد صورة ومذاقات لايترتب عليها أى نوع من الأذى، شأنها فى ذلك شأن الشامات التى يمكن أن تكون حالياً مصدرًا من مصادر اللذة. الأمر يبدو غريبا لأنى عندما أتمعن الأمر، دون إقحام أية مباهج على الماضى السحيق، أجد أن الأشياء كانت مؤلمة لى فى ذلك الوقت.

بعد أن انتهت الحرب عاد الجنود إلى منازلهم محطمين فى غيابهم، بل إنهم عادوا ومعهم القتل في دواخلهم وفى قلوبهم، ونقلوا ذلك القتل إلى أقرب أقاربهم. لقد رأيت ذلك، ولكن على نحو غير واضح تمامًا، لأنى لم تكن لدى الوسيله التى تمكنى من فهم ذلك، ولكن ذلك أخافني. لقد قمنا بمسيرات طلبًا للنصر وأنا لا أعتقد أن أحدًا منا بلغ من الوضاعة الروحية مبلغًا جعله يتساءل إن كنا نعرف ذلك الذى نحتفل به. انتصار من؟.أهو انتصارنا؟ هذا الأمر لم يكن يهم. مضينا فى الطريق، والغبى الدنىء وحده هو الذى كان يعود إلى صباه ويقول:إنه كان يعرف فى ذلك

الوقت أن الأمر لاينطوى على أى معنى من المعانى. الأمر طريف حقًا الآن، عندما نتذكر أننا جميعًا كنا نرحب بمقدم الانتصار. وقد يكون الأمر خاليا من الطرافة، وأن النصر يمكن أن يكون توأمًا للهزيمه والانكسار.

فى بداية الأمر، كان هناك العنف. وهذا إن لم يكن شيئًا جديدًا على الإطلاق فإن تكرار مثل هذا الشيء وجدتَه كان بمثابة أشياء جديدة. لم يسبق لأحد من قبل أن حدثنى عن أناس كثيرين ذهبوا للحرب وعادوا منها بالدم والمال الذى ينهش أذهانهم. وفيما بعد، فإن أولئك الذين أجابوا على تساؤلاتى التى سبق لى أن طرحتها عليهم، لم يلقوا لى بالا ولم يهتموا بى، إذ كانوا جميعا مشغولين بالإندهاش من الأسباب الداعية إلى كل ذلك، والوقت الذى يمكن أن ينتهى فيه، وهل سينتهى أم لا. لم تكن هناك ردود على تلك التساؤلات. ولن تكون هناك ردود. وماالذى يمكن أن يفعله الإنسان عندما يستدعى ليقضى فترة رجولته فى القتال فى بلاد غريبة. مخلفًا وراءه نساءه ومعهن أصحاب العاهات وكبار السن والأطفال والنساء الأخريات؟ ماالذى يمكن أن يفعله أى رجل من الرجال سوى أن يظن أن نساءه سيبقين له، حتى عندما لايكون بينهن؟ وما الذى يمكن أن تفعله امرأة لرجال غائبين يرسلون المال ليس للإنفاق وانما للإحتفاظ به لآجال غير محددة على أمل العودة، هذا إن عادوا على الإطلاق؟ ما الشيء الجديد الذى يمكن أن يكونه المال إذا لم ينفقه صاحبه؟ وعليه، كان هناك رجال، لم يموتوا فى أراضى أجنبية وإنما عادوا شجعانا، وذلك على العكس من الرغبات البشرية لدى بعض النسوة اللاتى تزوجهن أولئك الرجال وهم فى مرحلة الشباب، عاد أولئك الرجال مثل لصوص مخمورين فى مساءات دافئة وليالى باردة، وكانوا يعلمون مسبقًا أنهم كانوا مخدوعين. انصب غضب هؤلاء على المقربين إليهم، هؤلاء الرجال الذين ذهبوا بلا غضب لقتال الأعداء لم يعرفوا ذلك؛ لقد وجدوا الغضب والقتل فى انتظارهم، وجدوهما فى صدور النساء اللاتى خلفوهم ورائهم. كل ذلك الذى كانت العين الشابة تراه فى ذلك الوقت، كان هو الحقيقة؛ التى مفادها أن الأرض أصبحت مكانا يعج بالأرواح المحطمة والأجساد الضائعة التى تتطلع إلى

شيء يمكن أن يحمل عنها ألمها؛ هذه الأرواح المحطة والأجساد الضائعة لم تعثـر على أي شيء سوى أولئك الناس الذين كانت آلامهم هي الآلام نفسها التي يعانونها هم أنفسهم؛ وأنهم تعلموا القتال حفاظًا منهم على حمايتهم لأنفسهم، إن قدرلهم أن يوجدوا لذلك سببًا. كانت الموضة السائدة في تلك الايام، هي موضـة السـكاكين الطويلـة، والحركة السريعة المتهورة وقصيرة الأجل للاطراف الحديدية المدببة التـي تطعـم الأشباح الحية الجائله بذلك الذى تريده، ألاوهو الدم الذى يمكن أن يضع حدًا لعنـائهم ومعاناتهم الداخلية.

اكتشف عدد كبير من الناس استحالة النجاة من عالم الدمار الذى حملوه معهـم في رؤسهم الراحلة، ولذلك أصابهم الجنون في سهولة ويسر، شـأنهم شـأن هـوم بوى Home BOY، الذى ظل يردد ويكرر بلا انقطاع وإلى مالانهاية، ذلك الكـلام القاسي غير المفهوم الذى كان على شكل أوامر لم يسبق له أن فهمهـا ولكنـه تعلـم إطاعتها في بلدان أناس آخرين،إذ كان يمشي أثناء النهار في مكان ويدخل نفسه فـي إرهاق المخبول، وهو يكرر كل ذلك التدريب العسكرى الذى تلقاه، وذلك بمصـاحبة صافرة كشافة بصوتها المعدني اللامع. بعض آخر من الناس دخلوا في هدوء إلـى مرحلة من الصمت لايتطلع أحد إلى اختراقها، لآن ذلك الشيء بلغ من العمـق حدًا ابتلع تماما كل أولئك الذين كانوا من قبل أقوياء: كل مافى الأمـرأن هـؤلاء الناس انغمسوا في ذلك الصمت السحيق ثم ماتوا.أما أولئك القادرين فقـد التقطـوا بقايا العوالم والأنفس المهلهلة، كما ابتلعوا معرفة الخيانة، وسـاروا معنـا علـى أرصفة الموانئ بحثًا عن عمل وضيع يمكن أن يضفي شيئًا من المعنى على توالي تلك الأيام الكريهة إلى النفس؛ حوإلى مائه من الرجال كانوا ينتظرون فـي حـين زاغت عيونهم وأبصارهم في الماضي أو المستقبل، كانت عيـونهم وأبصـارهم زائغة دومًا في مكان بعيد وفي زمن بعيد أيضًا، أي مكان بعيد وأي زمان بعيـد، شريطة ألايكون ذلك المكان هو الحاضر المريع والمكان الحإلى المريع أيضًا، مائة

من الناس ينتظرون فى صمت بلغ من الهدوء حدًا عجزوا معه عن إيجـــاد أمـــاكن تتسع لسبعة أشخاص.

كان كوفى Kofi بلى Billy واحدًا من أولئك المحظوظين، الــذين جــرى انتقاؤهم للقيام بعمل بلغ من القسوة حدًا تعذر معه على الأيدى البيضاء القيام به أو إنجازه.كوفى بلى هذا أنجز عمله على خير وجه. وفى نهاية يوم من الأيـــام كـــان الرجل يشعر دومًا بالتعب والإرهاق، ولكنه كان قد عثر على شيء من الســعادة فى كل مايقوم به، وهذا كان شيئًا ثمينًا عند ذلك الرجل فى واقع الأمر. كان كوفى بلى، فى يوم من الأيام، ينقل الأحمال مستخدمًا فى ذلك يديه العملاقتين، لينقل تلــك الأحمال من مكان إلى آخر فى الوقت الذى كان يجلس فيه رجل أنجليزى شاب فــوق ماكينة أخرى تشكل ضغطًا على الحبال المصنوعة من الصلب على ظهر المركــب، فى حين انقطع واحد آخر من تلك الحبال . هذا هو واحد من تلك الحبال المصـــنوعة من الصلب ينفلت مندفعًا بكل قوته خلال الهواء ولم يفعل أى شيء سوى أنــه قطــع رجل كوفى بلى اليمنى من تحت الركبة. قال كوفى بلى إنه لم يحس أو يستشـــعر أى شيء على امتداد فترة زمنية ثم بعد ذلك بدأ يحس كل ذلك الذى يمكن أن يحســه أو يستشعره أى إنسان من البشر، كما اختفت الدنيا من أمام عينيه. قال الإنجليزى: إن كوفى بلى يستحق ذلك الذى جرى له: إذ كان يلعب أثناء أداء عملـــه. لوكـــان قـــد تحرك بسرعة، لما كان فى ذلك المكان عندما انقطع السلك. لم أعرف مـــن قبـــل كوفى أن بلى كانت له رجل من الخشب مثل هذه الرجل، بل إن كوفى بلى نفسه لم يكن لديه الاستعداد للحديث عن تلك الرجل. كل مافى الأمر أن كوفى بلـــى جلـــس ينظر إلى الفضاء الذى لايمكن أن يملؤه ذلك الطـــرف المصـــنوع مـــن الصـــوف والمعدن، ولم ينبس كوفى بلى ببنت شفه. هذه هـــى الأخـــت معنـــان , Maanan وجدت لنفسها ملاذا فى قوارير الإطالة، وها هو الأجنبى العابد أعطاها النقود، كمـــا كان يعطيها الحب فى بعض الأحيان. هذه هى خطاطيف نقل البضاعة حولت النـــاس إلى صقور ونسور، كما حولتهم أيضا إلى نادلين لإشباع الشهايا الأجنبية، وإلى بحارة

للأجانب الجائعين الذين يبحثون عن اللحم البشرى. كانت هنـــاك، بطبيعـــة الحـــال، معارك بين الإنسان والإنسان، هذه المعارك والمشاجرات لم تكن بسبب النساء، وإنما بشأن أولئك الرجال البيض الذين يودون إقتيادهم إلى النساء، كما كانت هناك أيضـــا الأفلام التى جلبت للأذهان الذكية موضات جديده فى كـــل مـــن الملابـــس والقتـــل والأغتيال. كان هناك ماهو أكثر إثارة، أى المعـــارك والمشـــاجرات الكاملـــة بـــين جماعات كبيرة من الرجال العنيفين، عندما يقوم الجنود لأسباب تافهة بالاشتباك مـــع رجال الشرطة، أوعندما يقف رجال الكرو KROO العنيدين ويقـــاومون المحـــاربين العائدين، تلك كلها كانت من أعمال العنف الموجه إلى الخارج. وأنا لاأصدق أن ذلك كان يشكل نصف الرعب الذى كنا نحسه ونستشعره جميعًا. كنت أعرف أن صـــديقى يحس ما أحسه.والذى كنت أحسه داخلى هو اقتراب شىء شبيه بالموت ذاته. والشىء الذى كان يمكن أن يقتلنا جميعًا هو أنه لم يكن هناك مايفسر لنا ذلك الذى يحدث، لـــم يكن هناك أى شىء خارج أنفسنا وخارج أولئك القريبين منا أوحتى أولئك الأضـــعف منا والذين نستطيع الهجوم عليهم. لم يكن هناك مخرج واضح مما نحن فيه، وبعيـــدًا فوق التلال كنا نرى كبائن البشر البيض على بعد مسافة كبيرة منا؛ كانت الكبائن تبدو بعيدة على نحو يجعل الوصول إليها أمرًا صعبًا، الأمر الذى جعل الناس لايلقون لهـــا بالاحتى أثناء الضيم والمعاناة. وحتى أولئك الذين فكروا فى تلـــك الكبـــائن، حكـــوا حكايات عن رجال بيض كانت معهم كلاب ضخمة، كانت تأكل من اللحم، فى اليـــوم الواحد، كمية أكبر من الكمية التى تأكلها عائلة كاملة من العائلات البشرية فى ساحل الذهب طوال شهر بكامله، كانت تلك الكلاب تطيع أصوات أصحابها مثل الجنود فى ساحة الحرب، ولم تكن تلك الكلاب تعرف الحب مع أصحاب البشرا السوداء، شأنها فى ذلك شأن أصحابها.

العقل الصاغى تقلقه وتزعجه ذكريات الماضى. فقد انقضى وقـــت طويـــل ومازال المكان هنا بلا حلاوة. هذا هو الطريق العام المؤدى إلى المدرسة، وهذه هى صفوف طويلة من الأشجار التى تحمل حبات صغيرة من المانجو، مســـتفزة بـــذلك

الأسنان المتحفزة بفعل مذاقها الحمضي. ومع ذلك كان الانتظار على هذه الثمار أمرًا مستحيلاً فقد تجمع حول هذه الأشجار أطفال كثيرون متبايني الجوع والرغبات وهذه هي الأحجار تقذف نحو الأعلى ثم تهوى على الأرض دون أن تجلب معها الثمرة المطلوبة، وإنما عناقيد كاملة من ثمار المانجو غير الناضجة. الإحساس بضوء الشمس بعد صباح قصير، ومطر لطيف على غير العادة، وهذا هو ماء المطر لم يجف بعد من فوق العشب الأخضر الجميل، الذى ينمو على الجوانب الطويلة لتلال الرجال البيض. هنا وهناك ترى نعومة جبال الرمل التى لا يصدقها العقل، وتلك هى الأشياء التى يلهو بها البيض وقد وضعوها فى ملاعب الجولف. ومن حين لآخر يندفع ضوء الشمس مثل سهم قادم من الداخل ليصطدم بكرات الماء الصغيرة القابعة فوق عيدان الحشائش والنباتات الخضراء ثم يرتد ذلك الضوء متجهًا نحو الخارج ليقع على الأعين ثم يختفى مرة ثانية. هؤلاء هم ثلاثة من الصبية يرتدون ملابس من الكاكى ويتسابقون جريًا عبر التل وفى اتجاه قمته، وهذه هى الأجزاء العليا من لباسهم تتدلى على أكتفافهم الصغيرة. وهذه بعض قنيات الماء تنساب صافية إلى قيعان الميازيب الناعمة مخترقه التل لتخلط الطين بالماء. وكان الماء المنبعث من التلال نظيفًا دومًا، مثل الماء غير المستعمل، أو الماء الذى استعملته الأشباح التى ليس لها لحما أودما. بلغ ذلك الماء من الصفاء حدًا جعل كل المصابين بالجرب يستعملونه فى غسيل ملابسهم وفى غسل تورماتهم والتهاباتهم، مستغلين نقاء ذلك الماء قبل أن يصل إلى الطين. من حول الكبائن البيضاء المقامة فوق التلال لم يلق هؤلاء الأطفال الجوعانين الأحجار، وهذه هى حبات المانجو التى كان مفترضًا لها أن تختفى منذ زمن طويل، تتدلى ثقيلة وجميلة وناضجة، وهؤلاء هم السكان البيض الموجودين فى تلك الكبائن لم يفكروا حتى فى أكل هذه الثمار الناضجة. الإحساس بضوء الشمس على الجزء العارى من العنق من فوق الياقة المصنوعة من القماش الكاكى، والحفيف القصير الصادر عن الحشائش المبتلة التى تدوسها الأقدام هما اللذان يميزان الصعود فى إتجاه الكبائن البيضاء اللامعة. هذه هى الأسوار والسياجات النباتية. هذه هى أسوار بيضاء طويلة مصنوعة من عوارض خشبيه مدببة من طرفها العلوى تتلألأ

فى ضوء الشمس، وهذه أيضًا أجمات كثيفة الأشجار، وعالية الأشجار أيضًا مع أن خضرة هذه الأشجار لاتغطى أشواكها. هؤلاء الصبية يبحثون عن اللوز، اللوز الذى هو بمثابه حبات الفول السودانى عند الرجل الأبيض. حبات اللوز هنا كبيرة ومثل حبات المانجو، والبعض منها نضج فقد تحول لونها إلى اللون الأحمر. وهذه ثمار المانجو تتدلى كبيرة وذهبية اللون، وفى الخارج عيون تنظر وتتوثب وتنظر وتتشوق. هذا هو الصبى الثالث عثر على ثقب على الأرض أسفل السياج الشجرى. ثقب صغير، ثلاثة أولاد، وثلاثة أزياء من الكاكى.أتلفتها الأقذار والأشواك. يبدو أن الرجال البيض هم أنفسهم أشباح على قيد الحياة. هذا المكان الذى يعيش الناس فيه لايصدر منه أى صوت على الإطلاق. ولكن يستحيل رؤية الكابينة من الداخل، خلف الشبكات المركبة على نوافذ تلك الكبائن لايوجد شىء شبيه بالعمود الطويل حول تلك الكبائن. هؤلاء الصبية لا يقذفون الأحجار مطلقا حول كابينة أى رجل من هؤلاء الرجال البيض. وعليه فقد أدار الصبية الثلاثة ظهورهم إلى كابينة الرجل الأبيض ويبدأون فى قطف حبات المانجو الناضجه ومعها أيضا الحبات غير الناضجة التى تساقطت على الأرض من قبل. ومن باب الحفاظ على الهدوء فإن الرجل الأبيض، عندما يكون موجودًا داخل الكابينة، يتحتم عدم إزعاجة أو أيقاظه. وهنا تتناهى إلى الأسماع أصوات وقع أقدام مفاجئة قادمة من الداخل، ومتجهة إلى الخارج. هذه الكمية الكبيرة من ثمار المانجو، وهذه الحبات الكبيرة من ثمار اللوز يتعين تركها والتخلى عنها، والثقب صغير جدًا والأشواك حادة بشكل موجع، وتخترق القماش الكاكى لتصل إلى اللحم وتوخذه. النظر إلى الخلف يثير الفزع على شكل إحضار اثنين من الكلاب، وهذان الكلبان يبدوان أكبر من أى أب من الآباء. يستطيع الإنسان أن يجرى بسرعة إذا كان التل منحدرًا، ولكن الجرى لن يكون على مايرام، نظرًا لأن الكلاب أسرع من الإنسان. هذه السرعة الكبيره تغلب الراكض على أمره، فى منتصف كل شىء من الأشياء، هناك قناعة مفادها أن الصبى بوسعه أن يجرى بسرعة فى بعض الأحيان. والحشائش يمكن أن تكون مؤلمة عندما يحتك فيها وجه من يجرى خلالها، وبعدها تنطوى تلك الحشائش نازلة إلى الأرض. هل يعض الكلب بحق وحقيقة، أم أنه

لايشده الشكل الذى سقط على الأرض، أم أن الكلب يستطيع أيضًا لف طفل من الأطفال ويتركه منهزمًا ومغلوبًا؟ من خلف الكلاب جاء رجال كانوا يلبسون قمصانًا بلا أكمام، ويمسك كل واحد منهم سوطًا مطويًا فى يده. السود غاضبون بحق، الواقع أنهم أكثر غضبا من الكلاب. ترى هل كان يكفى مجرد تخويف الصبيان الثلاثة لإبعادهم عن المكان؟ لم يكن ذلك هو بيت القصيد. راح الرجال السود يطرقعون بالسياط كما لو كانوا فى صراع من أجل البقاء على قيد الحياه. ومن خلف الرجال السود جاء الرجل الأبيض ومعه صبى أبيض صغير وراح يراقب، من فوق التل ذلك الذى كان يجرى ويدور أمامه. كانت الشمس لاتزال مشرقةً إشراقًا جميلاً إلى أن اختفت الجدران البيضاء التى خلف الرجل الأبيض، وهنا تجمع الصبية الثلاثة وراحو يتشاورون حول العودة إلى ماكانوا ذاهبين إليه أو العودة إلى بيوتهم.

تبدى الغضب من جديد، ولكنه فى هذه المرة كان غضب الضحية التى تعين عليها أن تجد لنفسها ضحية أضعف منها، ولم ينصرف ذلك الغضب، إذ كان يضيف إلى نفسه دومًا المزيد من العار والخجل. الواقع أنه من السهل على أى صديق أن يبدأ معاملته لصديقة معاملة المجرم الذى يتعين الخوف منه والتحسب له. ومن الصعوبة بمكان أن يجلس الإنسان ويرى صديقا له معه شىء هو بحاجه ماسة إليه، ولكنه لايستطيع الحصول عليه، صعب تمامًا أن يجلس إنسان ويروح يراقب صديقًا يحتفظ بذلك الشىء إلى أن يحين موعدًا احتياجه لذلك الشىء. لم يكن أمامنا مانفعله، بعد أن، سطونا على أولئك الذين أحسنوا إلينا، لم يكن أمامنا سوى أن نجلس أرضًا ونحن نكابد إحساسا مفاده أن الأمور لم تكن على مايرام. كان الأمر يشبه الاندفاع فى قيعان عامرة بالطحالب وفيها ميازيب عميقة قادمة من التلال وليس فيها مايوقفنا أو يعترض طريقنا. كل مافى الأمر هذه المرة أن الميازيب لانهاية لها، وأن تلك الميازيب قد أصبحت ، منذ زمن بعيد، أمرا لاطاقه لنا به ولانقوى على تحمله.

كان بالإمكان اللجوء إلى الشراب ونحن نفتش فى ظلام الذاكرة المريح. كان ذلك أمرا ممكنا فى تلك الأيام التى كان مايزال فيها أشياء يمكن أن نسرقها من صديق

غائب. ولكنه جاء الوقت الذى لم يعد فيه حولنا أشياء من هذا القبيـــل.وراح التفكيـــر العميق ينصب على إنفاق ذلك الموجود بالفعل .أنا أرى أن الإنسان كـــان يمكـــن أن ينهار ويصاب بالجنون عند ذلك الحد، ولكن كان ذلك هو الوقت الذى اكتشفنا فيـــه أشياء كثيره عن عشب "الوى Wee .

حدث فى إحدى الأمسيات أن جاءت لنا الأخت معنان Maanan لتقول لنا أن ذلك الصمت مكنها من النظر إلى قارورة من الشنابس SCHNAPS ثـــم تقول لنفسها إن تلك القارورة ليست سوى مجرد قارورة أخرى من قـــوارير الســـم والألم. ومع ذلك لم تكن الأخت معنان تقوم بدور الواعظة، وإنما كانت تقدم لنا ذلك الشىء الذى أحسسنا جميعًا بأنه كان ينبغى أن يكون لدينا من قبل. الطريقـــة التـــى كانت الأخت معنان تحصل بها على ذلك الشىء، مع إنه لم يكن من الأشياء التـــى تتطلب الكثير من النقود، وبدلاً من ان يعمى عيوننا مثلما تفعل الارواح، نقلنا ذلـــك الشىء إلى سنوات عده فيما وراء ذواتنا القديمة، ومكننا من الرؤية على بعد أميال كثيرة فيما وراء تلك النقاط القديمة. كان من عادة ذلك الشىء أن يستثير فى الدهشة والعجب فى فترات لاحقة، إذ كنت أرى كثيرًا من الكذب المشين يتناثر من حولنا. كان من عادة ذلك الشىء أن يستثير فى دهشتى إلى أن كبرت تمامًا وفهمت أنه من الطبيعى جدًا أن يجلس القضاة طوال فترات مابعد الظهيره وهم يتعرقـــون تحـــت طواقى الشعر المستعار، ويحسون بالضيق والقلق عندما يطرح لقيط مسكين داخـــل المحكمة لأنه حاول الذهاب إلى ماوراء ألم اللحظة وأنه يدخن عشب WEE.هؤلاء الذين يستطيعون القراءة من بين القضاة يعرفون أن الغضب المقدس، مؤقت ونقـــى وبسيط تحت أى ظرف من الظروف. هم يعرفون أن الأطباء، فى كل مكان، عنـــدما طلب إليهم إمام القضاة التخلص من أنفاسهم السيئة، قالوا الحق. عشب 'الـــوى'Wee أقل خطر من البيرة، وهو لايقتصر على عدم حدوث صداع وأوجاع فى الرأس بعـــد تدخينه. وأنا لم أر رجلا أو أمرأة يدخن ذلك العشب دون أن يجربوه أو يعرفوا مذاقه.

أحضرت معنان Maanan لنا عشب 'الوى'wee وأرتنا كيف نشعله وكيف ندخنه، وراح كل واحد منا يسحب نفسًا بعد الآخر. يجب أن لايغيب عن بالنـــا أن هناك الكثير الذى يمكن أن يخيف المتشككين ويبعدهم عن تدخين ذلك العشب، حتى وإن كثر الكذب الذى يدور من حول هذا العشب . نحن نستطيع أن نجعلـــك تـــرى أشياء ربما لاتود رؤيتها . المسألة هنا لاتتعلق بالأشياء التى لا وجود لها ويجـــرى أستحضارها عن طريق أعمال الحواه والسحر والشعوذة وعشب الوى ليس سحرًا. كل مافى الأمر أننا على امتداد حياتنا نحمى أنفسنا بطرق كثيرة مـــن كثيـــر مـــن الحقائق المؤذية وذلك عن طريق التعامى هنا بعض الشىء وعـــن طريـــق قصـــر النظر هناك، وعن طريق غض الطرف عن الضوء الساقط علينا طـــول الوقـــت. وهذا هو مايطلق الحريصون عليه اسم الحياة . الشىء المدمر الذى يفعلـــه عشـــب 'الوى'wee أنه يرفع العمى عن الأعين ويجعل الإنسان يـــرى حياتـــه مكشـــوفة وعارية أمامة. وهنا يصبح مايراه الإنسان، سواء أكان صادرًا عن أشـــياء مخبـــأه داخل روحه، أم عن الحقائق العامة لحياة اليقظة التى يحياها، شيئًا غير زائف. ولكن حقيقه ذلك الذى يراه الإنسان، هى ذلك النوع العميق من الحقيقة الخطرة، التى يمكن أن تخيفه بعد أن تدخله فى عمل يائس ومحزن من أعمال الحياة. هـــذا هـــو الســـبب الوحيد والمعقول الذى يخيفنا من ذلك الشىء (عشب الوى Wee). لقد ترددت علـــى قاعات المحاكم وجلست فيها وسمعت أحكامًا تصدر على رجال صغار السن تســـببوا فى تبديد فترة تتروا ح بين خمسه وست سنوات من أعمارهم داخل السجون، كل ذلك والقضاة يتناولون الأمر على امتداد ساعات، ولم يتلفظ واحد منهم بأى شىء من هـــذا القبيل: والسبب فى ذلك أن هؤلاء القضاة يـــودون حمايـــة كـــل مـــن المستضـــعف والمفترس من معرفة ذلك الذى يحدث لهم. ولكن القضاة يستحيل علـــيهم أن يعرفـــوا ذلك.

تبعنا معنان Maanan كما لوكانت أُمًّالنا، تبعها كل من كوفى بلـــى وأنـــا. مشت معنان معنا إلى حاجز المياه على بعد مسافة قصيرة من المكان يفـــتح عنـــده

الميزاب فتحته التى تصب فى البحر، وجلسنا فى ذلك المكان ورحنا ندخن عشب الوىWee . كان كوفى Kofi بلى Billy، ينظر دومًا فى هدوء إلى المكان الذى كان ينبغى أن تكون فيه قدمه المقطوعة، كما لوكان طفلاً، يطلب دومًا من الأخت معنان أن تقول له ذلك الذى كان على وشك الحدوث. كانت معنان تداوم على نقل عشب الوى المشتعل من فم إلى فم، وفى صوتها ابتسامة تقول لكل منا انتظر حتى يتسنى لنا قول الحقيقة لأنفسنا. ثم تغيرت الحياة كلها خلال لحظة واحدة. مع أول ومضة كنت على يقين من أنى أو شكت على الغثيان، ولكن ضاع الخوف منى، وأدركت أن الاحساس الذى يسيطر على جديد تمامًا. وطوال لحظة لم تعد الأشياء الخارجه عنى تضغط علىَ. لم يعد بوسع هذه الأشياء أن تفعل ذلك. كنت مشغولاً جدًا، إذا أصبحت أعى للمرة الأولى المهمة الأولى لجسدى.أعتقد أنى أحسست بذلك للمرة الأولى فى أطراف أصابعى: أحسست بإيقاع الدم. وهو يتحرك فى أطراف أصابعى، أحسست بذلك للمرة الأولى واعترفت به أيضا للمرة الأولى. نظرت واندهشت عندما وجدت أن أطراف الأصابع لم تكن على شكل آلاف مؤلفة من الفقاقيع السائلة الصغيرة المتحركة، ولكنها كانت على شكل قشرة خارجية من الجلد تغطى العظام. وإذا ماكان طرف إصبع من الأصابع يمكن أن يكون مكون من عدد هائل من الأجسام السائبة التى لها مثل هذه الحركه الدائبه، فماذا عن حال الجسم عندما يكون على هذا النحو؟ كان بوسعى أن أسمع ضربات قلبى. الطبيعى أننا لانسمع هذه الضربات. رحت أتنفس شهيقًا وزفيرا، وأصبحت إدرك اننى كنت استنشق مذاقات وأصوات مع الهواء. بعد ذلك، وبالرغم من أن كوفى بلى كان قريبًا منى دوما، إلا أنى سمعته يقول شيئا أدهشنى. لم يكن صوته قريبا منى فى الجسد؛ ولكن طالما تأملت وفكرت فى ذلك الذى قاله قبل أن يقوله، فقد وصل إلى صوته كما لوكان صوتى أنا مرتدًا إلى من مكان غريب. قال الصوت:'أنا لايعجبنى الأمر هنا.'

وعليه سألته عن الأسباب التى جعلته يسألنى عما إذا كانت الرائحة أصبحت قويه على نحو لاتطيقه معنان Maanan ولاأنا أيضًا. كانت الرائحة فعلاً على هذا

النحو. كنا جالسين على حاجز الأمواج فوق صخور الأساس التى قام البناؤن بإلقائها فى هذا المكان من الشاطئ، وكان الجميع يجعلون من تلك الصخور مراحيضًا لهــم، ويستعملونها أستعمال الحمامات. كان هواء الليل يحمل معه رائحة الغائط وهو يتسلل إلى أمعائنا ومنها إلى دمائنا كانت معنان ماتزال تبتسم، وأومأت برأســها ، ووقفنــا جميعًا ونزلنا من فوق حاجز المياه، ورحنا نمشى خلف الصخور حتى تهوى وتسقط فى الأقذار، وعندما وصلنا إلى حافة الماء جلسنا أرضا فوق الرمل الثابــت المبتــل وكان الهواء نقيا ومشبعا بالماء المالح.

وعند حافة الماء المالح سحبنا آخر عود من أعــواد عشــب الــوى الــذى أحضرته معنان، واستوعبنا، بكل أجسامنا المتفتحة، كل ذلك الذى كان يدور داخــل ذواتنا وخارجها. كان للدخان ذاته داخل أفواهنا نوع من الحدة التى كانت تلذع الجلــد الرقيق الموجود أسفل اللسان إلى أن كتمنا أنفاسنا وأختفى الدخان فى أعماقنا. نظرت إلى البحر وهو ينساب فى إتجاه الرمل ومن فوقه ولم أعد أرى الماء الميــت وهــو يصطدم بالأرض على شكل موجات من الضوضاء غير المحسوســة. كــان المــاء والرمل أحياء بالنسبة لى؛ فقد كان الماء يتدافع على شكل تحركات طويلة وبطيئــه، عائدًا بذلك إلى سنوات سحيقه، وكانت الأرض تردد دومًا على هذه الحركه بــالرغم من أننا فى لحظات موتنا لاتكون لدينا الأعين التى نرى بها أى من هــذه الأشــياء. أصوات، هذا الرعد المعتدل الصادر عن موجات الليل وهى تصطدم بالماء الهــادئ، وهذا التنهد الناتج عن الأمواج المتراجعة، ينضم إلى كل ذلك الذى نراه. كان الرمــل يبدو جميلاً فى ذلك الوقت، فقد كان عبارة عن حبيبات كثيرة العدد فى ضوء الليــل، ويولد فيمن ينظر إليه ويراقبه إحساسا طفوليًا بأشياء نهائية جرى فهمها مؤخرًا، ذلك الاحساس المذل الناتج عن لاشيئية المراقب.

نظرت إلى معنان. لم يكن الضوء قويًا، ولكنى رأيت أنهــا كانــت تبتســم ابتسامة واضحة، يضاف إلى ذلك أن شكلها الذى كانت عليه جعلنى أفهم أننى لم أنظر مطلقا إلى المرأة معنان. أو أنى قد أكون نظرت إليها بعيناى ولكنى لم أرسوى صور

ذهنيه، ولكنى لم أفكر فى شيء، وتلك طريقه ميته من طرق النظر إلى الأشياء، وهذا هو ماعرفته اعتبارًا من تلك الأمسية الأولى التى أمضيتها على الشاطئ. كنا جميعًا نعلم أن معنان كانت واحدة من أجمل الجميلات، ولكن تلك الفكرة التى روادتنى فى تلك الليلة كانت مختلفة عن أية فكرة من الأفكار السابقه. كان الجمال فيها يتمثل فى وجهها وفى خط جسمها عندما كانت بجوارى على الشاطئ . لم تكن رقه هذه المرأة ضعيفة أوبلا معنى. وعلى العكس من ذلك،كان وجه معنان يبدو وكأنه ذلك الذى أننا بحاجة إلى النظر إليه كيما أعرف أن هذه المرأة يجرى دفعها فى إتجاه الدمار وأنها ولا أنا نستطيع أن نفعل شيئًا من أجل الحيلولة دون ذلك. كانت معنان تبتسم لى، ولكنى فى داخلى أحسست بالإتهام من قبل نوع من الصمت ينتمى إلى الملايين وأجيال من النساء كلهن وجه معنان وشكلها، ولسن بحاجة إلى صوت كى يقول لهن أننى خيبت أملهن، أنا وأولئك الذين رضينا بأن لانفعل شيئا وأن لانكون شيئا على الإطلاق على امتداد حياتنا وعلى امتداد كل عصور المعاناة. عند حافة الماء المالح اختلط جزء كبير من الماضى باللحظه الحاضرة. كان بودى أن أقول شيئًا لمعنان لولم تكن الأشياء المراد قولها ثقيله جدًا، ولكن حتى فى مثل هذه الظروف كنت على يقين من أن معنان كانت قد فهمت قبل أن أطلب إليها أن تسامحنى، وأنها سامحتنى بقدر المستطاع بسبب المعاناه حتى يمكن الصفح عن أولئك الذين يشاركونهم المعاناة ويشاهدون كروبهم.

هنا بدأت لاأحس بآلام البعد عن معنان. تسلطت عيناها على عيناى وردا على ذلك فتح كل من عقلى وقلبى نفسيهما إلى الألم الناتج عن الشعور العميق. سامحينى يامعنان، سامحينا جميعًا إذا كان ذلك ممكنًا فى هذه الأيام، أذكر أننا لم نقل شيئًا عن الحب، فى هذه اللحظة، التى لوقيل فيها شيء من هذا القبيل فلربما أعاد المسافرين من رحلاتهم المخيفة، لم نقل أى شيء عن الحب ذاته. مددت تلك اليد الباحثة، ولكنى فى النهاية استطعت أن أمسك بأطراف أصابعى حفنة من حبيبات الرمل الصغيرة الجميلة، وهنا استحوذ جمال الرمل على ناظرى وأبعدهما عن جمال

المرأة المضطرب التى كانت تقف إلى جوارى مع كوفى Kofi كيلى، ثم انقضت تلك اللحظة، أنا أعرف كيف إنقضت تلك اللحظه إلى غير رجعة.

أنا أعرف. أن من السهل الحديث الآن وأنا محمل بأثقال أحزان الماضى، كما لوكنت قد تحسنت أحوالى بمرور الزمن، وأعيدت إلى كل تلك اللحظات التى ذهبت هباءً. سوف أعمل على إيجاد الوسيلة التى تقربنى من حيث الفضيلة إلى أولئك الذين تسبب عجزى فى إيلامهم. كل هذا الندم بلا جدوى، أود طريقة تختفى وتتوارى عن طبيعتى الميتة عن طريق دفع تلك الطبيعه الميته إلى الماضى.أنا أعرف. ومع ذلك فأنا أحس وأندم، وهذا هو السبب وراء عدم تركى وحدى لحال سبيلى، فى هذه الأيام فى أضعف الأحوال.

لم أطق كل ذلك نظرًا لأن الرمل الرطب راح يتسرب من خلال أصابعى التى اعتراها الوهن والضعف وراح ينضم من جديد إلى الشاطئ. جثوت على الأرض كما لوكنت حيوانًا ومددت يدى لأغسل عنها الرمل، بواسطة آخر أطراف الأمواج التى تصل إلى الشاطئ، وفجأه بدأت أحس بطعم الماء المالح فى فمى. لم أكن أتذوق طعم الملح فحسب، ولكنى كنت أستشعر أيضًا مذاق مئات الأشياء الأخرى فى ذلك الماء، ونظفت فمى باستعمال ذلك الماء، ورحت أتفل ذلك الماء ثانية ببطئ ورحت أكرر هذه العملية مرات بعد ذلك. هناك شيء لم يرد أن يموت جعلنى ألمس معنان برقة على فمها من ناحية الجنب. وبقيت يدى مدة طويلة على ذلك الجانب من الفم ونظرت إلى معنان ثم غرقت فى اليأس والإحباط. لم تصبح معنان. كل مافعلته هو أن أدارت رأسها وعندما تبعتها رأيت كوفى بلى. لابد أن كوفى بيلى كان يحملق عبر المحيط طول الوقت، ولم يستدر كوفى بلى لمواجهتنا. كان كوفى بلى يبدو كما لو كان بعيدًا عنا يراقب المسافات البعيدة بطريقته الصامتة المستهترة، وبعد ذلك، وبعد مرور فترة طويلة من الزمن رفع كوفى بلى رأسه، ثم نظر حوله، وفى النهاية هدأت عيناه وراح ينظر إلى الرمل من تحته بعينين كانتا كبيرتين وصامتتين فى الضوء الضعيف الموجود هناك.

'ماذا ترى؟'

أنا لاأعرف الأسباب التى دفعت معنان إلى طرح هذا السؤال. ربما كان ذلك من قبيل الأشياء المعتادة عندها، ربما كان ذلك من باب تعليم أولئك الذين علمتهم معنان التدخين والخروج من أماكن اختبائهم داخل أنفسهم. وأنا لا أعرف إن كانت معنان تقصد توجيه هذا السؤال إلى أم لا، أم أنها كانت تطرحه على كوفى بلى وحده، أوإنها كانت تطرح السؤال علينا نحن الاثنين، هذا مجرد سؤال غامض ألقى بطريقة عشوائية. ولكن كوفى بلى فهم السؤال المطروح عليه وبدأ يجيب قائلاً.

قال:' أرى طريقًا طويلاً، والطريق ملىء بالناس، عدد كبير من الناس قطعوا مسافات طويلة، إلى حد أنى أراهم كما لو كانوا فقاقيع صغيرة منضمة إلى بعضها البعض. إنهم سائرون، سائرون ليس إلا، وأنا أيضا سائر معهم.أنا أعلم أنى أود الخروج حتى أتبين إلى أين نحن ذاهبون، ولكنى فى هذه الصفوف الطويلة من البشر لست سوى مجرد شخص واحدفقط. ليس بالإمكان مطلقًا الخروج وتبين المكان الذى نحن ذاهبون إليه، أنا أسير ولا أعرف إلى أين. '

كانت العبارة الأخيرة منهكة ومرهقة. وصدرت بعد هذه العبارة عبارة أخرى. كان كوفى بلى قد بدأ ينظر من جديد وبلاضوضاء إلى قدمه المصنوعة من الخشب والمعدن، كما كان بصره يقع أيضًا على الرمل الموجود أسفل هذه القدم، كانت عيناه الكبيرتان تلمعان فى الضوء الخافت.

رفعت معنان رأسها وتساءلت حول ما إذا كان الصغير يبدو غريبًا وسط الضباب. استلقى كوفى بلى على ظهره فوق الرمل المبتل، وعندما نسينا كل شىء عن القمر قال كوفى بلى بصوت هادئ:' نعم' القمر جميل جدًا على هذا النحو.'

لم يكن لدى أى منا شىء يقوله بعد ماحدث. جلسنا مع كوفى بلى، ونحن نعرف أن الحادث الذى حطمه كان مندفعًا إلى الأمام قادم من الهدوء الذى فى الخلف، ولكننا لم نكن نعرف ماذا يمكن أن نفعل، وكنا عاجزين عن قول أى شىء

على أمل تهدئة مخاوفنا التى بلغت من العمق حدًا يصعب معه على من هم غــريبين عنا الإحساس بها أو معرفة كنهها ثم نهض معنان بعد ذلك بفتره قصيرة.

سألتنا معنان نحن الاثنين،' هل لنا أن ننصرف؟' لم يكن أمامى متســع مــن الوقت كى أقول أى شىء. ولكن كوفى بيلى رد عليها قائلاً:

'هل لنا أن ننصرف من هنا؟'

أمسكت معنان يد كوفى بلى، ووقف الرجل متألمًا ورحنا نمشى فــى الرمــل السائب إلى أن تجاوزنا الصخور المتحللة، ثم جلسنا فى الخلف، على حاجزًا الأمواج، ورحنا نهزهز أرجلنا ونحن جالسين فوق الحاجز. لم يكن حولى أى شىء غير متصل بالأشياء الأخرى المحيطة به. ونحن فى طريق العودة ، بدت لى أعمــدة الكهربــاء طبيعية وكأنها كانت تمتد بينها خيوط تربطها بعضها إلى بعض والشىء الوحيد الذى عجزت عن تفسيره فى هذا المكان هو شكل تلك الفتاة الشابة التى كانت متكئة علــى واحد من تلك الأعمدة، والتى كانت تنتظر شخصًا لايستطيع أحد أن يــراه. وعنــدما اقتربنا منها، وتجاوزناها وراءنا بمسافة طويلة كانت تشبه حشرة ضائعة فى وســط هذا العالم الشاسع المحيط بها أكثر منها أنثى آخذه فى تعلم خفقات القلب الأولى عندما يقع فى الحب. وعليه عدنا؛ نحن الثلاثة: الرجل المكسور، وأنــا والمــرأة معنــان، وعندما رأينا الناس الذين خلفناهم وراءنا من قبل، ونحن ذاهبون إلى الشاطئ فى تلك الليلة، اتضح لنا، بعد ذلك ما دار فى أذهاننا عندما كنا نراقب البحر، أننــا أصــبحنا عاجزين عن النظر إلى هؤلاء الناس، أو إخفاء معرفتنا ليأس الناس من هؤلاء البشر.

لم يدر بيننا كلام كثير بعد ذلك، لم يكن ذلك بين ثلاثتنا، نظرًا لأن كوفى بلــى كان قد أخفى نفسه عن العالم، ولم يقل أى شىء ،واقع الأمر أن ذلك الاختفاء كان إلى أبد الآبدين، كما أن معنان كانت تبحث عن السعادة من جديد، وبالطرق نفسها التــى يمكن أن تدمرها فى نهاية الأمر. لم يكن هناك مايمكن قوله إلى الآخرين مثلما كــان

الحال فى الماضى، والسبب فى ذلك أن أى إنسان، أصبحت متاعبه، وبخاصة فى هذه المرحلة، صدى لمتاعب إنسان آخر، آلام امراة أخرى.

كان اليوم يوافق يوم الأحد التالى ليوم الأحد الذى أمكن العثور فيه على جثمان كوفى بيلى. كان جثمان كوفى بلى يـتدلى من ملاءة معلقة فى العمود العلوى فى غرفة من الغرف التى جرى تشطيبها من بين غرف منزل لم يجر تشطيب كل مكوناته. كانت رجله المصنوعة من الخشب والمعدن مضرّجة بدمه، حتى يبدو الأمر كما لوكان يحاول محاولة مستميتة قبل وفاته، وربما كانت تلك المحاولة التى كان يرمى من ورائها إلى إبعاد صخرة كبيرة كان طرفها من تحت قدميه. لم يكن كوفى بلى رجلاً عنيفًا إبان حياته بالرغم من كبر حجمه وبالرغم أيضا من معرفتنا أنه كان يحاول استعراض قوته مع الأشياء ولكننا لم نكن نعرف ذلك معرفة يقينية. يحتمل أن كان هناك قدرا كبيرا من العنف، عنف بمعنى الكلمه، ثم تحول ذلك العنف نحو الداخل ليدمر ذلك الرجل الذى لم يقو علّى تحمل هذا العنف. أنا لاأعرف كيف يمكن لى أن أتعايش مع علمى بكل ماحدث لكوفى بيلى، ويقينى من أنى لم أستطع أن أفعل له شيئا فى كل ذلك الذى حدث له.

كل واحد منا كان يشعر بالقلق إزاء وفاة كوفى بيلى، لأننا جميعًا كنا نعلم أنه لم يكن لديه سبب أو مبرر يجعله يسير بمفرده على هذا النحو،أى يقتل نفسه بنفسه. لابد وأن كل واحد منا قد فكر فى هذا الأمر: والمؤكد أن كوفى بيلى لم يكن هو الشخص الوحيد الذى ذهب إلى ذلك المكان، المؤكد أنه كان أول من ذهب إلى هذا المكان. كانت الأصوات عندما كان الناس يتكلمون مرتفعة بعض الشىء وسعيدة لأسباب لم يعرف أحد منا شيئًا عنها، اللهم باستثناء ذلك الأمل الذى يبعث على الضحك والاستهزاء الذى مفاده أن السعادة الكاذبة يمكن أن تعيد الثقه إلى البائسين. حتى النساء كن وضيعات وحقيرات. فى السوق لم يكن لدى النساء ما لايردن إعطاءه أو تقديمه، وكن حريصات جدًا فيما يتعلق بالنقود، وعلى نحو نقل إلينا هذا المرض فى منازلنا. لمنا النساء كما لمنا أنفسنا أيضا، كما لمنا أيضا الأشياء كلها التى يمكن

أن يوجه إليها اللوم. ماالذى يمكن أن يفعله الناس عندما يتبقى فى حياواتــهم شـــىء كبير من المعنى، ثم يبدأ ذلك المعنى القليل يتسرب وإلى غير رجعه مــع كــل يــوم يمضى من تلك الحياوات؟ ما الذى يمكن أن يفعله الناس؟ إننـــا نحمـــى أنفســـنا مـــن أصدقائنا كما لوكانوا حيوانات. حدثت أشياء كثيره عندئ، ولم تعــرف وســيله مـــن الوسائل التى تعيننا على فهم هذه الأشياء. هؤلاء الغرباء، أولئك الرجال الذين سافروا إلى جزر الهند الغربيه، كما لوكانوا بحاره على ظهور المراكب، هــؤلاء الغربــاء عادوا إلينا وهم يلبسون قماشا ولهم لحى، ويتكلمون علانية عن قسوة الرجل الأبيض. قلنا جميعا إنهم كانوا غاضبين، ولكنك إذا ماوقفت مع واحـــد مـــنهم وقتًـــا طـــويلاً واستمعت إلى كلامه دونما خوف، سوف يصبح من الصعب عليك فى أوأخر الكـــلام معرفة النقطه التى أثارت غضبه. من هنا كان الناس يخشون أولئك الغرباء، لا بسبب طيبتهم الشرسة غير المعتادة، وإنما بسبب الحقـــيـــقـــة العنيفة المزعجة التى تنطوى عليها بعض الأشياء التى كانوا يقولونها فى كثير من الأحيان.

شخص آخر عرفته، هو تريكى Tricky منساح Mensah الذى كان يسكن ويعيش بالقرب من الميناء، هذا التريكى هو الآخر قام برحلة بحرية فى واحده من السفن المسافره. لم يغب هذا التريكى مدة طويلة، ولكنه عندما عاد كان قـــد طـــرأ عليه تغير طيب بشكل كبير، كان متواضعًا تواضعًا جمّا فى كل ما كـــان يفعلـــه، وكان يتغنى بتراتيل منخفضه النغم ويحكى بصورة مستمرة عن مجئ الأمريكـــان السود الذين يحبون القوة والسلع، والذين جاءوا لتحريرنا. هل الإسم ايجيـــا Egya أكون Akon يعنى لك شيئا الآن؟ كان أيجيا أكون رجلا سعيدا، وكان يتقبل النكات التى كان الناس يتفكهون بها ويستصغرون بها شأنه، وذلك فى وقت كانت النقـــود فيه شيئا لايملكه أى إنسان، وقد قيل إنه نظرا لأن إيجيا أكون لم يكن يشرب خمرا أو يدخن تبغا، وأنه لم يكن يجرى وراء نساء الآخرين، فقد كان لديه مبلغا كبيـــرا من المال فى مكان ما. عثروا عليه ميتا، مقتولا فى غرفته بواسطة أناس يبدوأنه هو الذى فتح لهم الباب بنفسه، كما أن من يصدقون هذه الأشياء يقولون إن أيجيا أكـــون

في صحوته كانت جراحة تنزف عندما مر عليه بعض أصدقائه؛ ولكنه إيجيا أكــون كان رجلا ولم يكن هناك من أحد غير أولئك الذين كانوا يثرثرون علانيه بذلك الــذى ذاع على الملأ. ولكن لم يكن ذلك كله بمثابة النهاية. فقد كان الناس يتهامســون فيمــا بينهم أن سلم Slim تانو Tano هو الذى جعل إيجيا أكو يفتح بابة فى ساعة مبكــرة من صباح ذلك اليوم، والسبب فى ذلك أن إيجيا أكون يحب سلم تانو حبــا جماوكــان على استعداد أن يفعل أى شيء فى أى وقت يريدة سلم تانو. لم يتــرك إيجيــا أكــو الفرصة لأحد كى يفعل أى شيء أو يقدم أى شيء لسلم تانو، ولكن هذا الأخير غضب من تلقاء نفسة، غضبا شديدا، والشيء الوحيد الذى كان له معنى من بين كل مايقولــه هذا الرجل، هو ذلك الكلام الذى كان يراودة كل عشر دقائق أوما يقرب من ذلك:

'أنا لم أفعل هذا....، وأنا أقسم بقدم والدى أنى لم أفعله....!'

لم يكن صحيحا أن إيجيا أكون كان لديه مال كثير. لم يكسب هذا الرجل نقــودًا كثيرة، كما كان واحدًا من أهل هذا البلد ولكنه لم يكن من أصحاب الشخصيات التــى تسرق من عملها. ولعل هذا كان السبب فى أن الناس الذين كــان يمكــن أن يحبــوه كشقيق طيب، كانوا يصفونه بالحماقة والغباء فى نهاية الأمر. كان الرجــل يحصــل على بضع جنيهات قليله، ولعل هذا المبلغ الصغير هو ماعثر عليه معه أولئك الــذين قتلوه. لكن تلك القلة القليه من الجنيهات لم تكن بمثابة ذلك الشيء الذى يخيب ظنــون أولئك الذين تفشى فيهم مرض ذلك الزمن. كنا جميعًا نكتشف شيئًا كان يبــدو صــعبًا عندما يكون جديدًا. لم تكن النقود مجرد قطع من الــورق، والتــى كــان الفلاحــون يحرقونها استعراضا لثرائهم. لقد كانت النقود هى الحياة.

انا أعرف أن كلامى على هذا النحو يشبه الكذب،إذ لم أكن أتذكر سوى الأشياء الصعبه. ولكن الأيام كانت صعبه هى الأخرى، يضاف إلى ذلك أن ذلك الذى يستحوذ على ذاكرتنا أستحواذا شديدا، يكون متبوعا بذلك الذى يكون صادقًا. أنا أعرف. كانت هناك أمور أهدأ من ذلك بكثير، وأننا نسترجع الكثير من هذه الأمور. بأن نأتى بهــا من الأسفل إلى الأعلى، أمور كانت طيبه فى بعض الأحيان، وجميله فى أحيان أخر.

كان عشب الوى Wee من بين هذه الأمور، كنا ندخن ذلك العشب مرات ومرات، عندما نستطيع الحصول على ذلك العشب بطريقتنا الخاصة، أو عندما كانت معنـــان تأتى إلينا عند نزولها ومعها شيء من ذلك العشب، لم يكن ذلك يحدث دوما بـــالقرب من البحر، ولكن فى أغلب الأحيان نكون قريبين من البحر حتى لايصبح الأمر جديدًا علينا عندما نستلقى على الشاطئ ونروح نراقب سماء الفجر وهى تغير كل صباح من الإصباحات بذلك الشعور الحلو الذى الذى كان ينتابنا ويتبقى فينا على إثر ذلك الـــذى كنا ندخنه أثناء الليل. كان فى الأمر شيء، بالرغم من صعوبه قول ذلك الشيء الآن، وذلك عندما نجلس ونروح نمرر العصا من فم إلى فم، ونروح نطلق النكات إلـــى أن تصل العصا إلى آخر فم من الأفواه، وعندما تستقر كميه الدخان فى الرئـــات التـــى تنتظرها. كان في الأمر شيء أعتقد أننا نفتقده هذه الأيام. لم يكن هناك أحد فى ذلـــك الوقت لايفكر فى نفسه باعتباره شيئا فظا، يضاف إلى ذلك أن الزمن كان يدفع الجميع كى يقتربوا من الحيوانات، ومع ذلك كان هناك شيء يمنع الناس من المضـــى علـــى هذه الشاكلة، وكان الناس عندما يحصلون على شيء طيب يتذكرون الآخر بـــالرغم من كل شيء. كان الوقت عصيبًا، ولم يكن كوفى بلى وحده الذى كـــان يفكـــر فـــى الاختفاء إلى الأبد عن ذلك العالم الغريب الذى يستحيل تحمله. كنا لانجد شيئًا ســـوى أناس آخرين من أمثالنا واقفين ينتظرون لاشيء، وذلك أثناء مرورنا عليهم أثناء الليل عند حافة الماء، فى الضوء الأصفر الخافت، لابد وأننا جميعًا كنا نفكر فى أشياء أبعد من هذا المكان وهذا الزمان، أشياء خارج ذواتناه وأنا لاأعرف الأسباب التى منعتنـــا كلنا من الإنصراف لحال سبيلنا.

* * *

شيء قوى هو الذى أحرق هذا الرجل. هذا الجسم العارى مـــاهو إلا غطـــاء لروح كادت تدمر فى يوم من الأيام، وهى الآن خائفه تماما على نفسها، ومليئه تماما بالقلق القاتل من ذلك الذي يجعله هذا الخوف أمرا مستحيلا. ولكن الرجل لم يسبق له أن عرف بحق ذلك الشيء الذى حول صديقه إلـــى مخلـــوق بشـــرى يختفـــى مـــن

المخلوقات الأخرى. هذه هى حميميات المعتقــدات التـــى ترســخت مـــع العاطفــة والانفعالات الشديدة والولاء فى الزمن الماضى، حميميات أشياء كثيرة نراها بنــوع من الوضوح الذى يفزع أمن الإنسان، وهذا هو كل مافى الأمر. هذا الجسم العـــارى يحيط به نوع من الهدوء الخارجي، ولكن هذا الجسم من الـــداخل فيـــه قـــوة كبيـــرة مستوره عن العين الرقيبه، ولكن ما مقدار تلك الطاقه التى تستطلق من تلك الطاقـــه البشريه المخيفة عندما تكون مصاحبة لعقيدة قويه. هناك شيء يخرج إلى العلن فـــى أوقات بعينها، ولكن ذلك الشيء سرعان ماينسحب إلى الداخل من جديد. الإنســـان يتذكر فى بعض الأحيان عندما يجر صاحبه إلى الحديث عن شيء خـــارج نفســـه، وتصبح الأشياء التى يؤمن بها مكشوفة وغير مستورة، ويكون قد تكلـــم بالطريقـــة التى تكلم بها، وجعلته يجزئ كل شيء تجزئة واضحة فى الضوء وفى الظل ؛ هذه الطريقه جزات أيضا الأشياء الجميلة إلى حد بعيد وهى تســـتطيع أيضـــا تجـــزئ الأشياء القبيحة جدًا الكائنة بالفعل؛ هذه الصور الكثيرة الحقيقية يجرى إرسالها إلى الذهن المنصت مع الكلمات، الأمر الذى يدفع الفهم إلى أماكن لم يكن فيها من قبـــل ولكن ياله من فهم مؤلم، إلى حد أن الإنسان يضع هذا الفهم فى نهاية الأمـــر مـــع الكلام الذى يدمر تلك الصور، الكلام الذى يخلط الجمال مع القبح ، الكـــلام الـــذى يجعل من الظلام توأمًا مع النور، وفى آخر المطاف يقول الانسان ذلك الذى يؤمن به حاليا، ذلك الذى يصبح الحقيقه المتبقية فى نهاية الأمر.الإنسان يتعجـــب وهـــو جالس هناك، ماإذا كانت هذه الاستقاله تجعل صديقه العارى أصغر بكثير مما يمكـــن أن يكون عليه. لماذا نحن بحاجه إلى تقليص تلك الذات المفعمه بالأمل، ولماذا ينطوى الأمر على كثير من الياس؟ هل الحياة نفسها بحاجة إلى قدر كبيـــر مـــن الحمايـــه؟ والإنسان عندما يسائل صديقه عن ذلك، أى عن هدوئه ويأسه، ويروح يتعجب أيضـــا للأسباب التى تجعل المعلم غير راغب فى الاقتراب من أصدقائه القدامى الذين كانوا فى السلطه. المؤكد هنا أن الرجل الصالح يكون أمامه ما شيئا يمكن أن يفعله فـــى مثل هذه الظروف.

في البداية، سأل المعلّم الرجل، ' تقول شيئاً يتقاتل الناس من أجله' ولكنـــه لـــم يصطبر على الرجل كي يرد عليه وأردف قائلا: ' الأشياء التي يريدها الناس، أنـــا لا يتحتم علّي العطاء. ولا أحد يرغب أو يحتاج ذلك الذي يتصادف أن يكون عندي. إنه الكلام وحده، أولاً وأخيرًا.

كان الرجل قد قال شيئا مهما عن الترابط الذي بين الكـــلام وحريـــة الرجـــال المستعدين، ولكن المعلم قال بعد ذلك واحدا من أقسى الأشياء التي قالها فـــي حياتـــه كلها؛ قال الرجل وهو يهزكتفيه إن الرجال كلهم أحرار في أن يفعلوا ذلـــك الـــذي، يودون عمله أوفعله، كما أن من حقهم أيضا أن يسخروا ممن يجلـــب لهـــم ضـــوءًا مكروها، وبخاصة إذا كان مايعرفون أنهم بحاجة إليه هو الظلام. لقد حكـــى الرجـــل قصة قال عنها إنها كانت تعني له الكثير أيام شقائه وتعاسته، وذلك على العكس مـــن أية قصة أخرى؛ كانت تلك القصه تعني شيئًا كان يطلق عليـــه أســـطورة كهـــف أفلاطون. لم تكن تلك هي المرة الأخيرة التي أستمع فيها إلى تلـــك القصـــة مـــن صديقه. نظرا لأن تلك القصة كانت لها سطوة خاصة على ذهن راويها: هي قصة عن الظلام الذي لايمكن أختراقه، وعن سلاسل وأغلال داخل حفرة تشبه الجـــب، وأن تلك الحفره فيها أناس، لم يرو على امتداد عصور طويلـــة أي شـــيء خـــارج ظلمة أشكالهم الظليه، ولم تكن لديهم الوسيلة التي تجعلهم يعتقدون أن هنـــاك شـــيئا خارج ذلك الظلام. ومن بين هؤلاء، هناك مخلوق تعيس تمكن في نهاية الأمر، من الإفلات من السلاسل والاغلال وراح يتجول خارجًا من تلك الـــدائرة الأبديـــة التـــي تطوق ذلك الكهف الخالي من الأضواء، وتمكن من رؤية الجمال المبهر الصادر عن مختلف أضواء وألوان العالم الخارجي. ويشغف الجالب الأول يعود ذلك الجائل إلـــى الكهف من جديد وإلى ظلمته الأبدية، ليتقاسم مع أهل ذلك الكهف كل مايملك؛ ويتقاسم معهم الأفكار والكلام والصور الذهنية التي ارتسمت في ذهنه عن الأضوء والألـــوان في ذلك العالم الخارجي، وهو يعلم علم اليقين أن أولئك الذين خلفهم وراءه هم بحاجه ماسة فعلا إلى تكسير تلك الأغلال القديمه، وأنهم يتطلعون أيضا إلى رؤية الأضـــواء

والألوان فيما وراء ذلك الكهف الأبدى. ولكنه عاد إلى أولئك الموجودين داخل هـذا الكهف الأبدى كما لوكان قد أصابه المرض، نتيجة تكسير الحدود الأبديـه، كمـا أن الحقيقه التى سعى إلى توصيلها إليهم لم تكن سوى برهان ودليل على خداعة الطويل، كما أن الكلام الذى كان يقوله لهم لم يكن سوى صياح كريه صادر عن مجنون ضاع فى متاهات عقل ذهب إلى شأن بعيد خارج نطاق طريق الظلام الأبـدى والسلاسـل والأغلال.

بعد كل روايه من الروايات المختلفة للقصة يتساءل الراوى، كما لوكان يـتكلم إلى الهواء ويتساءل عن الأسباب التى تحتم على الناس الإفتراق ويحبطون أنفسـهم، فى حين أن من لديهم حرية الإختيار يختارون ذلك الذى يريدونه؟

* * *

ليس صحيحًا مطلقًا أن الرجال عندما يكونون محبطـين ويائسـين يرفعـون أذرعهم ويرحبون بكل من يتحدث معهم عن الخلاص. لوكان الأمر كذلك، لكنـا قـد سرنا وراء الرجال الأول الذين جاءوا يعرضون علينا كلاما وخططا خفيه يشفوا بها أرواحنا. ولكننا لم نجر وراءهم شوقًا كى نتبع أيًا منهم. أثناء هذا القهر خرجنا إلـى الأماكن العامة كيما نتبين ذلك الذى يتحدث الناس عنه، سواء أكان ذلك شيئا يمكننـا الاتجاه نحوه بكل آمالنا، أم مجـرد اسـتعراض آخـر وبطيـئ مثـل كثيـر مـن الاستعراضات المماثله التى سبق لنا أن شاهدناها، ومثل استعراضات أخرى مماثلـه سنراها أيضا.إلى متى ستظل إفريقيا لعينه بسبب زعمائها؟ كان هناك بعض النـاس الذين يموتون بسبب تبددآمالهم، بعض آخر من الرجـال كـانوا يجـدون الطـرق المبهرجة التى تمكنهم من التمتع بقوة لم يكونوا يملكونها. كنا هنا علـى أسـتعداد لتقبل أشياء كبيرة وجميلة، ولكن كل ماكان لدينا هو رجالنا السود وهما يحتضنون كروشهم الكبيرة الجديده وهم يحبون سعيا إلى الرجل الأبيض لكى يرحبوا به وهو راكب على ظهورنا. هؤلاء الذين كان مطلوبا منهم إخراجنـا مـن ذلـك اليـأس والقنوط، جاءوا مثل أناس بدينين متخمين بفعل قرون من السلطة التى لم يناضـلوا

أو يكافحوا من أجل الوصول لشيء منها سوى القبور. هؤلاء الزعماء كانوا محامين من قبل، كانوا شيئًا ينمو متطفلاً على متاعب الناس الذين كانوا يفلحون الأرض، ولكنهم إنبروا خارجين ليكونوا منقذين ومخلصين لنا. كان أشقاء هؤلاء الزعماء وأصدقاؤهم تجارا يأكلون الفضلات المتبقيه بين أسنان البيض هم وشركاتهم جاءوا ليتحدثوا إلينا عن الإنقاذ وعن الخلاص. كان البيض هم سادتنا وأصبحنا ندرك هذه الحقيقه ونعرفها؛ وهذه المعرفة وهذا الإدراك كانا، في بداية الأمر، يملآنا بالخوف ثم بعد ذلك بالغضب. وهؤلاء الذين كان مفترضًا لهم أن يكونوا زعماء لنا كانوا يتخذون من البيض سادة لهم، كما كانوا هم بدورهم أيضا يخشون من أولئك السادة ويخافونهم، ولكن بعد الخوف، لم يكن فى دخائل هؤلاء الزعماء سوى الحقد والغضب اللذان كانا يسيطران علينا فى بأسنا وقنوطنا. كل الذى كان يستشعره أولئك الزعماء هو الحب. هؤلاء الزعماء كانوا يشعرون بالامتنان والولاء لسادتهم البيض. وبذلك جاءوا إلينا فى النهاية، لكى يتولوا قيادتنا نحو الغد الموعود، أو إن شئت فقل: المنتظر.

هناك شيء مخيف تمامًا لمن يراقب رجلاً أسودًا وهو يحاول جاهدًا وبكل الطرق أن يكون مجرد شبح أسود للرجل الأوروبى، وذلك هو ماكنا نراه فى تلك الأيام. هؤلاء الذين صعدوا لتزعم الجوعانين جاءوا إلينا وهم يرتدون ثيابًا، ربما كانوا يتطلعون إلى استعمالها فى الحفلات التى يقيمها الحكام بمناسبه الاحتفال بعيد ميلاد البيض، ويحملون معهم كلبشات كانت تلمع فى وجوه أولئك الذين سرقوا بضع بنسات من أصدقائهم. جاءوا متاخرين وراحوا يتحدثون إلى خدمهم بانجليزية قانونيه أنهم أمضوا حياواتهم، كى يتعلموا محاكاه الكلام عن الدستور، وراحوا يقدمون لنا ويعرضون علينا أشباحًا خفيه من الكلام، ويتكلمون عن ورق يعده الأوروبيون شيئًا مقدسا، وراحوا يطلبون منا أن نكون أمناء معهم ونثق بهم. كانوا يتحدثون إلينا، من باب أنهم كانوا حواتنا وسحرتنا، أو إن شئت فقل: أناسًا لهم قوة سرية تقف من ورائهم. لم يستطيعوا فى نهاية الأمر تفهم كفر الشعب ومروقه. كيف لهؤلاء الناس أن

يفهموا أن حتى أولئك الذين لم يسافروا إلى هنا أو هناك، يعرفون أن الرجل الأسود الذى أنفق حياته فى الهرب من نفسة إلى البياض يصبح بلا حول أوطول إذا لم يعطه الرجل الأبيض شيئا من هذا الأبيضاض؟ كيف لهؤلاء الزعماء أن يعرفوا أنهم فى الوقت الذى كانوا يرتقون فيه إلى الأعلى لكى يتغوطوا على وجوه الناس، كان شعبهم قد أى دبرهم وانسحبوا مبتعدين عنهم، وهم يضحكون استهزاء وسخريه بأولئك الزعماء؟ عرفنا عندئذ، كما نعرف الآن أن القوة الحقيقية لأى رجل من الرجال السود إنما تاتيه من السود أنفسهم. عرفنا أيضا أننا كنا أولئك البشر الذين كان أولئك الرحال المزيتين يبحثون عنهم كى يساعدوهم ويؤازروهم. كل مافى الأمر أن هؤلاء البيض لم يعرفوا ذلك . كان أولئك الزعماء يتصورون أنهم يسدون إلينا معروفًا، عندما يجيئون ويتحدثون إلينا بكلام لايقول لنا شيئًا عن أنفسنا، وإنما ليرسخ فى أذهاننا أشياء جاءت إليهم ممن هم أعلى منهم. جاءوا إلينا بعد تأخير دام ساعات، ونحن كنا مانزال واقفين فى الشمس ننتظر الاستماع إلى ذلك الذى يودون قوله؛ ومع ذلك جاء إلينا بكلام مقترض ومستعار هم أنفسهم لم يفهموه، وهنا أحس الناس بالنعاس يشغالهم، ثم أوقظوا ليستمعوا حكايه يرويها شخص عبيط أو أبله.

'آه، يابلد، أهؤلاء البدناء الذين يرتدون ملابس المهرجين، هم الذين سيقودونا؟'

'آها، يابلد، نحن نموت فى دواخلنا.'

قامت قلة قليلة من هؤلاء التعساء المحبطين وراحت تتدبر ذلك الذى يمكن عمله، ظنًا منهم أنهم سوف يتحطمون إذا لم يقوموا بعمل ما. هؤلاء الزعماء البدناء أعطوهم جالونات من المشروبات الروحيه القاتله، كما أعطوهم أيضا لحم البقر المعلب المعتاد كما أعطوهم أيضا أشياء يفعلونها كى يخيفوا بها البيض. وعندما جرى الإمساك بأولئك التعساء المحبطين، لم يهتم المحامون حتى بمجرد النظر إلى الطريق الذى سلكه أولئك اليائسين. وكيف يفعل المحامون ذلك، وكل همهم هو أن يثبتوا للسيد الأبيض مدى إتزانهم، وإخلاصهم، ومدى اختلافهم أيضًا عن أولئك الذين

يشربون الأكبتشى Akpeteshic، ذلك المشروب المسكر القاتل، كما يثبتون للبيض أنهم يستحقون أن تكون لهم سلطة على شعبهم، ويكون ذلك من باب اقتسام السلطه مع البيض؟ من هنا كانت الاجتماعات تنعقد ويعدون الناس فيها بالكشف عن خطط لأنهاء آلام الناس. كما كان كلامهم إلى من ينتظرون تحت المطر ينتهى بقولهم: ' ثقوا بنا. نحن نعرف الرجل الأبيض ونعرف أساليبه. ثقوا بنا. نحن لدينا الخطه كيت وكيت، والخطه سين والخطه عين.' أفضل لكم أن تعودوا إلى بيوتكم وألا تقفوا فى الشمس مرة ثانية. أفضل لكم أن تتركوا المهرجين يتكلمون مع بعضهم البعض، وهم يحبون البيض حبًا جمًا. مات كل الفضول الذى كان أهله يتطلعون إلى أن يصبح كبار السن هم الزعماء، وراح الناس يفكرون من جديد فى طرق جديدة علها تقلل من بأسهم، وتقلل أيضا من أعداد أولئك الذين يقاسون الأمرين من ذلك اليأس.

هؤلاء العجائز من المحامين هم واحتفالاتهم قدموا لنا شيئًا طيبًا واحدًا هو الذى قلل من ثقل أيامنا وهمومها، قدموا لنا شيئا نتفكه به ونسخر منه. . وأصبح من عادتنا بعد ذلك أن نجلس فى أى مكان، ونروح نراقب أحدهم وهو يقلد الكلام الانجليزى والحركات والإيماءات الإنجليزيه لأولئك الذين يريدون تولى قيادتنا. كان هناك شاب صغير استطاع أن يجعل الناس يستلقون على أقفائهم من الضحك. أنتم لاتعرفون ذلك الشاب. فقد تعين على ذلك الشاب الهرب بعد الإضراب الأخير الذى حدث فى تاكورادى. لعلكم تعرفون أن ذلك الشاب سبق له أن شاهد أشياء كثيرة، تستثير الضحك فيما يتعلق بأعضاء أوبأناس الحزب الجديد. فى تلك الأيام كان من عادة ذلك الشاب أن يحكى لنا بطريقه جدية تمامًا أنه سمع بعض الأخبار الهامة جدًا. ثم يقوم بعد ذلك بتمثيل ذلك الذى يتعين عليه قوله. أولا، أنه كان الحاكم الذى يستعد للقاء خدمه، وهو يلبس خوذه مزينة بريشه أطول منه هو شخصيًا ، ويمشى وتلك الخوذه فوق رأسه. بعد ذلك، وعندما كان الحاكم يجلس أرضًا، كان ذلك المهرج، الذى يدعى إتس Etse يتوقف قليلا كيما يقوم بلعب دور آخر. كان ذلك المهرج يأتى مثل لص محترف وهو يبتسم ويقف أمام مقعد الحاكم ويتلعثم وهو يقول:'

سيدى، عندى لك بعض الأخبار." (ويبتسم إبتسامة زعيم أفريقى) ثم يستدير بسرعة ويجلس جلسة الحاكم، ثم يتساءل إتس Etse بعد ذلك، 'نعم' وماهى هذه الأخبار أيها الصبى؟'

يقول الزعيم: 'آه، أهل بلدى ليسوا سعداء.'

'عجبًا! بعد كل ذلك الذى فعلناه من أجلهم؟'

'نعم.'

'أولئك الشياطين الجاحدين!'

'نعم'

'إذن، قل لى أيها الصبى. ماهذا الذى يريدونه؟'

تتسع ابتسامة القيادة.' سيدى، لو جعلتنى رئيسًا، فسوف يسعد أهل بلدى من جديد.' ابتسامة أوسع. وانحناءة. ثم نظره من نظرات الحب والامتنان.

قد يكون من الخطأ أن أتكلم عن تلكم الأيام باعتبارها عامرة بالشقاء ولاشىء غير ذلك. وأنا لاأعرف البلدان الغربية التى يتجول إتس فيها حاليًا، وهو مطرود بفعل شىء كان يحبه فى بداية الأمر.

كنا نسخر من بعض التشخيصات التى كان اتس يقوم بها، فى عصر يوم من الأيام، وعندها، وبعد غياب طويل عادت إلينا معنان وهى ترتدى ثيابا تصيب أى رجل بالإغماء وتحكى لنا عن المكان الذى ذهبت إليه. كل ماكانت تود معنان قوله إنها جاءت لحضور الاحتفال. كنا نعرف أن حفلاً سيقام فى أسمانسودو Asmansudo، ولكننا توقفنا عن حضور ذلك الإحتفال. منذ زمن طويل، ولكن معنان فأجأتنا جميعا بحضورها. وقف إتس وراح ينظر إليها نظرة المعلّم إلى طفل من الأطفال. معنان، هل تتفضلين بأن تقولى لنا، لماذا جئت إلى هنا وتلغينا

جميعًا، وتتركين الرجال الكبار البالغين هنا ليذهبوا ويستمعوا إلى أولئك المحـــامين العتاه؟' ولكن معنان لم يكن أمامها إلاأن تضحك، ثم تكلمت أنا أيضا.

'أبقى هنا. هؤلاءالقرده كبار السن لايمكن أن يعطونك الأشياء التى يمكن لنا نحن أن نعطيك إياها. لقد خسروا كل أشياءهم، أثناء محاولتهم أن يكونوا بيضًا.'

ضحكت معنان ضحكة امراة سعيدة، وبعدأن هدأت قالت: 'لقد تأخرتم أيهـــا الناس.إنكم لم ترونه بعد.'

'من هذا الذى لم نره؟'

'ذلك المحامى العجوز الجديد الذى ود أن يكون أبيضًا.' لم يكن إتس Etse غاضبًا مثل ماهو الآن.

'لا.إنه ليس جديدًا، وهو شاب أيضًا.' سألت معنان عن المكان الذى جاءت منه. 'أنا لاأعرف ذلك بعد.'

'أهو غريب عنا إذن؟'

'إنه واحد منا بالفعل. كل مافى الأمر أن أحداً منا لايعرف الكثير عن هـــذا المحامى. الناس يقولون إنه لايتكلم كثيرًا عن نفسه. هولا يتكلم إلاعن العمل الـــذى يتعين علينا القيام به.'

قال إتس:'هو أحمق آخر،إذن، أحمق مثل الحمقى الأخرين، عندما يتكلمـــون إلى أناس عاطلين عن العمل الذى يتعين علينا القيام به.'

لم ترد معنان عليه. ونظرت إلينا تلك النظرة الغريبة التى تنم عن السعادة ثم قالت: 'تعالوا واستمعوا إليه، عند الساعة الرابعة بالضبط.' ثم انصـــرفت معنـــان خارجة والضوء السعيد يتراقص فى عينيها، تاركة إيانا جميعا ونحن نتعجب مـــن ذلك الذى حدث لها مؤخرًا. وكما لم يكن لدينا شىء يمكن أن نفعله ،فقد بدأ ترددنـــا ينحسر عنا شيئا فشيئًا، ورحنا نتجول فى أنحاء منطقه السوق، كما لوكنا لانرغب أو

نود الذهاب إلى أى مكان، ولكن عند الساعة الرابعة كنا مع ذلك الحشد الموجود فـــى أسما نسودو ' Asmansudo، ودهشنا تماما عندما شاهدنا هذا العـــدد الهائـــل مـــن الناس. كانت الأخبار تنتقل من فوق رؤوسنا ومن تحت أقدامنا، ولكنها لم تصـــلنا إلا فى هذه اللحظة.

كان الرجل على علم، منذ زمن طويل، بالألام الناتجة عن الإحباط الذى كـــان يعتمل داخل صديقه. وكان هو الآخر، قد أحس ذلك الإحباط فى داخله أيضا، وكـــان من باب التعاطف فى الماضى بل وحتى الآن، أن كل مايجب عليه فعله هو تخفيـــف الضرر الناتج عن كلام المعلم Teacher الذى استرجعوه وتذكروه من جديد. ولكـــن صديقه نفسه كان بحاجة إلى شيء من الكلام الذى يريح النفس ويبعث فيها الهـــدوء. هذا الذى كان يساعد فى أحيان كثيره بالكلام الدؤوب عـــن دورة الحيـــاة والمـــوت، والشباب والهرم، والجديد والمتحلل، هذا الذى يطيل الكلام عن الطعام الطيب الـــذى نتناوله والغائط كريه الرائحة الذى يؤول إليه هذا الطعام بمرور الوقت: بالرغم مـــن كل هذا الهدوء المظهرى، إلاأن ذلك الإنسان كان يعانى هـــو الأخـــر، مـــن الألـــم والأوجاع . كم مرة يتناسى هذا الإنسان – أن ذلك كان هو حال الحياة كلها، وأنه لـــم يكن هناك أى شيء فى أى مكان يمكن أن يحافظ على ثراء الحياة وعبيق شبابها إلى الأبد ؛ كما يتناسى أيضا أن كل شيء يكبر ويشيخ، وأن الأنسان التى كانت بيضاء فى يوم من الأيام، سوف تكسوها قشرة خضراء وصفراء اللون، ثم تتساقط بعـــد ذلـــك ، مخلفة وراءها فمًا عاجزًا تمامًا، وعامرًا فقط بالعفن، والتحلل، وتفوح منـــه رائحـــة الموت القريب. ولكن بعيدا عن ذلك التحلل هناك دوما التورد الجديد. هذا التورد ربما يعيننا على تعرف كل ذلك. وربما خلص الذهن من المعاناه، بالرغم من عدم ســـكون الآلام والمخاوف التى تكون فى القلب وداخل الأحشاء. كانت الوعود جميلـــة جـــدًا. وحتى أولئك الذين بلغوا من الصغر حدًا عجزوا معه عن فهم كل ذلك ، كانوا يعلمون "أن الخير كانت تجرى ولادته. الخير كان موجودًا هناك. نحن لم نخدع بذلك . كيـــف يمكن لشيء من هذا القبيل أن يتحول تحولاً كاملاً إلى شيء آخر تمامًا؟ ألم يكن هناك

طريق آخر أو وسيلة أخرى؟ كان الجمال فى يقظه أولئك الذين لاحول لهم أوطـــول. هل يصدق دوما القول بأنه يستحيل أن تكون لدينا أشياء قوية وجميلة فى ذات الوقت؟ الجوعانون ليسوا بحاجة إلى الإبقاء على جوعهم. لكن أن يتخم هؤلاء الناس أنفســهم على هذا النحو، ويدمرون الآمال المشتركه بطمعهم، لم يكن أمرًا مقضيًا أو حتميًــا؟ كم مرة حاول المعلم Teacher تقديم يد العون من خلال قوله: إن هذه هـــى الحيـــاة ولاشيء غير ذلك، ومن خلال قوله: بأن من الأفضل فى كل برهة من برهات الحياة دفن الآمال التى يستحيل استعادة ذكراها، وأن من الأفضل أيضًا القول بأن الحياة لــم يتغير فيهاأى شيء اللهم باستثناء الآمال وخيبات الأمل؛ وأن من الأفضل أيضا القول: بأن الناس هم الناس، والأطفال، والشباب هم الشباب، والكبار هم الكبار، والعجائز هم العجائز؛ وأن من الأفضل الخروج والقاء نظره على كل هؤلاء وأن نصـــحوا مـــن الأحلام التى نعذب بها أنفسنا. النظر، القبول، تحرير النفس حتى نتمكن من رؤية ذلك الذى يمكن عمله رؤية واضحة، وذلك الذى يستحيل علينا عمله.لقد سمع المصغى. لم يعد المصغى قابعا بعد داخل الكهف حتى يتعذر عليه سماع مايقال. ولكن ماذا يفعــل الإنسان بالأشياء التى تظل داخله بلا إشباع ؟ أليست الصيحة المكتومة لهذه الأشـــياء هى نوع من الحياة أيضا ؟

هذا الرجل الجديد لابد أن يكون قد بدأ حديثه قبل لحظات من وصـــولنا إلـــى ميدان أسما نسودو Asmansudo، نظرا لأن صوت الرجل مازال منخفضًـــا. لـــم يكن ذلك الرجل يبذل أية محاولة للصياح أو الكلام بصوت عال، يضاف إلى ذلك أن هدوء صوت هذا الرجل اضطرنا جميعا إلى الإنصات إليه باهتمام كبير.

'... نخدم أنفسنا...' كانت همهمة الجمهور لم تنته بعد '.... لاننظر إلـــى أن يحدد الرجل الأبيض الأعمال التى نقوم بها...' كانت عبارات الرجل تنساب خـــلال النسيم حرة طليقة، وكان الجمهور يستمع ويصغى إلى تلك العبارات ألانستطيع نحـــن التفكير فى الأشياء التى ينبغى إنجازها؟ لماذا نظل عـــاطلين إذن....؟' كـــلام عـــن الأعين التى ينبغى أن تظل مفتوحة والعالم الذى ينبغى النظر إليه.' عندئـــذ نســـتطيع

التفكير.... عندئذ نستطيع التصرف.' كان الصوت عامرًا بالقوة فى هذه المرة، هـذه القوة سرعان ماتراجعت، ليحل محلها صوت هادئ.

نحن لن نخدم أنفسنا إذا مابقينا مثل الحشرات، مبهورين بقوة البيض. دعونـا ننظر إلى الأمام. من نكون؟ ما الذى لدينا؟ هل بوسعنا أن نعمل من أجل أنفسنا؟ هـل بوسعنا تقوية أنفسنا؟'

وقفت هناك أطيل النظر إلى ذلك الرجل كما لوكنت واحدًا من المؤمنين بـه، وعندما توقف عن الكلام شعرت بالخجل ونظرت حولى كى أتبين إن كان هناك مـن يراقبنى. كان الجميع منصتين. هذا الرجل الموجود فى الأعلى يبدو أنه لاحـول لـه ولاقوة، وهو نحيل الجسم ضعيف البنية. من أين حصل ذلك الرجل على قوته التـى مكنته من الكلام بثقة كبيرة بالنفس، وكنا ننتظر منه الكثير؟ يبدوأنه كان هناك شـىء أكثر من مجرد الكلمات . هذه الكلمات كانت تغوص فى أعماق المسـتنقع، وتجعلـه يتماشى مع الشخص الذى يتكلم.

'.... فى النهاية، نحن أولاً وأخيرًا الذين نجعل من أنفسنا عبيدًا. ونحن عندما نتحدث اليوم عن ذلك، يصبح كلامنا مجرد وعود، لم ترق بعد إلى مستوى الحقيقة... الحرية!...' صاح جمهور الحاضرين، وصحت أنا أيضا، ولكنى فى هذه المـرة لـم أشعر بالخجل أو الكسوف .

فى أواخر الكلام راح الرجل الجديد يتحدث عن نفسه.آه، لوأمكنه البقاء علـى هذا الحال!ولكنه واقف هناك، فوق العالم، منقذ ومعه عبدته الخاصين به، هذا الرجل ليس له شبيه أومثيل فى الحياة. وعندما كان يتكلم، كلامه يجعله أصغر مما كان هـو عليه فى البداية وأضعف مما كان عليه فى البداية أيضا.

'جئت إليكم. وهاأنتم ترون أنى خاوى الوفاض. قلة قليلة مـنكم هـم الـذين يعرفون المكان الذى أعيش فيه. ذلك المكان لايحتوى على الشىء الكثير. بل إن الذى هناك ليس ملك إلى. إنه حنان امرأة، واحدة من بينكم هنا. قبل أن ترانى هذه المـرأة

كنت أفعل ذلك الذى نفعله جميعًا، وكنت أنام فى شرف الناس الآخرين. هــذه هــى حقيقة الأمر، وعليه فما الذى يجعلنى أشعر بالخجل عندما ينظر إلى المتكبرون نظرة استعلاء وكبر وينعتونى بكنية"صبى الشرفات"'؟ أنا لاأخجل من فقرى. فالفقر ليس فيه مايشعر بالخجل.أما العبودية..... مامداها....

'وحدى أصبح لاشىء. وأنا لاأملك شيئا. ولكن لدينا القوة. ولكننا لن نتعرف هذه القوة مطلقا، ولن نرى هذه القوة مطلقا وهى تعمل عملها. اللهم إلا إذا تجمعنــا حتى تعمل تلك القوة عملها. هيا بنا نتحد... هيابنا نحــن....نحــن.....نحــن.... الحرية.... الحرية!'

لم أكن وحدى الشخص الذى لزم الصمت عندما والتقينا للمرة الثانية فى ذلك المساء. حتى إتس etse لم يجد ما يستخف به ويطلق عليه نكاته، هذا بالرغم مــن التهديد الذى مفاده أن كل الأشياء التى تتخذ طابع الجد كانت تقتلــه مــن الــداخل. جاءت معنان متأخره كثيرا، ووجدتنا كلنا هادئين. استطعنا الوقوف على ســعادتها من خلال حركه جسدها نفسه، وكان ذلك الجسم جميلاً. لقد كانت إمراة غارقة فــى الحب إذن.

'كانت معنان تلقى بأنوثتها على هذا الرجل الجديــد.' هــذا الرجــل كــان إتس Atse .

'آه، يارجل، دعنى أرطبه.' كان مدهشًا بحق أن أرى أن معنان يمكــن أن تكون على هذه الدرجه من السعادة، ومع ذلك تستمر فى كلامها بهذا القدر الكبيــر جدًا من الهدوء. 'دعه ينقع نفسه فى الحب. اليوم، بدأت الأشياء تسرى فى داخلى، وأخرجت منى ذلك الذى خبأته فى داخلى. لقد أخرج منى هذه الأشياء.لم تكن هــذه الاشياء جديدة على. كل مافى الأمرانى لم أر مطلقًا أى شىء حتى أذهب وأصطاد تلك الأشياء. كان الرجل يقرؤنى. أنا أعلم أنه كان يتحدث عنى. كان يتكلم أيضــا.

لكن هل استمعتم إليه؟ كيف يستطيع رجل مولود من امراة، أن يقرأ لى أفكارى قبل أن أعرف أنا هذه الأفكار؟ أنا أسألكم، كيف يستطيع ذلك؟'

تساءل إتس،' ضاعت زوجة ثانية، كم أنا رجل رقيق الحال!'

كانت معنان تضحك ضحكًا رقيقًا. 'وكانت تبدو عليه قلة الحيلة. إنه بحاجة إلى إمرأة كى ترعاه.'

قال إتس بسرعة حادة،' يفضل أن تكون معنان هذه المرأة.'

قالت معنان ببطئ 'من المفضل أن تكون معنان.' قالتها وهى تتذوق معانى الكلام:' يفضل أن تكون معنان.'

كيف يمكن لذلك أن يتعفن بمثل هذه السرعة الكريهة؟ أظـن فـى بعـض الأحيان أنى قادر على تفهم هذا الأمر، وبخاصة عندما أراه على أنه ضوء أوشعاع من رجل يتخوف من موته ويخشاه. وسبب ذلك أن هذا الرجل الجديد كان يخـاف العواجيز أصحاب النكات. لم يكن بوسع أولئك المنكتين الحضور إلى هذا المكـان، ومن هذا الرجل؟ شباب هذا الرجل الجديد هو الذى دمره بفعل شبح الوعود القـوى فى تلك الفترة. لو كان هذا الرجل قد سار فى طريق شبابه وحافظ عليه، ترى مـا الذى يمكن أن يمنع رجلاً شابًا، واحدًا من أمثاله وهو فى ريعان شبابه، من المجئ 'قبله كيما يكون أكثر ألتزاما بالمسار نفسة؟ شاب كان بوسعة أن يحيا الحياة نفسها التى عاشها هو من قبل، هذه الحياة لايمكن له أن يعيشها مرة ثانية عندما أصـبح رجلاً عجوزًا، وعندما بدأت الأشياء المضيئة تجذب الجسم المتعب ناحية الراحـة وناحية التحلل. ولكن ذلك كان يمكن أن يعنى نوعا آخرا من أنواع الموت بالنسـبه لهذا الرجل الجديد، هذاً الموت الذى جعله يسير ويمشى وهو يخشى ذلـك المـوت ويخاف منه كل يوم. ومن ثم، فإن نهاية هذا الرجل الجديد تعين أن تكون نهاية كل مابدأه هو بنفسه،وإذا ماجاءه وعد آخر، فان مثل هذا الوعـد لايمكـن أن يكـون استمرارًا للوعد الذى تمسك به من قبل، ولكنه استهلكه، ثم قضـى عليـه قضـاءً

مبرمًا. ربما كان من الصعب علينا التساؤل بأن أولئك الذين يقتربون من نهاية الدائرة يتعين عليهم أن يقبلوا وبلا خوف ذهاب مجيء الحياة والموت.

ربما يكون ذلك البحث قد وصل إلى شأن بعيد. يمكن القول إنها القوة وحدها، أي نوع من القوة التى لاتستطيع التحدث مع من ليس لديهم القوة. الأمر غاية فى البساطة. كان الرجل الجديد طيبًا عندما تعين عليه الحديث إلينا، وكان يجب أيضا أن يكون معنا. وعندما انتهى ذلك، انتهى معه كل شىء. والآن كل مايتعين علينا عمله هو الإنتظار لنرى مايحدث، مثلما جاء ذلك الرجل من قبل .إنها القوة. أنا أقول ذلك لأنه ليس الشخص الوحيد الذى خسرته القوة. هذا يحدث لكل المحيطين به، أولئك الذين لم يكونوا هناك بصورة دائمة من أجل خاطرالقوة التى يمكنهم العثور عليها. تذكر صديقك كومسون Koomson الذى سيجعلك ثريًا. تذكرنى أنا أيضًا.

نحن نعرف كومسون هنا منذ زمن طويل. كومسون هذا عمل فى السكك الحديدية، ثم عمل بعد ذلك عاملاً فى ميناء من الموانئ. كان يعمل فى جذب الحبال وشدها. يدان متقرحتان، خشنتان، متمرستان. صوت بحار من البحارة. رجل غليظ ضخم،واحد من رجال الأهوسة يحبه العاملين فيها. إتقان العمل هنا هو طريقنا إلى العمل الجيد هنا فى هذا المكان. هنا لايجرى التفل على مواطن من المواطنين، كل الذين هنا هم من من التجار السمان وأشقائهم المحامين، والأصدقاء اللبنانيين العاملين ضمن العصابات، ومع ذلك فكل ذلك أمر طبيعى فى هذا المكان. أنا مازلت لاأعرف الطريقة التى جاء بها كومسون إلى اكرا Accra. كل واحد يتكلم وهو يلوح بيده، 'آه، أنت تعرف ذلك الشىء الأيدولوجى. هذا الذى نسميه Winneba بلغتنا نحن.' هذا حقيقى.هذا المنحى الذى تنتحيه البلاد فى أيامنا هذه، إنهم لايصدقون أى شىء، ولكنهم يقولون إنهم يؤمنون ويصدقون كل ماهو بحاجة إلى الإيمان والتصديق، طالما أن ذلك يترتب عليه الحصول على الأعمال الكبيرة والنقود الكثيرة. الرجال الذين لايعرفون شيئًا عن السياسة أصبحوا يركزون على

الأيدولوجية، ولايفكرون فى شىء سوى النقود الذى يمكن أن تترتب علـى ذلـك. الموظف الحكومى الذى يكره الاشتراكية، موجود هناك يتغنى بتسبيح وتمجيـد الله. الشاعر موجود هناك، يخدم القوة، وينتظر أن يملأ كرشه بالطعام. هـذا الشـاعر سوف يقفز بلا شك منصرفًا ويعمل لسانه فى قصائد جديدة عندما تبزغ دبر جديدة وتروح تتغوط علينا. كل من يود السرعة يذهب إلـى هنـاك، والشـىء الوحيـد المطلوب منهم هوأن يكونوا أجوادًا فى التزلف والتملق. أهذا هو المكان الذى غير كومسون عامل الموانئ؟ أم أنه ذهب إلى هناك بعد أن تغير؟ لأنه سبق أن تغيـر؟ لقد شاهدت ذلك المكان، ولقد شاهدت أيضًا ، وشاهدته أيضًـا عنـدما كـان فـى أكرا.إنه يحيى حياةً أكثر إيلامًا، وذلك على العكس من الحياة التى يعيشها البـيض هنا. أهو صحيح إذن، بعد كل هذا الكلام، إن ذلك هو كل مايتطلع الناس إليه هنـا؟ ليس هناك فارق إذن. ليس هناك فرق مطلقًا بين الرجال البيض وبـين قـردتهم، المحامين والتجار، ليس هناك فرق حاليًا بين القردة وقردة القردة، ألاوهـم رجـال الحزب. وبعد أن ينتهى حكمهم، لن يكون هناك أى فرق مطلقًا إلى الأبد. هذا يعنى أن الرجال الجدد كلهم سيكونون مثل كبار السن. هل هذه هى الحقيقة كلها؟ كبائن، مطلية باللون الأبيض. سيارات، طويلة وثقيلة، فيها سائقين يرتدون أزياء موحـدة بيضاء اللون ينتظرون ساعات طويلة فى وهج الشمس. نساء، صـغيرات السـن تمامًا تجرى مضاجعتهن وتبادلهن مثل قطع الملابس، لايطلـبن سـوى البلـوزات والعطور من الحقائب الدبلوماسية، كما يطلبن أيضًـا طـواقى الشـعر المسـتعار المأخوذ من جثث الموتى من النساء البيضاوات؟ وهذا هو الويسكى يجرى تهريبـه لأولئك الذين يسنون القوانين. وهذه هى السجائر التى تجعل أولئك الذين لم يسافروا خارج البلاد يصيحون خوفًا وعارًا. كيف يعود كومسون إلينا؟ ما الذى عنده حتـى يقوله لأولئك الذين اعتاد العمل معهم؟ هل سيأتى الينا ليرى تلك الأجساد التى خلفها وراءه دون أن يقول شيئًا؟ هل يمكن له الجلوس مع الرجال ويدخن معهـم عشـب الوىwee ويروح يلعن ويسب القضاة الأغنياء الذين حكموا بالسجن على أولئك الـذين لم يتسببوا فى ضرر أى أحد من الناس؟ لقد جاء كومسون إلى هنا مرات كثيـرة،

ولكنه كان يأتى إلينا كما لوكان رجلاً أبيضًا، أومحاميًا كما هو الآن. كان يمضى وقته ويزجيه فى حانة اتلانتك كابرس. وتلك فروج شابه مسترطبة تنتظره فى مكان أستأجرته الحكومة لهذا الغرض. الشخصيات المهمة لابد أن تسترخى فى عطلة نهاية الأسبوع. الأسبوع يكون عامرًا بالعمل المضنى. خطب يجرى إعدادها. خطب عن السمو الأخلاقى.خطب عن الاشتراكية. خطب عن الثورة. خطب عن الإخلاص والولاء. استعداد للقاءات والمقابلات. دور الرجل الأبيض فى تحرير الآخرين. إذن، ماالذى يمنعه من الحديث فقط إلى المحامين السمان وإلى السياسين الأكثرسمنة؟ماالذى يتعين عليناقوله له؟ أوما الذى يتعين عليه هو أن يقوله لنا؟ قد يكون من المخيف لنا أن نظن أن ذلك هو فحوى الخطب كلها، وأن ذلك هو أيضا الآمال كلها، والحب كله الذى كانت تنطوى عليه الأيام الأولى. هذا مريع، ولكنه ليس كذبًا. من الذى يمكن أن يوجه اليهم اللوم فى الوقت الذى لايوجد فيه، فى هذا المجتمع، وسيلة يستطيع بها معرفة ماهو ممكن فى هذا المجتمع؟ إذا كانوا عثروا على الطريقة الوحيدة التى يستطيعون بها الهرب منا، ثم يصعدون فوق أكتافنا، فإن ذلك حدث فى بداية الأمر عن طريق الحديث معنا وإلينا كما لو كنا أشقاء لهم، فمن هم الأغبياء إذن؟ كانت هناك مسحة من الطيبة حول أولئك المحطمين الذين أقاموا وكانوا بحاجة إلى إصلاح أنفسهم وأحوالهم من جديد. كان هناك شىء فى القلوب عن الصدامات والآمال التى صاحبت الأيام الخوالى. إذن، يجب أن يكون من السهل علينا القضاء على تعفن الوعود. لابد أن، يكون من السهل علينا أن نفهم أن الناس هم الذين ينقذون أنفسهم، ولم يحدث فى الماضى، أوفى الحاضر كما لن يحدث فى المستقبل أن يقوم أى أحد بإنقاذ الناس إلاهم أنفسهم. ليس هناك منقذين أومخلصين. ليس هناك سوى الجوعانين والشبعانين. وكلهم مخادعون.'بسبب هذا وحده تصبح الحياة طولا أبديًا. كل إنسان سوف يحكى لنا عن ذلك، مؤكدًا، أن العاجزين وحدهم هم الذين يرفضون. هؤلاء الذين بلغوا من الضعف حدًا يعجزون معه عن التملك لايرون أى شىء من الخطأ فى موضة التملك. الإدانة التى تصدر عن أولئك الذين لم يسبق لهم التملك، تكون مصحوبة

بنغمة من التعاطف. الأفضل أن تحصل على الشيء في البداية، ثم بعـد ذلـك،إذا وجدت أنك ماتزال مصراً على الإدانة، فامض في طريقك. ولكن يجـب ألايغيـب عن البال أن الاستلام والتلقي يقضي على الحياة كلها.

الفصل السابع

وقف الرجل العارى فوق السرير وحاول الوصول إلى الباب وتناول بنطـالا كان معلقا على مسمار خلف الباب، ولكنه عندما لمس الباب تحرك البـاب ناحيـة اليسار مبتعدًا عنه، وكان على الرجل أن ينزل من السرير ويقتـرب مـن البـاب لإحضار البنطال. ارتدى الرجل البنطال فوق جسده العارى ثم تناول قميصا ناتئـًا من فوق مسمار آخر. وبينما كان يرتدى القميص كان الرجل الجالس إلى الطاولـة يراقبة مراقبةً لصيقةً، وهو يتعجب من قدرة رجل من هذا القبيل على التمعن فـى العفن ومع ذلك يجد القوة التى تعينه على العيش فى هذا العفن، وضد هذا العفـن؟ استعاد الرجل ذكرياته عندما تكلم المعلم Teacher باهتمام عن الأشـياء المفعمـة بالأمل، ولكن النهاية كانت تأتى عند هذه المرحلة، أى عندما يتساءل بشـكل ملـح عما إذا كان العفن والضعف هما، أولاً وأخيرًا، اللعنة الأبدية التى حلـت بأفريقيـا نفسها، وأن الناس لايملكون أن يفعلوا أى شيء مستدام إزاء هذه اللعنة. فى بعـض الأحيان قد ينتشر هذا الموت فى كل أنحاء الدنيا. عندما تكلم المعلم Teacher عن إناس ينهضون واقفين ثم يقرون بعد ذلك أن يفعلوا هنـاك، ذلـك الـذى أطلقـت العصور والناس عليه اسم المستحيل، يكون قد تكلم عن ماوMao الصينى وعـين كاسترو Castro الكوبى، اللذان يناضلان ويكافحان لأجل كل الآمـال المعقولـة، عندئذ يكون ذهن المعلم Taecher ينظر فيما وراء اليقظة الواضحة ويـرى بعـد الفجر انبلاج الصباح، ورابعه النهار، ومن بعدها عصر اليوم، ثم الشفق، ثم مجىء ليل مظلم آخر محفوف بالمتاعب. وعندما يتساءل المعلم، حول ماذا كنـا نـائمين بحق وحقيقة، ولسنا مجرد أموات، ولم نعد نأمل بعد. وعليـه، وبعـد التحركـات الكبيرة التى يتطلع هو إليها، يظل السؤال الذى يحير المعلم Teacher: هل الأمـر مايزال يحتاج إلى كل هذا العناء؟ وهنا يبدأ المعلم، بحكم العادة، فى التنهـد، وهـو يلوم نفسه على جريه وراء الأحلام المستحيلة.

قال الرجل:' يجب أن أعود الآن.'

'أنا أعرف. أنى سوف أذهب معك إلى مسافة قصيرة.'

عندما أوصد صديقه الباب خلفه، قال الرجل:' أنت تعلم، أيها المعلم taecher ،أنى أحس بأنى متعب هذه الأيام، فأنا أحس أن جهدى لم يكن مثلما كان عليه من قبل. ولكن الرغبة لم تعد مثلما كانت عليه هى الأخرى.'

'لا. ربما تكون تعمل لحساب شيء آخر، حاليًا.'

'أنا لست على يقين من ذلك.'

'حسنًا، أولاً وقبل كل شيء، أنت تعمل لحساب نفسك ومن أجل نفسك.'

'أعمل لحساب نفسي؟' تساءل الرجل.' أنا لست متأكدًا من ذلك مطلقًا. أنا لن أفعل الأشياء التى أفعلها الآن لوكنت لوحدى.'

قال صديقه:'آه، هذا صحيح. الذات المغمورة فى حاجياتك الحبيبة هى ذات مختلفة تمامًا عن الذات وحدها.'

وليس هناك أمل فى الفكاك فى أى مكان.'

'لا. العملية مرهقة، هذا اللهث وراء الآلهة ليس من صنعنا نحن.'

'أنت من عادتك أن ترى شيئًا من الأمل، أيها المعلم Teacher .'

'كان ذلك، منذ زمن بعيد ولّى وانتهى.'

'الزمن ليس طويلاً كما تقول، أليست سنوات ست فقط؟'

'لكن الزمن فى ذهنى مدفون تحت قرون حاليًا. هذا صحيح فأنا من عادتى أن أكون مفعمًا بالأمل. لقد شاهدت أناسًا يمزقون الأقنعة التى اختبأت الحقيقة خلفها. ولكن هؤلاء الناس أنفسهم، عندما أصبحت السلطة فى أيديهم فى نهاية الأمر، بدأوا يكتشفون فائدة الأقنعة والخمر. صنعوا المزيد من تلك الأقنعة والخمر. الحياة لم

تتغير. كل ماحدث هو أن بعض الناس تجيروا ، وأصبحوا مختلفين، وهذا هـو كـل مافي الأمر. بعد أن يموت الشاب فى كفاحه ضد الرجل الأبيض، فلمـاذا لايكتشـف الحاكم عندما يكبر أن رغبته الحقيقية، هي أن يكون مثيلاً للحاكم الأبيض نفسه،أي أن يعيش فوق كل ذلك السواد الذى يلف قلعة العبيد القديمة الكبيرة؟ والناس من حوله، لم لا؟ ما الذى يمنعهم من إلحاق أطفالهم بالمدارس الدولية الجديدة، لم لا؟هذا هـو كـل مايكافح الناس من أجله هنا: أى أن يكونوا قريبين من الرجل الأبيض. كل الصـياح فى وجه الرجل الأبيض لم يكن كراهية. لقد كان حبًا. بلوى، ولكنه حب فـي نهايـة المطاف. انظر حولك وسوف ترى ذلك بعينيك. وبخاصة فى الوقت الراهن.'

قال الرجل:' لقد نظرت أيها المعلم Teacher .' كل ما أريده هو أن أتكلـم محتقرًا ما يدور مثلما تفعل أنت تمامًا. ولكنى لاأدرى أن الحقد هو الذى يجعلنـي أكره ذلك الذى أراه. أنا لست على يقين من أنى لا أكرهه أيها المعلم.'

'يجب أن يعتمد ذلك على مايريده الشخص نفسه. أليس كذلك؟'

'لكن، أيها المعلم، ماهذا الذى أريده؟ كيف بالنظر إلـى أويـو Oyo ، ثـم أقول: إنى اكره السيارات الساطعة اللامعة الطويلة؟ كيف أعود للأطفال، وأحتقـر المدارس الدولية؟ وعندئذ يأتى كومسون، وترى الأسرة فيه صورة يسوع المسـيح. كيف لى أن أحس بأحاسيس البشر؟'

'نعم. الحياة تصبح صعبة جدًا عندما يقوم أبناء الشرفات ببناء قصـور فـي غضون شهور. وأنت إذا ما اقتربت من الناس هنا، تـراهم يسـألونك، عـن سـبب مجيئك؟ وأين بيتك؟ وأين تركت سيارتك؟ وما الذى أحضرته معـك لمـن تحـب؟ لاشيء؟ إذن علينا بالتزام الهدوء وعدم الاقتراب من الناس. الناس سيغضبونك لأنـه ليس لديك منزلاً حتى تجعل الناظرين إليه يتعثرون، وليس لديك سيارة لتجعـل كـل السائرين يعرفون أن رجلاً كبيرًا ومعه عشيقته قد مر عليهم. علينا التـزام الصـمت والاستمرار فى المراقبة.'

لم يكن المطر كثيرًا، ولم تنتج عنه أية ضوضاء، ولكن الميازيب الصغيرة فى الخارج على جانب الطريق، أصبحت الآن عامرة بأنهار صغيرة سريعة الجريــان، تندفع ناحية البحر، وأصبح الهواء محملاً ببخار الماء كما لوكان المطر لــم يســقط، وإنما معلقًا، ويتزايد ثقله.

قال الرجل: 'أيها المعلم،أنت تعرف أنى يستحيل على مراقبة الأشــياء التــى تجرى ولا أقول شيئًا .أنا لى أسرة. وأنا فى المنتصف.'

'إذن، هل ستسمح بتدمير نفسك منذ البداية؟

'أنا لاأعرف. وأنا عندما أتكلم عن كومسون أرى زوجتى وهى تنظــر إلــى الأطفال، وهنا أتبين مدى أسفها على نفسها.'

'يتعين عليك أن تسمح لها بالتمتع بأسفها وندمها. اللهــم إلا إذا كنــت مهتمًــا بتدمير نفسك من أجل إشباع رغباتها.آه، أنتم يامعشر الرجال المتزوجين.وفى النهاية يتعين عليك رؤية إحمرار والتهاب اللثة. إن كان ذلك يخيفك، فالأفضــل ألا تتــزوج على الإطلاق.أنت تهرب مثل جبان من الجبناء، مثلى تماما. ولكنك شــجاع . لقــد إخترت لنفسك مقاومة هذه الزوجة. والمجتمع كله يقف وراءها.'

قال الرجل بعد فترة توقف:' المطر قليل جدًا ورقيق جدًا.'

قال صديقه عندئذ:'نعم، أنا آسف لأنى عجزت عن إعطائك ذلك الذى تحتــاج إليه.'

'أعتقد، أنك بحاجة إلى القوة؛

ضحك الرجل ضحكة ضعيفة .قال:'لايهمك، أنت تعرف ذلــك الــذى تــود الوصول إليه. وأنت تفهم أيضًا. وذلك يكفينى تمامًا.'

قال الأخر:' أنت عطوف. أنا أعلم أن حياتى خاوية، أما أنت فحياتــك ليســت خاوية. كل ما أفعله حاليًا هو قراءة الكتب التى عن الأماكن الأخرى ، وعن الأزمان

الأخرى، واستمع إلى موسيقى جنوب إفريقيا وموسيقى الكنغو كما أستمع أيضًا إلـــى الأمريكان الذين من أصل أفريقى. وأنا فى أغلب الأحيان أتذكر معنان، كمـــا أتـــذكر أيضًا مرارة الحياة وخوائها وهذا هو كل مافى الأمر.'

بالقرب من أماكن المومسات، كانت هناك برك صغيرة متخلفة عـــن المطـــر اللطيف، كان البعض من تلك البرك على وشك الفيضان والانســـياب، بحـــث عـــن مجارى السيل، أوإن شئت فقل : الميازيب. من حين لآخر، كانت مصابيح الشـــارع تلقى ضوءً قليلاً على الحفر والثقوب التى فى الجدران الخلفية للحمامات التى امتلأت بشرائح الإسفنج المليئة بالطحالب الخضراء والجراثيم الأخرى الناتجة عن الأقـــذار وعن العرق منذ فترة طويلة، وكان الماء لايزال يتقاطر من تلك الشرائح الإسفنجية.

قال الرجل:' لقد جئت من مسافة بعيدة، أيها المعلِّم.'

'إذن،سوف أتركك هنا.' تصافح الاثنان وراح الرجل يطيـــل النظـــر إلـــى صديقه بعد أن أعطاه ظهره ومشى عائدًا لحال سبيله، وكان يسرع الخطى فىالليل الخالى. ثم نادى الرجل من بعيد قائلاً:' أرجوك، لاتنس أن تبلغ زوجتـــك 'أســـمى آيات حبى.' ضحك الرجل بصوت خفيض ولم يرد. وأدخل الرجل يديه مرة أخرى فى جيبه ثم سار فى اتجاه البحر وحاجز الأمواج.'

عند حاجز الأمواج اتجه الرجل ناحية اليمين ليسلك طريق العودة الطويل.كان رأسه خفيفًا بشكل غير عادى، ولكن الرجل كان يحس بعد كل بضع لحظات قصـــيرة الما فى عنقه بالقرب من العمود الفقرى. كان الرجل، فى داخله،يحس رغبة شـــديدة ولكنها غامضة، كان يحس، فى داخله شيئًا، يحثه على القيام بأى شكل مـــن أشـــكال الاتصال، اتصال من أى نوع ، اتصال بأى شىء يمكن أن يساعد على ذلك الاتصال.

فى الماضى كانت التحركات التى من هذا القبيل تتمخض عن أفكـــار الحيـــاة وعن جدوى وفائدة الأشخاص الأحياء، فى الوقت الذى كان يمكن فيه إعادة النظر فى الأحداث التى وقعت، وفى الظن بأن ذلك ربما كان أفضل ما أمكن عمله.ولما كـــان

إبيضاض الكبائن المسروقة ولمعان السيارات المسروقة أيضًا يمران سراعًا على ذلك الرجل، فقد كان ذلك يجعله يتدبر الأسباب، التى مفادها أنه بدون الإقلال من قوة الأشياء التى من هذا القبيل، فإننا قد يتحتم علينا جميعًا الجلوس فى ظلال الأشجار القديمة ونروح ننسج أحلام نبيذ النخيل عن الجمال والسعادة فى رؤوسنا وعقولنا التى أصابتها الدهشة والاستغراب. ومن هنا يكون وميض هذه الممتلكات هو القوة التى تحثنا على العمل بجد، وتحول بيننا وبين رغباتنا فى طلب الراحة، إلى حد أن أرواحنا من خلال طلبها على الأشياء تنتهى فى آخر المطاف بتحريك شعب بأكمله إلى الأمام. فى الأوقات التى من هذا القبيل كان الرجل على استعداد لاحتضان الحقد والحسد باعتباره قوة من القوى أيضًا، قوة مخيفة يمكن أن يتولد عنها شيئًا طيبًا، وبذلك يستطيع أن يرى حول الأركان القريبة من أركان ذهنه، حياوات جديدة لأويو Oyo ؛وللأطفال بأعينهم الشاردة؛ ولنفسه هو أيضًا. بعد ذلك،وعند طلوع الصبح، يطالعه الكلام الثقيل من خلال الصحف ويطيل النظر إليه، هذا الكلام يدور عن العمل بجد، وعن الأمانة والنزاهة، كلام يكتبه إناس لا يهتمون مطلقًا بما يكتبون ويصبح معنى ذلك لاشىء.

ولكن فى المكتب يصعب تبين أن راحة البال الوجيزة هذه إنما هى نوع من الوهم. العمل الجاد الدءوب. كما لو كان أى قدر من هذا العمل الجاد يمكن، بهذا المعدل،أن يعيد كلاً من الذات والأحباء إلى دائرة الضوء والوميض مامقدار العمل الجاد الذى يمكن أن يتبقى إلى نهاية الشهر بعد تقاضى الراتب الشهرى؟ إيجار المساكن آخذ فى الازدياد أكثر فأكثر .. فى المنطقة التى يعيش فيها الرجل، مالك العقار، هوعم الرجل المسئول عن جمع الإيجار، وكلاهما يطلق على نفسه اسم ناشط من نشطاء الحزب. حاول واحد من الناس تخفيض القيمة الإيجارية، وذلك عن طريق إرسال برقية إلى الحزب فى أكرا.هذا الأحمق المسكين كان مايزال يعتقد أن ذلك أمرًا ممكنًا. وهنا نعتوه بأنه مخرب،وأنه واحد من أولئك الذين يسعون إلى تدمير الأمة، ونعتوه أيضًا بكلام كثير من كلام الحزب، وبعد

ذلك، ونظرًا لأن هذا الرجل لم يتوقف عن الكلام عن العدالة، فقد اقتادته الشـرطة إلى مدينة أكرا. الطعام والغذاء. ماطول المدة؟ وماهو حجم العمل الجاد المطلوب ، قبل الحصول على الطعام الذى يكفى خمسة أفراد، ويتبقى منه مايمكن استعماله فى مطاردة الوميض؟ ليس هناك سوى طريق واحد. ليس هناك سوى طريق واحد أمام الشباب للوصول إلى ذلك الضوء وإلى ذلك الوميض. هدم الأركان، وأكـل ثمـار التدليس. هذا هو تاجر الأخشاب، بأسنانه المكوّمة، يقدم الرشوة، أى يفتح الطريق. ذات مرة وعندما كان الرجل مسافرًا إلى مدينه كيـب Cape كوسـت Coast استوقف ثلاثة من رجال الشرطة الحافلة الصـغيرة، وطلبـوا أن يطلعـوا علـى ترخيص السائق الربع سنوى. لم يكن السائق قد حصل بعد على ذلك التـرخيص، وقال كل واحد من رجال الشرطة الثلاثة، وعلى مرأى ومسمع من كـل النـاس،' الكولا أيضًا يمكن ان تعطى البهجة والسرور إذا ما مضغها الإنسان .'وفـى كـل حال كان السائق يضحك ويقدم خمسة وعشرين بيسو، وبذلك يمكن الوفاء بالقانون. ليس هناك سوى طريق واحد.

هذا هو زاكرياس Zacharias لاجوس Lagos ، الذى يعيش هنا منذ مـدة طويلة، نسى أنه كان نيجيريا فى يوم من الأيام. وهو يعمل لحسـاب ورشـة مـن ورش نشر الخشب، ويحصل فى أيام الجنيهات والشلنات على مبلغ عشرة جنيهات كل شهر. ولكن زاكرياس كان يحيا حياة الأثرياء... فى مساء كـل يـوم كانـت سيارات النقل تحضر قطعا طويلة من الخشب الجيد الذى سبق أن اسـتغنى عنـه زاكرياس بحكمته،وباعه وتخلص منه. وعندما أمسكوا به وألقوا القبض عليه قـال الناس عنه: إنه رجل طيب، ورجل كريم، وراحوا يلعنون ذلك الرجل الذى وشـى به وحقد عليه.

هذا هو إيدنجو Abednego ياموه Yamoah ، لايزال حرًا طليقًـا، بـل ربما لن يلقى القبض عليه مطلقا. هذا هو يبيع الوقود الحكومى لحسابه، ولكنه حذر دومًا إذ أن هناك وبصورة مستمرة شخص آخر، قد يكون مراسلاً، أو عاملاً مـن

عمال النظافه، جاهز لدخول السجن بدلاً من أبدنجو. الدنيا كلها تقول إن :أبدنجو رجل طيب، والدنيا كلها تقول متسائلة عن الأسباب التى تمنعنا من أن نكون مثله.

كان ذلك هو الطريق للوصول إلى الوميض: بقفزة واحدة جريئة وفاسدة، تعطى من يقوم بها القوة كى يسخر من أولئك الذين مايزالون يمشون متعثرين على الطريق اليومى متغابين، أمناء، مكتئبين، وفقراء، ومحتقرين وخائفين. ونحن لن نصل بهذه الطريقة. اللهم إلا إذا قفزنا نحن الآخرين قفزات من ذلك القبيل.

هناك الكثيرين، بل والكثيرين جدًا منا، الذين يدفعونا إلى الحافة ويرجونا أن نقفز متخطين كل الوسائل المريعة ونقترب من الوميض، على أن نجرهم وراءنا. سيكون الأحباء أول من يلعن القدر إذا ما دخل السجن ذلك القافز المرتقب. الأحباء سيكونون هم أيضًا أول من تنعقد الدهشة على وجوههم عندما ينظرون إلى أولئك القافزين، وإلى كل مايتحقق بفعل تلك القفزات. الأفكار الدوارة عن كل من أويو Oyo وعن السيارات وعن السائق . وعن الحوادث أيضًا. الجبناء وحدهم هم الذين يخشون القيادة ويخافونها. وهذا هو كومسون قد تعلم القيادة. وعليه فإن الأحباء فى المقدمة فى الوقت الذى جرى تجريدنا فيه من ذلك القدر الضئيل من الاحترام الذى تبقى لنا فى هذه المرحلة من أعمارنا. الشيشى دودوChichidodo.لم يعد يتبقى لنا أى شىء. نحن نتضاءل إلى أن نصل إلى لاشىء فى نهاية المطاف، ولن نجد فى نهاية الأمر المكان الذى يمكن أن نقف فيه.

الألم، كل مايود الإنسان قوله، كل ذلك أصبح أمرًا لايطاق، وذلك عندما يرى الإنسان توأمًا من توائمه، وهو يندفع مثل نجم فى اتجاه الوميض، وبسرعة عالية يتولد عنها ضوء ذاتى. وعند الساعة الخامسة صباحًا تستعد للذهاب بصورة غامضة إلى ثقبك الصغير لتبدأ وردية الصباح فى عالم الأشباح العامر بالفاشلين والجبناء وتروح تنتظر بعينين تبدءان فى النظر شذرًا إلى ذلك الذى يعرف الخطأ الدائر، وتروح تنتظر وصول الرؤساء فى أعقابك فى أى وقت من الأوقات بعد الساعة التاسعة. متى يمكن الوصول إلى ذلك؟ ليس هناك مايبرر قلقك لنفسك الآن.

سوف يمكن الوصول إلى ذلك عندما تتقدم بك السن، وبالتالى لايمكن أن تتذوق طعـــم أى شىء من هذا القبيل، وعندما تصل إلى ذلك فى النهاية فلن يكون من قبيل المكافأه. سيكون مجرد نكتة عقيمة.

توقف المطر منذ فترة طويلة. وعلى الطريق، هاهى الضوضاء الناتجة عـن البرك الخفيفة، توحى بالبلل الذى أصاب كل شىء. بالقرب من المنزل كانت هنــاك برك عامرة بالوحل، بل إن تلك البرك كانت فىمنتصف الطريق. الأمر الــذى حــتم على الرجل أن يكون حريصًا، وهو يراقب خطواتــه ويحــاول الاسترشــاد بــذلك الانعكاس الناتج عن سطح أرض الطريق، قبل أن يستأنف المسير.

نظف الرجل الوحل من فوق حذائه، فى الشرفة الصغيرة، وعندما اقترب مــن الباب لم يكن هناك مايستدعى الطرق على الباب؛ كان الباب مواربًا ليس إلا؛ لم يكن الباب مغلقًا. دفع الباب بلطف فانفتح الباب، ثم دخل المكان. كان الهواء الذى اصطدم بوجه الرجل، وشق طريقه إلى فتحتى أنفه حارا، وإن هى إلا لحظة واحــدة، تــردد الرجل فى أثرها وكان يود الخروج من المنزل مرة ثانية، ولكن بعد برهــة تحولــت الحرارة إلى دفئ مريح، وراح الرجل يتخيل أن الطقس بارد خارج المكــان، وفــتح الرجل النور ووجد أن الصالة كانت خالية. كانت زوجة الرجل هى وكل أطفاله داخل المنزل فى ذلك الوقت. ومن فوق الطاولة القريبة من الباب تناول الرجل مفتاحًا ثــم خرج من المنزل.

عندما فتح باب المطبخ وجد أن كل شىء جرى إعداده وتجهيزه لليوم التــالى. كان الدلو فيه شىء من الماء، تحسبًا– وقد حدث ذلك فى أحيان كثيــرة – لانقطــاع الماء عن المنازل فى ساعة مبكرة من ساعات الصباح. كان وعاء الفحم مليئًا، كمــا كانت هناك وسادة من الورق موضوعة فى الثقب الموجود اسفل الفحم، وإلى جــوار زجاجة الكيروسين كانت هناك علبة من الثقاب (الكبريت). هذا شىء طيــب. أغلــق الرجل باب المطبخ وعاد ثانية إلى الصالة. وأغلق الرجل باب الصالة أيضًا، ثم خلع

حذاءه الذى كان لايزال مبتلاً، ووضع الحذاء على الأرض بالقرب من الباب ، وبدون أن يفتح الرجل نور غرفة النوم، ودون أن يطفيء نور الصالة، دخل الرجل الغرفة.

كانت أجسام الأطفال مستلقية وملفوفة فى ثنيات شبكة البعوض الكبيـــرة. لـــم يزعج الرجل الأطفال، ولكنه دخل من الباب مباشرة؛ هذا الباب كان له إفريـــز مـــن الخشب، ثم سحب الرجل الستارة خلفه. تناول الرجل المنبه الموجـــود علـــى شـــباك السرير، كى يضبط الجرس على الساعة المحددة. اتضح أن الجرس سبق ضبطه من قبل، أعاد الرجل المنبه إلى مكانه، ثم خلع الرجل ملابسه، ولف الرجل نفســـه فـــى ملابسه وخرج إلى الصاله ثم أطفأ الأنوار. أغلق الرجل عينيه، فى الظـــلام، ثـــوان قلائل، ثم فتح الرجل عينيه مرة ثانية؛ وبدون أية صعوبة تحسس الرجل مكانه داخل شبكه البعوض (الناموسية)، بجوار زوجته. فى الظلام، راود ذلك الرجل وهم مفـــاده أن الشكل الراقد إلى جواره كان غريبا عليه، امرأة لايعرفها، وهنا ولد ذلك الوهم فى الرجل رغبة غير عادية كانت عيناه تجدان الظلام أكثر سهولة ويسرًا، وهنا استطاع أن يتبين الخطوط الخارجية لجسم زوجته. كان الأمر لايزال غير مألوف أومعـــروف له. كان القماش الذى يغطى ذلك الجسد قد انزلق من فوقه إلى جانب السرير بجـــوار المرأة النائمة، وكانت المراة عارية تماما.

مد الرجل يده ولمس جسمها فيما بين وركيها، أسفل عضوها التناسلى مباشرة. استسلم لحم المرأه عن طيب خاطر، وهنا بدأ إحساس الألفة الذى كان يخشاه، يهـــدد بالعودة إلى الرجل مرة أخرى. حرك الرجل يده ناحية الأعلى. كـــان الفـــرج نفســـه مايزال جافا، وأكثر مقاومة، بل يكاد يكون بحاجة إلى الحك وسط هذا الشعر الغزير، وجفاف الجلد الخارجى. ولما كان الرجل بحاجة إلى استرطاب المرأة المريح فقد أدى ذلك إلى استعادة الرغبة فى داخله، وهنا دفع الرجل يده إلى الأعلى أكثر من ذى قبل، ثم راح يطوى يده عن مفتاح اللحم البشرى المخبأ. ولكن تحريك يده جعل رسغ يـــده يلمس بطن زوجته، وهنا أدى أثر الجرح الطويل إلى إبعاد ذهن ذلـــك الرجـــل عـــن التركيز تمامًا فى التفكير فى تلك المتعة.

كان الطفل الأخير قد ولد من رحم أمه بعملية قيصرية، وعندما تركت المستشفى كان ذلك الجرح الطويل مجرد التهاب صغير أسفل الضمادات الموضوعة فوقه. منظر هذا الجرح الطويل كان يستثير دومًا في الرجل قشعريرة لا إرادية، كانت تسري في عموده الفقري وتستقر في نهايته. هنا، وكالمعتاد، أدت تلك اللمسة إلى امتلاء الذهن المتعب بآثار وبقع الدم، ولون البشرة الذي انكشف مؤخرًا، كما امتلأ ذهن الرجل أيضًا بوجه هذه المرأة المتعبة الوحيدة، كما امتلأ ذهن الرجل أيضًا بنظرات أويو المتسامحة في المستشفى فيما بعد، عندما ذهب لزيارة هذه المرأة. كان الحب ما يزال داخل هذه المرأة. كان ذلك الحب موجودًا، بطبيعة الحال. وإذا لم يظهر الحب في هذه اللحظة، فلربما كان الخطأ لايقع على المرأة وحدها. ربما كان الخطأ هو خطأ تلك الروح التي ولدت دون أن يكون لها حظ الأرواح الأخرى؟ وعجز الذهن عن البت في ذلك الذي يقول الناس عنه إنه أمر ضروري، ذلك الذي يفعله البشر.

وعندما أدرك الرجل أنه أيقظ زوجته، استدار ناحيتها، وأعد لها ابتسامة. ولكنها نائمة. أخذ رأسها بين راحتي يديه، وانحنى على كوع ذراعه، وهنا ضاعت كل ذكريات ذلك الرجل عن الجرح الطويل الذي لم يعرف كيف يتعايش معه، ضاعت من ذهنه بفعل الرائحة القوية الصادرة عن امرأة ليست مستعدة للمعاشرة الجنسية؛ وهنا يسحب الرجل يده بعيدا عن رأس المرأة. في عالم الشك وعدم اليقين، وقبل النوم يرى الرجل نفسه بالصورة التي يكون عليها بالفعل، ولكنه ينجرف إلى الوراء في الزمن، ويتعين عليه العودة إلى زمن المدرسة، واجتياز الامتحانات والاختبارات القديمة. هذا الشيء الشبيه بالحلم ليس جديدًا، وهنا نجد الإنسان مغلوبًا على أمره من انعدام كفايته وصلاحيته. وهو يجد في صالة الاختبارات أن التحركات بكل أنواعها أمورًا مستحيلة،إلى الحد الذي يعجز معه عن تبين إن كان يعرف الإجابة أو لا يعرفها.

الفصل الثامن

أضواء مبهرة، شاردة ومتناثرة، تلاها ظلام، تبرز منه الذات المعترف بها. يرى، الرجل نفسه، صغيرًا جدًا، حادًا وقاسًا جدًا. يرى الرجل نفسه يسير بصحبة رفيق مجهول، يكاد لايرى، خلال براد شيء من الشفق، وتركا الظلام هو والأكواخ المنخفضة خلفهما. وعلى مسافة بعيدة منهما، ورغم كبر المسافة شاهدا مجموعة من الأبراج المنخفضة بيضاء اللون، لها طابع برج الجامعة في مدينة ليجون Legon، كما أن لها أيضًا طابع اللون الأبيض النادر الذى تصطبغ به حانة الأتلانتك Atlantic كابريس Caprice. إنهما ذاهبان إلى ذلك المكان، هما الاثنان، الرجل ورفيقته، ذاهبان إلى هناك وهما سعداء فى الوقت الراهن وسعداء أيضًا فى الصورة الذهنية المستقبلية التى لديهم فى الوقت الراهن.

ولكن الأضواء الوحشة تسطع وتقطّع الليل وتسرى فيه بفعل قوتها المفاجئة، وتندفع بفعل إيقاعها الخشن متجهة صوب هذان الاثنان، اللذان أصابهما الارتباك. تحركت الإضواء إلى الأمام، ناعمة وقوية. الرجل، عجزعن الرؤية بفعل شعاع نافذ، ولذلك غطى الرجل عينيه بيديه، وفى تلك اللحظة رفع الرجل يده من على وسط رفيقته. ولكن الشعاع لم يمنع رفيقته من الرؤية. ومن خلال النظر من بين أصابعه كان يستطيع رؤية رفيقته، كانت عيناه تلمعان، فى الضوء الصادرعن السيارات، وكانتا تصدان قوة الضوء المتساقط عليهما. هذه الأضواء تأتى مع ضوضاء السيارات التى تحدثها. هذا صوت يكاد لايسمع، صادر عن باب جديد. يجرى فتحه. تطفو رفيقة الرجل فى الهواء، لتنزل من داخل السيارة التى فى المقدمة. السيارت الأخرى. التى كانت عبارة عن موكب من السيارات كانت تذكر المشاهد بصفوف السيارات الأمريكية المملوكة للعاملين فى منظمة الوحدة الأفريقية، هذه السيارات تمرق خلف السيارة الأولى، ثم تتجه السيارات كلها ناحية الأبراج، مخلفة الرجل وراءها. هذا هو البرج الأبيض يلمع ببريق غيرطبيعى

عندما تمر عليه السيارات، ثم يدخل كل شيء، بعد ذلك في الظلام من جديد، كل الأشياء التي تلمع تنطفئ في الوقت الذي يبقى فيه الرجل على ماهو عليه، وهنا يتحول الظلام إلى برد، وبحثًا عن الدفئ، يجلس الرجل على الأرض، ولكن الارض بدورها باردة جدًا وقاسية وغير سعيدة. يحاول الرجل أن يشق طريقه عائدًا من جديد خلال الدفئ القديم الصادر عن الأكواخ الحقيرة التي كان قد خلفًها وراءه، ولكنه عندما نظر إلى الخلف، يكتشف أنه يستحيل عليه معرفة الطريق الذي جاء منه. كل مايحسه الرجل الآن هو البرودة والوحدة والوحشة التي تملأ قلبه أسى ويأسًا، وبخاصة عندما أيقن أنه فقد رفيقته إلى الأبد، وأنه لايستطيع العيش وحيدًا بعد ذلك.

امتدت يد الرجل إلى مفتاح جرس المنبه. وهدأت من الصوت قبل انطلاقه. كان الرجل شبه مستيقظ منذ فترة وجيزة، وهنا كان لابد أن يتخلص من القشعريرة التي تعتري النائم قبل الاستيقاظ. كان الحال يبدو له في هذه الأيام وكان منظومة داخلية هي التي تنبهه إلى قلقه الداخلي، الأمر الذي كان يجعله يصحو بدون استعمال المنبه. كان يبدو له أن شيئًا موجودًا في نهاية فمه وتسبب في التهابه. كان الرجل متوترًا ويود إخراج ذلك الشيء. كان الرجل يضغط على ثلاثة أحجار صغيرة بأستعمال إصبعيه: السبابة والإبهام.كانت الرائحة الناتجة عن القطع الصغيرة تثير دهشته واشمئزازه بحكم قدرتها وفعاليتها. تناول الرجل من فوق شباك السرير المنشفة الكبيرة ولف بها جسمه. في هذه الساعة المبكرة من الصباح، قبل أن يصحو أحد من الناس، وبالتالي ليس هناك مبرر للزحام على استعمال الحمام. خرج الرجل وهو يلبس صندلاً مصنوعًا من مطاط إطارات السيارات، وكان الرجل مقتنعًا أن الماء لايزال موجودًا في الدش منذ بداية الليل. أخذ الرجل معه علبه الصابونة واسفنجه الاستحمام وعزم على تحمل الاستحمام بالماء البارد. ومن الأفضل له أن يفعل ذلك قبل أن يصحو الأخرون.

بعد أن أضاء الرجل النور داخل الحمام وأغلق الباب، لم يستطع طوال فترة زمنية أن يبعد عينيه عن أسفل باب الحمام حيث كان متعفنًا، وفاحت رائحة الخشب

المتعفن لتملأ فتحتى أنفه وتجويف فمه. حاول الرجل استنشاق القليل جدًا من الهـواء تحاشيًا لتلك الرائحة، ولكن الماء البارد عندما اصطدم بظهره أخذ نفسا طويلاً علـى غير رغبة منه، وأصبحت محاولاته بلا طائل فيما يتعلق بإبعاد الرائحة عـن أنفـه. وعندما كان الرجل يغسل جسمه بالصابون، أحس برغبة فى التغوط، وهنا بدا يراوده الخوف من مسالة إمكانية الإنتظار لحين العودة إلى المنزل ودخول المرحاض. ولكن تلك الرغبة فى التغوط انحسرت، وبدأ يدرك أن بوسعه الانتظار إلى أن يصل إلـى مكتبه. وتلك أولوية مريعة.

كانت الأرض الأسمنتية من تحت قدميه، عليها بعض الطحالب. لم تكن تلـك الطحالب هى الطحالب المعتادة التى يشاهدها الناس فى الحمامات. واقع الأمر أن تلك الطحالب لم تكن مرئيه على الإطلاق، ومع ذلك كانت الأقدام تحـس كثافـة تلـك الطحالب، بل إنها كانت تبعث على الراحة إذا ما استطاع من يدوس عليها أن يتناسى طبيعتها. كانت الفتحة التى تصرف الماء منها إلى خارج الحمام قد انسدت إلى حد ما بفعل قطع الاسفنج المتخلفة عن أولئك الذين يستعملون الحمام، الأمر الذى جعل الماء يتجمع داخل الحمام أمام تلك الفتحة، أوإن شئت فقل الثقب، على شكل حـاجز، ممـا أدى إلى تسرب الماء ببطئ خلال ذلك الثقب، وكان يترتب على ذلك غـرق الحمـام عند استعمال الدش لفترات قصيرة. غمس الرجل قطعة الإسفنج التى كان يستعملها ، فى علبة الصابون ورفع رأسه وراح يشطف فمه بالماء المتساقط من قطعه الإسفنج. ثم أزال الرجل الصابون بعد ذلك من على جسده وجفف جسمه على وجه السـرعة، وهو يحاول أن يتجنب ملامسة منشفته للخشب المتعفن عند أسـفل البـاب، أوحتـى أرضية الحمام التى كانت تلامس قدميه. وبعد أن انتهى الرجل لبس صندله المصنوع من مطاط إطارات السيارات، ثم عاد إلى غرفته مرة ثانية.

وبينما كان الرجل يعفر مناعمه باستعمال مسحوق البودرة، ويضع فازلينًا على شعره، راح الرجل يفتش فى درج طاولته وعثر على شيء من النقود المعدنية الفكة، التى كانت تكفى انتقالات اليوم إضافة إلى طعام الغداء. أحس الرجل أن هناك بعضًـا

من الفكة، ولكن لم يكن هناك داع لإحصاء تلك الفكة المتبقية . دخل الرجل المطبخ بعد أن ارتدى سرواله وسكب ماء باردًا فى الغلاية وصنع لنفسه مشروبا من البقية الباقية من مسحوق الأوفالتين. كانت زوجة هذا الرجل لم تحك له عن حكاية المرأة الشحاذة التى تعدت عليها فى الليلة الماضية. كانت هناك بقية من السكر، ولكنها لم تكن تسمح بالتخلى عن أى جزء منها لأى إنسان آخر. كانت الزوجة على صواب فى ذلك. وبينما كان الرجل يتناول مشروب الأوفالتين ومعه شىء من البسكويت شغل جهاز الراديو، وراح يحرك المؤشر الأحمر إلى أن عثر على موسيقاه المفضلة، كانت أصوات تلك الموسيقى توحى بأنها من الكنغو. كان الرجل يسمع تحركات زوجته وهى فى داخل المنزل، مما يؤكد أنها هى الأخرى قد استيقظت، ولكنها ربما لم تكن تفضل المجىء إليه فى الصالة، وكانت تستمع إلى المؤشرات التى خلفها وراءه. غادر الرجل منزله فى ساعة مبكرة، وذلك يعنى أنه سوف يتمكن من اللحاق بقطار الفجر الذى يقوم من كوجوكروم Kojokrom قاصدًا المحطة وبذلك يوفر الزوج على نفسه أجرة الانتقال. ليته يغادر فى ساعة مبكرة ويمشى بسرعة كى يقطع المسافة إلى موقف الطوارئ. دخل الرجل الصالة، دون أن ينظر إلى زوجته، ثم تناول بنطاله وقميصه، وتأكد من وجود منديل معه، ثم دخل بعد ذلك ، الصالة، كيما يرتدى ملابسه. ماعدد تلك الأيام التى مضت على ذلك الزوج دون أن يقول شيئًا لأطفاله؟

كان مسير ذلك الرجل إلى الموقف طويلاً دومًا على مايذكر إذ كان القطار البطىء يصل اليها بعد وصوله بوقت قصير، ومع ذلك كان يخيل له أنه سوف يفوته القطار، ولكن القطار كان يتردد فى الوقوف. كان هناك، حوالى خمسة أفراد آخرين، ينتظرون مجىء القطار، ولكن أحدًا منهم لم يتكلم ، بل إن ذلك الصمت استمر حتى بعد أن أصبحوا جميعًا داخل القطار، واستمر ذلك الصمت إلى أن وصل القطار إلى المحطة التالية. كان كل واحد منهم مهمومًا بمشاغله. وهذا أفضل.

فى المحطة، جلس الرجل، بعد أن نزل من القطار، خلال منطقة موحلة بالقرب من مدخل المحطة. وعندما نظر إلى ذلك الذى كان يجوس خلاله، اكتشف أنه قىء ناتج عن أحد المسافرين. وبالرغم من أن ذلك القىء لم يكن حديثًا إلا أنه لم يكن قد جف تمامًا. دار الرجل حول ذلك القىء ثم نزل بعد ذلك إلى رصيف المحطة، ثم سار قاطعا المسافه بطول المحطة إلى أن وصل إلى مدخل المنطقة السكنية. وانبرى من بين الظلال خيالان، كما لوكانا يتهددانه، ولكنه عندما وصل إلى هذين الخيالين حياه بتحية غليظة وقالا له:'عمت صباحًا، يافلان.' هذان الخيالان كانا لرجلين، من بلاد بعيدة، كانا تائهين فى متاهات الجنوب. خطر ببال الرجل أن يقول لهما أنه لم يكن فلان ولكن الفكرة نفسها تصبح محطًا للسخرية عندما يكون الإنسان وجهًا لوجه مع أولئك الذين يدعونه فلان . ما الذى يمكن أن يكون قد عثر عليه هنا هذان الرجلان، إن قدر لهما العثور على شىء؟ أم، هل يمكن أن يكون ذلك بمثابة مهرب لهذين الرجلين أيضًا؟ هذا أمر ممكن. من الممكن أن يكون الشباب ، فى مكان بعيد، يتنهدون أثناء الليل ويحلمون بالسير فى تلك المتاهات، غير أنهم بالقطع ليسوا على علم بنهاية الرحلة.هادئ تحت أى ظرف من الظروف. قد يكون هؤلاء الرجال الشباب محسودين، وليسوا من أولئك الذين يرثى الناس لهم ويتعاطفون معهم وليسوا من أولئك الذين يبكى عليهم أولئك الذين لايثقون بأنفسهم. على الطريق يصادف الناس أناسًا آخرين أثناء الليل، من أمثال رجل المرحاض، القادم علينا من بعيد، عائدًا من المرحاض الموجود فى الدور السفلى، وذلك المرحاض المخصص لكبار الموظفين. الإضاءة ليست كافية، ولكن الأمرلا يحتاج إلى أى ضوء إذا أردنا أن نقول لأحد من البشر، إن ذلك الرجل الذى يحمل وعاء الغائط على رأسه، يحمل وجهه نظرة غامضة غير عادية توحى بالتهديد والوعيد، كما أن عينيه تشعان غضبًا مسعورًا. ربما كانت رائحة Akpeteshie هى التى ستطغى على هذا الرجل لولم يكن حاملاً لتلك الرائحة الأقوى. هذا هو الطريق الوحيد لبقاء رجل يحمل غائط الآخرين على قيد الحياة؛ الطريق الوحيد إلى ذلك هو أن يقتل الإنسان أثناء قيامه بتنفيذ شىء حتمى ولامفر

منه، من الذى يتمنى أن يصحو مرة ثانية؟ مسألة مجيء حامل الغائط فى تلك الساعة من الصباح أمر غير عادى بالمرة. حامل الغائط واحد من رجال الليل البهيم والصباح الباكر أيضا، رجل الغائط يختفى تمامًا عن أنظار الجميع باستثناء الأطفال ذوى الفضول والرجال الذين يكونون حائرين ومنشغلين فى ظلمة الليل. وليس من الطبيعى أو المعتاد أن نرى حامل الغائط بالقرب منا.

الأخير يتحتم أن يكون هو الأول. الواقع أن الأمر يكون على هذه الشاكلة.

فى الحال؛ وعندما كان الرجل يرتقى سلم المجمع السكنى، مد يده نحو مفتاح الإضاءة الموجود أعلى السلم، ويفتح الرجل النور، ويواصل ارتقائه درجات السلم. وعندما يصل الرجل إلى باب المكتب يشاهد الخفير وهو يرتقى السلم بواقع درجتين فى المرة الواحدة، فى حين تحدث مجموعة مفاتيحه خشخشة غير معدنية، على شكل صوت كئيب وهى فى يده. يبحث الرجل عن تصريح السكة الحديد فى جيبه، ولكن الخفير يشير إليه بما يفيد أنه يعرفه، ويتقدم ليفتح له الباب، وهنا وبدون أى سبب يدرك الرجل أن الخفير كان يقول له: ' شكرا لك ياسيدى. '

سيدى. هذه كلمة غريبة. اسم غريب.

يدخل الرجل ويفتح الأنوار كلها. ويشم الرجل رائحة كانت محبوسة داخل الغرفة، ثم يتجه إلى النوافذ كلها ويفتحها الواحدة بعد الأخرى ليسمح لشيء قليل من هواء الصباح بالدخول إلى الغرفة. ويستدير الرجل قاصدًا طاولته التى توجد أسفل خريطة السكك الحديدية الكبيرة ثم يضع يده على ذراع جهاز المورس ويضغط عليه قبل أن يبدأ تشغيله. أرسل الرجل إشارة إنذارية إلى كل المحطات المتصلة بالخط، فى البداية ظهر أن ثلاثة محطات لم تكن قد دخلت بعد فى الخط، نظرًا لعدم وجود أى أحد فى تلك المحطات كى يقوم بالرد على الإشارة. يتوقف الرجل. لم يبدأ وقت العمل بعد وإن كان على وشك البداية فعلاً. فتح درجًا من الأدراج لعله يعثر على شيء يسلى به وقته. هناك أربعة أقلام رصاص داخل الدرج؛ هذه الأقلام بنفسجية اللون، ذلك

اللون الحكومي، الأقلام كلها غير مبرية، وبجوار تلك الأقلام توجد شفرة من شفرات الحلاقة. يتناول الرجل الأقلام الأربعة، ويذهب بها إلى واحدة من سلال المهملات، ويروح يدفع تلك السلة إلى أن يأتي بها إلى جانب الطاولة التي يجلس أمامها، ثم يجلس ويروح يبري أقلام الرصاص. وقبل أن ينتهي من بري القلم الثالث ينفتح الباب، وخطر بباله في بداية الأمر أن ذلك واحد من عمال النظافة الصباحية، ولكن ذلك القادم الجديد يتجه ناحية طاولته ويحيه قائلاً: صباح الخير. يرد الرجل تحية كاتب الحجز، وراح يتردد في سؤاله عن أسباب مجيئه في ساعة مبكرة. ربما كان لدى الرجل تفسير لذلك، بالرغم من أن كاتب الحجز غير مشهور بكثرة الكلام. لم يستجد في الأمر شيء، ويزداد الفضول عن ذي قبل.

يقول الرجل لكاتب الحجز: ' لقد جئت اليوم مبكرًا .

' الطائر المبكر....' يصمت الرجل طويلاً_' يلتقط ذلك الذي تقولون عنه.'

لاطائل من وراء تفسير هذه الغرابة. ربما كان هذا الكاتب واحدًا أيضًا من أولئك الهاربين من الأحياء إلى في منازلهم، في هذه الساعة المبكرة من الصباح. يجلس الرجل غارقًا في حيرته. ويذهب الكاتب إلى قفصه. وتتناهى إلى الأسماع أصوات الأدراج التي يقوم الرجل بفتحها، وكذلك الأصوات التي تنتج عن تحريك الأوراق. وعندما يخرج كاتب الحجزمن قفصه يتجه ناحية النافذة، وينظر من خلالها ناحية الأسفل.

يروح الرجل يحملق في الخارطة التي أمامه، ويتناهى إلى مسمعه صوت قادم من داخله. يعقب ذلك الصوت ألم فظيع في بطنه، ويحس الرجل بثقل في شرجه، وكان ذلك الثقل يهدد بالخروج في أية لحظة من اللحظات. هناك مرحاض في الدور العلوي، ولكن ذلك المرحاض ليس مفتوحًا. كبار الموظفين فقط هم الذين لديهم مفاتيح هذا المرحاض . هذا لايهم.يضاف إلى ذلك أن المرحاض الذي في الدور السفلي أفضل من المرحاض الذي في المنزل.يتناول الرجل بعضًا من الورق المستعمل

ويسارع بالنزول إلى مرحاض الدور السفلى، وهو يحاول التحكم فى نفسه إلى أن يتمكن من الوصول إلى المرحاض.

ولسبب أو لآخر، فإن أنوار المرحاض أسطع من الأنوار فى أى مكان آخر، الأمر الذى يجعل الأرضية المصنوعة من الأسمنت تسطع كما لوكانت آثارًا قديمة. يقفز الرجل إلى أنظف المراحيض التى يمكن أن يعثر عليها،وذلك بالقرب من الطرف الأقصى من المرحاض الطويل، وهو يمر بعينيه على صف طويل من الأوعيه كى يستعمله فى التغوط، يقدم على ذلك الاختبار بشىء من الحرص، ويتحسب لذلك عندما يبدأ فى خلع بنطاله، مخافة أن تلمس أطراف البنطال السفلى البول الموجود فى الحفر التى أمامه. والشىء الذى يجعل هذا المكان أفضل من المنزل، هو أن هذا المرحاض عامر بالهواء، بالرغم من أن هذا الهواء قد يأتى من الفتحات الموجودة فى الأسفل، ويكون محملا ببعض الجسيمات الغريبة التى تعلق به. ويجلس الرجل على القصرية، ويسمح للهواء القادم من الأسفل أن ينساب باردًا على ردفيه، ويروح الرجل ينظر إلى الجدار المقابل عند اتصاله بالسقف، حيث الجدار مايزال مدهونًا باللون الأبيض البراق الذى لم يخيم العنكبوت عليه بعد، ويحجب ذلك البرق الصادر عن الدهان. لون الجدار لم يتغير واعتبارًا من هذا الإرتفاع يصبح الحائط بلون عضوى بنى اللون على شكل بقع، والبقع الحديثة تحاول تحاشى البقع القديمة، وتروح تغطى الجدران فى كل أجزائها. هناك بعض الأماكن، يبدو أن الناس كانوا ينحنون ليبحثوا فيها عن مكان لم يستعمل حتى يستعملونه، وفى قلة قليلة من الأماكن التى لاتخطر على البال، يبدو أن الناس قفزوا عاليًا فوقها ولكنهم لم ينجو من الوسخ عندما نزلوا إلى الأرض. لابد أن هناك أناسًا نسوا أن يحضروا معهم الورق المطلوب، ومع ذلك لم يشغلوا بالهم بذلك، وتخلصوا من أحمالهم، نظرًا لأن الجدار عليه بعض العلامات ، التى لاتعد من مخلفات شخص واحد، وإنما هى مخلفات لأنواع متباينة من الغائط. وهنا تروح عينا الرجل تبحثان لنفسيهما عن ملاذ فوق مستوى اللون البنى، بالقرب من مستوى

الكتف. عند هذا المستوى لاتوجد بقع بنية اللون، ولكن بدلاً من هذه البقــع هنــاك بعض الكتابات المدونة بالقلم الرصاص، وبخاصة اللون الحكومى. هذا هــو رســم صغير من الرسوم الجنسية يبين وضعًا هنديًا مستحيلاً ومكتوبًــا عليــه الكلمتــين التاليتين:

حلاوة الرحم

وإلى اليمين من هذه الكتابة هناك شىء يبدو أن الرجل سبق أن رآه من قبل دون أن يرى الكلمات المرافقة له.

حلاوة النقود تجيز كل شىء.

هناك رسوم وكتابات أخرى على اليسار يصعب تبين معناهــا فــى بدايــة الأمر.

المولود غبيًا.

سفسطة الاشتراكية تجعلنى أسفسط

وهذا خراب البلاد

يستشعر الرجل انتهاء عمليه التغوط، وبعد أن ينتهــى يحــس بالارتيــاح، ويمسح الرجل مقعدته، ويرفع بنطاله ويقفز نازلاً إلى الأسفل، ويروح يشق طريقه خارجًا من المرحاض. وبالقرب من الباب يواجهه التحدى الكبير من جديد:

أنت لم تخرج ريحاً هكذا؟

هذه العبارة هى والعبارتين التابعتين لها، جعلت الرجل يبتسم.

صلّ من أجل التأخير

السجان يسفسط مجانًا

أثناء صعود الرجل السلم كانت لاتزال فى أنفه رائحة شيء مماكان فـــى المرحاض. ويعود الرجل نازلاً من السلم، بعد أن قرر التنزه لمسافة قصيرة حتـــى يتخلص من تلك الرائحة فى الشارع.لايوجد فى الشارع ســـوى قلـــة قليلـــة مـــن البائعين، ويبدو أن الناس لم يبدءوا الخروج من منازلهم بعد فى الصباح. ربما كان أولئك الذين ناموا مع طلوع الفجر هم الذين سيصحون فى ســـاعة متـــاخرة ، ثـــم يذهبون بعد ذلك إلى منازلهم لنيل قسط أوفر من النوم، هذا إن كان لمثل هؤلاء الناس بيوت. خلف هذا الرجل، كان يقف شكل قصير ومتين وتخين. هذا الشكل يبـــدأ فـــى دخول المجمع السكنى. ربما كان صاحب ذلك الشكل، عامل من العمل الذين لم يسبق لهذا الرجل التعرف عليهم. يدخل ذلك الرجل ويمشى متجهًا نحو موقـــف الحـــافلات الموجود أعلى التل، وبعد أن يصل الرجل إلى نهاية مبنى المحطة يتوقف مرة ثانيـــة ويروح يسائل نفسه عن المقصد الذى ينتويه. لا يعرف إلى أين هو ذاهب. وهذا هـــو ضوء النهار يزداد عن ذى قبل. ويعود الرجل ثانية إلى مبنى المحطة، ويدخل مـــن باب المحطة ليصعد على السلم مرة ثانية.

يفتح الرجل باب المكتب ويسمع ضحكة عالية تنبعث مـــن الـــداخل وتـــوحى بالسرور، ثم يسمع صوتًا مألوفًا له يقول: ' لا. هذه هى الكولا الخاصـــة بـــك أنـــت. تناولها مثلما تتناول الكولا.' ثم يسمع ضحكة ثانية.'كنت على يقين أنك ستفهم، إذا ما استطعت أنا معرفتك حق المعرفة. ياصديقى، إذا ما استطعت تحريك السجلات نيابةً عنى، فسوف ألقاك مرة ثانية. لاتشغل بالك. سوف آخذك إلى بيتى.'

واصل كاتب الحجز كلامه قائلاً:' وهو كذلك ،' ثم كررها ثانية.

عندما اقترب الرجل من طاولته (مكتبه) وأبصر رجل الأخشـــاب بصـــفوف أسنانه، ولكنه فى هذه المرة كان يرتدى بدلة جعلته يبدو كما لوكـــان حزمـــة نســـيها وراءه أحد من الناس. كان رجل الأخشاب سعيدًا.

قال تاجر الأخشاب:' كيف حالك ياصديقى . تناول بطاقتى. تناول بطاقتى.'

مد الكاتب يده وتناول البطاقة المقدمة له وهو يقول: 'شكرا لك.'

'هو هو' لاتشكرني. وإنما المفروض أن أشكرك أنا. هوهوهو!'

استدار تاجر الخشب استعدادًا للانصراف. وعندما اقترب من مكتب الرجل ورآه توقف كما لوكان لايصدق أنه كان معه في الغرفة نفسها طوال هذا الوقت. ثم انفجر تاجر الخشب بعد ذلك يضحك ضحكًا خشنًا يوحي بالعداء.

'اي، إذن فأنت هنا اليوم أيضًا. يابلديات، لماذا تحاول التعامل معي بهذه الطريقة؟ ألا تدبر لي أن آكل، يابلدياتي؟ وهو كذلك .ابعد نفسك. لقد عثرت على رجل يفهم .أي، ياصديقي، لماذا تود معاملتي معاملة سيئة؟'

لم يقل الرجل شيئًا؛ ولكن تاجر الخشب ظل واقفًا أمامه، ويطيل النظر إليه كما لوكان ينتظر منه أن يجيب على سؤاله. تحول الرجل لينظر إلى الخارطة، كيما يتبين إن كان هناك أي رد من خلال إشارات آله المورس. وأطلق تاجر الخشب من خلف الرجل ضحكة للمرة الثانية، ضحكة عالية جدًا ومثيرة، ثم صاح في الرجل قائلا : أنت.أنت رجل شرير جدًا. أنت لن ينصلح حالك.'

لم يقل الرجل شيئًا، بل إنه حتى لم يلتفت وراءه لتلك الضحكة التي كانت محملة بالسباب واللعان. وهنا جاءت إشارة رد على جهاز المورس، .وراح الرجل يستمع إلى ذلك الرد، دون أن يهتم بكتابة أو تدوين أحرف ذلك الرد. كانت الإشارة صادرة عن شخص آخر كان يجري تجارب الصباح على جهاز المورس. رد الرجل على تلك الإجابه وراح يختبر محطة أخرى من محطات الخط. وإلى يسار الرجل كان يسمع صوت غلق الباب بعد خروج تاجر الخشب منه.

تناهى إلى مسمع الرجل صوت كاتب الحجز وهويقول: ' ما الذي فعلته له؟'

'قلت له أني لاأستطيع أن أفعل له شيئًا.'

'فهمت.'

'هل ستحضر خشب هذا الرجل؟'

'نعم. لقد تعلم الدرس ووعاه.'

تساءل الرجل،' أى درس تقصد؟'

أجاب كاتب الحجز على هذا السؤال بشيء من التحشرج والتردد، ولم يـزد أو ينقص من ذلك . الأمر طبيعي جدًا إلى حد أن مسألة الوقوف في وجه ذلك الذى يحدث تغيب عن الذهن المضطرب. الناس كلهم يقولون :إن تاجر الخشب علـى حق، ويقولون أيضا:إن كاتب الحجز على حق أيضًا، وأننا نحـن الأغبيـاء، وأن الجميع على صواب فى ضوء ماهو قائم حاليًا وفى ضوء ماسيصل إليه هذا الحال نفسه فى المستقبل. والأغبياء هم أولئك الذين لايستطيعون أن يعيشوا الحيـاة التـى يحياها كل أولئك المحيطين بهم، هؤلاءالذين يقفون على ضفة النهر الجارى علـى أمل أن يسبحوا ضد التيار. ليس هناك من سبيل غير ذلك، يضاف إلى ذلك رفـض القفز لن يكون فى مصلحة اى أحد تحت أى ظرف من الظروف.

تستعر نقرات جهاز المورس ويفيد التوقيع أن صاحب الرسالة هو أبواسـى Obuasi .هذا هو أبواسى يتصل مرة ثانية. الأفضل أن يكون الرد على أبواسـى بأن كل شيء على مايرام ولم يحدث هناك مايعكر الصفو.

'صباح الخير.'

' هل أنت موجود.'

'نعم.'

'اذكر السبب.'

'العمل.'

'اذكر السبب.'

'الزوجة.'

'اذكر السبب.'

'كن جادًا.'

'اذهب لحال سبيلك.اذكر السبب.'

'الأطفال.'

فترة صمت طويلة، ثم نقرة طويلة فى جهاز المورس. فى البداية يحسب أن تلك النقرة بلامعنى، ولكنه عندما يبدأ فى تدوين الحروف يجد أن مايصل عبارة عن سطر لاينتهى من 'ها ها ها ها ها ها ها ها.' ويرد الرجل على ذلك المجنون، 'أنت مجنون.' وهنا يستقبل الرجل نقرات ضحكة طويلة، تنتهى بشكل مفاجئ.

'أنت المجنون.' صمت . هل لديك مانقوله:'قطار المناجم يجرى تحميله.'

'موعد تحرك القطار.'

'الساعة ٠٦١٩ أى متأخر أربعة عشر دقيقة.'

'هذا شيء طيب.' وهنا يفكر الرجل فى توجيه سؤال.

'من أنت؟'

'أنا والدك هاهاهاهاها.'

'أنت ياهوهوهوهو مجنون' ثم يلزم الطرف الثانى الصمت.

يمتلئ المكتب مع حضور كتبة الوردية الصباحية، فى البدايه، يدخل الشباب الصغار هم والمراسلين والسعاة، ثم يدخل بعدهم الكتبة الآخرون. وعند التاسعة والنصف يدخل كبار الموظفين وكل واحد منهم يرتدى جوربًا أبيضًا، شرّاب من النوع شديد البياض . وهذا موظف أخرأمضى شهرين فى ذلك الذى يطلق عليه هو اسم رحلة دراسية لبريطانيا، واعتبارًا من ذلك التاريخ، راح يرتدى

فى عزحر غانا بدلة بصديرى ومعطف . كان ذلك الموظف يود أن يبثث أنه ابـــن مطيع من أبناء الإمبراطورية بمناسبة عيد ميلاد صاحبة الجلالة. وعنـــدما يـــدخل المشرف على قسم الحجز، يسارع كاتب الحجز بالـــذهاب إلـــى مكتبـــه. الكاتـــب والمشرف يعرف كل منهما الأخر حق المعرفة، وكل منهما مدين للآخر دينًا كبيرًا. والمعروف أن المشرف، قبل التحاقه بإدارة السكك الحديدية، كان يعمل صرافًا فى واحدة من المدارس الثانويةالأهليه فى غانا. وطبقًا للعادات السائدة فى هذه الـــبلاد، كان ذلك المشرف ينظر إلى عمله باعتباره فرصة سنحت له لجمع أكبر مبلغ ممكن فى أسرع وقت ممكن، ولكن تعامل ذلك المشرف مع ماليـــات المدرســـة الثانويـــة سرعان ما أوضحت نواياه. تقدم الطلاب بشكاواهم إلى وزارة التربيـــة والتعلـــيم. وقامت الوزارة، كما هو متبع فى هذه الشكوى وطردتهم من المدرسة متهمة إيـــاهم بالعصيان والتمرد. ترتب على ذلك أن أضرب باقى الطلاب. وسعيا من الـــوزارة إلى طرد المزيد من الطلاب قامت باغلاق المدرسة. ولم يكن هناك تحقيق لكشـــف ملابسات هذه الواقعة، بل تعذر إجراء مثل هذا التحقيق نظرًا لأن النار كانـــت قـــد أتت على كل ماكان فى مكتب ذلك الصراف، وبخاصة إن ذلك الحريق أضرم فـــى مكتب الصراف أثناء إضراب الطلبة. وبعد ذلك بفترة وجيزة جدًا صدر أمر إلـــى إدارة السكك الحديدية من الجهات العليا بتعيين ذلك الصراف فى عمله الجديد. كان ذلك المشرف قد أحضر معه كاتب الحجز، ويحتمل أن يكون كاتب الحجز هذا هو الذى أشاع أن إشعال النار فى مكتب الصراف لم يكن من فعل الطلبة.

يدخل كاتب الحجز ومعه رئيسه ويبقيا قرابة نصف ساعة، وعندما يهم كاتب الحجز بالخروج يكون رئيسه معه وبصحبته وكلاهما يبتســـم ابتســـامة عريضـــة، وابتسامتيهما تدلان عن رضائهما عن نفسيهما. دعهما يبتســـمان. المكـــان يشـــفق عليهما،إذن فلندعهما يبتسمان. لو كانا فى بلد آخر لكانا الآن فى السجن.إنهما هنـــا بطلان.

وبطريقة آليه، ومن باب قمعه للاشياء الذى فى داخله واستيائه أيضًا من الأشياء المحيطه به، يشغل الرجل نفسه برسائل المورس الواردة، بأن يروح يدونها بمنتهى السرعة، ويرسل ردودًا قصيرة، ويطرح أسئلة، ويدقق فى الردود. وعندما يحل موعد تناول الغداء يحس الرجل بالجوع ثم ينزل من مكتبه ويقصد المكان الذى يقف فيه الباعة.

يود الرجل أن يتناول وجبة طيبة من وجبات الفولو Fulu ، شريطة أن تكون الوجبة خالية من اللحم، ولكن المعروف أن وجبة الفولو التى تباع فى الشوارع تعد وجبة بائسة، وإذا ماتناول الوجبة مع اللحم فإن ثمنها سيصلب من يتناولها صلبًا تامًا. ميزانيته لاتتحمل سوى وجبة من وجبات الجارى Gari ومعها شيء من الفول ومطهية فى زيت النخيل، وبالرغم من الفكرة المزعجة التى مفادها أن هذه الوجبة غير مناسبة، إلا أنه بدأ يتناولها ويتمتع بها، الفقير لابدأن يتعلم المعاناة من داخله ومن أعماقه. يحمل الرجل وعاءه ويمشى فى ظل الأشجار، وهو يبتسم لعمال القطارات الذين كانوا قد سبقوه إلى ذلك المكان. وبين مصمصة الشفاه، يدور الكلام المعتاد، كلام أولئك العمال الذين يعلمون أنهم واقفون على ذلك الشاطئ الذى تهب عليه الريح، وهم يمسكون بحبات السعوط بين أطراف أصابعهم، ويعلمون أنهم لن يدخلوا المكان مطلقًا.وفيما بين التنهدات ونوبات الضحك المريرة، تنطلق فى الهواء عبارات مألوفة للجميع.'إنه ليس مجرد ولد صغير...' 'نعم، لقد استفاد من عمله فى حزب الشعب ....' 'لديه سيارتان حاليًا....' 'لا، أنت متخلف فى معلوماتك ثلاثة سيارات وليست اثنين. وآخر سيارة وصلته هى من طراز مرسيدس ٢٣٠ سوبر.' 'قد تحسب أنى أكذب، ولكنه كان رفيقى أيام الدراسة، ولكن انظر الآن إلى.' 'آه، هذا هو حال الحياة.'' البنات والعشيقات'' يجرين ليملأن سياراته. وهذه رحلات يقوم بها إلى حانة ستار Star أثناء عطلة نهاية الأسبوع التى يمضيها فى أكرا.' 'بنات، بنات، بنات صغيرات فى عمر الزهور مازلن يذهبن إلى حانة أكيموتا Achimota وحانة الهولى Holy

شايلد Child ....''آه من بنات الهولى شايلد وبنات أكيموتا أيضًا!' إنه يكسر هؤلاء البنات مكسرات النمور.' 'أنت يابلدياتى ستفعل الشىء نفسه....' 'صحيح إنه خنزير نقود.' 'خنزير نقود بحق.'

فى الداخل تتصرف مجموعة من العمال كى يغسلوا أيديهم. ينتظرون الرجل إلى أن ينتهوا من غسيل أيديهم، ثم يتجه هو بدوره إلى الصنبور ويزيل الزيت عن يديه هو الآخر. ثم يعود ليجلس إلى مكتبه من جديد. صحيح، بل وصحيح تمامًا. مستحيل على الإنسان أن يقاوم الإحساس بالنعاس. لايزال هنا متسع قليل من الوقت، وعليه فهو يحرك كرسيه قليلاً ناحية اليمين ويخفض رأسه إلى الأسفل على المكتب كى يروح فى سنة من النوم. وهذا صوت يضحك ويصيح بشىء عن أسبوع العواطف، ولكن الرجل نام بالفعل وبالتإلى لم يعد يهمه مايجرى أو يدور من حوله بأى حال من الأحوال.

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية، وكان هناك صبى آخر يجلس إلى المكتب (الطاولة). ينظر الصبى إلى الرجل ويستغنى عن المقعد الذى كان الرجل جالسًا عليه.

يقول الرجل:' اجلس، اجلس. لقد بكرت جدًا بالحضور إلى المكتب.'

'نعم. لم يكن لدى ما أفعله. يضاف إلى ذلك، أنى أريد أن أراقب وأجرب؛

هذا هو شغف الأبرياء. سيجىء عليه يوم يتمنى لو أنه لم ير ذلك المجمع السكنى. سيجىء عليه يوم يتمنى فيه لو أنه لم يولد، ولكن ذلك اليوم لم يجىء بعد.

'هل تمانع لو أنى استلمت العمل منك الآن؟' يستثير السؤال دهشة الرجل ،إلى حد أنه لم يجب على السؤال على الفور.'أنا أود الاطمئنان إلى أن جهاز المورس يعمل على خير وجه.' هذا هو الرجل يستشعر ألمًا شديدًا فى مقدمة رأسه، هذا الألم يتزايد ويتناقص مع ضربات قلب الرجل ويستشعر الرجل ارتياحًا عظيمًا وهو يتفكر فى انقضاء فترة مابعد الظهيرة.

' ليس لدى ما أفعله.'

' حسنا. هل هناك شيء تود منى أن أقوله لك؟'

' الخارطه واضحة. لا، أنالا أريد منك أى شيء.'

'شكرًا لك.'

فى بعض الأحيان يأتى الإحساس بالارتياح على هذه الشاكلة. نحن نصل إلى المرحاض فى اللحظة التى يتعين علينا فيها التخلى عن ذلك فى أى مكان آخر. كما أن هناك أحيانًا أخرى من هذا القبيل لانتوقع فيها الغوث والارتياح، ولكن عندما يتهيأ ذلك الغوث، لايتعين على أحد من الناس أن يقول لنا إن ذلك هو ماكنا نحتاجه منذ مدة. يهبط الرجل من السلم، وهو فى هذه المرة غير قادر على إبعاد يده عن درابزين السلم الذى تغطيه الأوساخ، ويخفض الرجل يده بعد أن تلوثت بالشحم. هذا هو الألم الذى يحسه فى رأسه يعاوده من حين لآخر. ويتجه الرجل ناحية اليسار بعد أن يصل إلى الشارع ويروح يسير على جانب الطريق، مبتعدًا عن كثافة حركة مرور مابعد الظهر.

بعد معبر المستوى تجيء بوابة الميناء، ويمنعه الرجل الموجود هناك من المرورعلى الفور، وإنما يأخذ بطاقته ويطيل النظر إليها، وفى شيء من التردد البالغ والمنهزم يشير إليه بالمرور. ويقطع الرجل مسافة طويلة مستظلاً بظلال الناقل العلوى الجديد، وعندما يصل الرجل إلى نهاية الناقل يدور حول مخازن المحطة ويجلس عند حافة رصيف المرفأ ورجليه متدليتان فوق الماء.

الإنسان يعجب دومًا من عدم تلوث البحر عما هو عليه. أثناء شمس العصر يكون البحر هادئًا تمامًا. كما تهدأ حركة البحر أيضًا، وتنتهى باضفاء إحساس بالسكون والهدوء. هذا يولد فى الإنسان إحساسًا مماثلاً لذلك الإحساس الذى يتولد لدى من يركب الدراجه النارية (الموتوسيكل) أوذلك الذى يتحرك بسرعة عالية فى طريق مفتوح. أفكار عن الماضى وأفكار عن الحاضر، آمال ومخاوف بالنسبة للمستقبل، كل

ذلك يكون مصاحبًا لسرعة الدراجه النارية، وفى النهاية يصاب الإنسان بالإرهاق والإجهاد التام بعد أن يكون قد دخل ثانية إلى أجزاء من نفسه وفى داخله لم يكن قد زارها من قبل. هذه الأفكار القادمة من البحر كلها محمله بضياع الأمل المؤلم، ولذلك ينهض الرجل من جلسته ويروح يتمشى على حافة رصيف المرفأ، متجهًا صوب الأحواض الأخرى. هذا هو رجل يظهر، يحاول موازنة نفسه فوق طوف من كتل الخشب المربوطة إلى بعضها فوق سطح الماء، ويروح ينادى على أسماء عمال الخشب من حوله، الذين هم بدورهم يقفون على كتل خشبية طافية على سطح الماء، ويروح ذلك الرجل يدون كل شيء على صفحة من الورق مثبتة على لوح من الخشب يمسك به فى يده. يصيح الرجل بصوت عال، وفى شمس العصر تلمع شرايين عنقه المتعرقة. وعلى بعد مسافة من الرجل، هذه سفينة صغيرة، يبدو عليها القدم ومدهونة باللونين الأحمر والأسود، وترفع علما لم يسبق للرجل أن رآه فى الميناء، وهذه السفينة يجرى تحمليها بثمار الكاكاو المعبأة فى جوالات بنية اللون. وهذا هو سائق الشاحنة (اللورى) المحمل بالكاكاو ويتغنى بأغنية جميلة، كما أن الصوت الصادر عن ذلك الرجل يباغت المستمع مباغتة تامةه. هذا المغنى قد خلع قميصه عن نفسه، وهذا هو ظهره بعضلاته ولونه البنى. كوفى Kofi بيلى Billy يعشق هذا النوع من العمل. فوق السفينة الصغيرة هناك مجموعة من الأجسام السوداء تنتظر كى تقوم بتوجيه الحمولة القادمة، وهذه هى أصوات خافتة تنبعث بين الحين والأخر قادمة من المخزن الموجود فى الخلف. وفى الغرف الصغيرة الموجودة على ظهر المركب هناك رجلان أبيضان يرتديان قميصين أبيضين وبنطالين ابيضين قصيرين، وواحد من هذين الرجلين قصير جدًا، واقف ينظر ناحية الأسفل إلى كل الرجال الموجودين هناك، ويطيل النظر ويصيخ السمع إلى العمال والصياح والضوضاء الصادرة عنهم. هذا الرجل يترك السفينة ويغادرها متجهًا صوب حاجز الأمواج الرئيسى فى عرض المحيط. تخفت الأصوات العنيفة الصادرة عن العمل، وذلك أثناء مرور الريح على ذلك الرجل، ويقترب الرجل من حافة حاجز الأمواج ليمتد بصره إلى مسافة بعيدة فى البحر، ويمشى الرجل متئدًا ،لانه لايعير الوقت اهتمامًا، كما لايهتم أيضًا بالعودة إلى

السفينه، لأنه يحس بالسعاده فى وحدته هذه، ويصل الرجل إلى سلم مبنى فـــى نهايـــة حاجز الأمواج، وهذا السلم يؤدى إلى البحر. وينحنى الرجل وينظر إلـــى درجـــات السلم. درجات السلم هذه تنزل متدرجة لتغوص فى الماء وتصبح غير مرئية تمامًـــا. يجلس الرجل، وهو يحس بألم خفيف فى مؤخرة عنقه، ويدفع الرجـــل عنقـــه إلـــى الخلف. هذه مجموعة من السحب شديدة الأبيضاض تتماسك بعضـــها مـــع الـــبعض الآخر، وعلى بعد مسافة كبيره من الرجل، ومن خلف تلك الســـحب ســـماء شـــاحبة تكسوها زرقة خفيفة، وعندما ينظر الرجل إلى الأسفل من جديد فى اتجاه البحر تبـــدو له مياه البحر خضراء وعميقة. هذا هو طائر من طيور النورس، يطير على ارتفـــاع منخفض، تصدر عنه ضوضاؤه خشنة تختفى فى فترة العصر، وهـــذا هـــو الطـــائر الأبيض نفسه يطير فى اتجاه الميناء ومعه ضوضاؤه غير المسموعة وشكله الجميـــل وأجنحته الخفيفة.

الفصل التاسع

فى صباح يوم الأحد لاتنتهى جلبة الناس المعتادة فى مثل هذا اليوم.إذ تكـون الأذهان مستعدة للقيام بالأشياء الضرورية التى لاتود القيام بها. والسبب فى ذلك هـو تطلع تلك الأذهان إلى الراحة المرتقبة فى ذلك اليوم.

كان القلق الداخلى قد أيقظ الرجل قبل فجر ذلك اليوم. كان الرجل قد نسـى أن يغطى نفسه أثناء الليل بمفارش الفراش، أوربما تكون تلك المفارش قد انزلقـت مـن فوقه أثناء نومه. كان يحس ببرد شديد فى ظهره. ولكن بعد أن اكتمل استيقاظ الرجل بدأت تعاوده استعدادات الليلة السابقة. لم يكن بحاجة ماسة إلى تخزين المزيـد مـن الماء، أوإحضار المزيد من الفحم، ولم يكن بحاجة إلى تجهيز قطعة الإسـفنج هـى والفوطة ليضعهما بجوار الدلو بالقرب من الباب. كما أن المنبه لن ينطلق صوته فى هذا اليوم. ودون أن ينظر إلى الشكل الذى كان راقدًا بجواره فى الفـراش، اسـتدار الرجل لكى يجذب ملاءة الفراش من تحته ثم راح يفردها عن آخرها، ثم لـف نفسـه فيها تمامًا، ثم غطى رأسه. وعاد الرجل لاستئناف نومه فى ذلك الظلام المريح الذى خلقه من حول نفسه، بعد أن اختفت من داخله كل مظاهر القلق.

سطع ضوء النهار فى داخل المنزل، كما أطال غرفه النوم ذاتها، كـل ذلـك ظهر لها جليًا عندما استيقظ من منامه. لم يكن هناك مايدعو إلى الاستيقاظ، ولكنه بقى مسترخيًا وراح يفكر فى الأشياء التى قام بها فى اليوم السابق. لقد اسـتغل فرصـة انتهاء وقت الدوام وراح يتجول فى شارع هـاى High سـتريت Street ليشـترى الطعام الخاص والشراب الذى قررت زوجته تقديمة فى العزيمه التـى سيحضـرها كومسون وزوجته. كانت مسألة الحصول على أى شىء من المشروبات المكلفة التى طلبتها زوجته أمرًا مستحيلاً، وبخاصة تلك المشروبات التى تحمـل اسـم الهوايـت White هورس Horse والفات Vat ٦٩ . كانت زوجته تطلب تلـك المشـروبات بصورة دائمة لتقديمها للشخص المهم الذى سيجرى الاحتفاء به فـى منـزلهم. ذات

مرة، قالت له زوجته الأسباب التى تدفعها إلى ذلك، وكان ذلك السبب يتمثل فى أن أى شخص يمكن أن يشترى البيرة ويشربها. والصحيح أيضًا أن مسألة شراء البيرة هـذه لم تعد حقيقية تمامًا، وبخاصة مع ارتفاع أسعار الأشياء.

يوم أمس، تجول الرجل فى المحلات وفى جيبه نقوده الجديدة، وكان يـراوده إحساس جارف بالسعادة والقوة ، بالرغم من أنه لم يغب عن بالـه أن تلـك الأشـياء المكلفة التى سيقوم بشرائها سوف تعمق من إحساسه بالألم فـى أسـبوع العواطـف التالى. عندما كان يسأل عن طعام الرجل الأبيض ، ذلك الأرز الابيض الطويل المعبأ فى عبوات تحمل صورة العم بن Ben الأفرو أمريكى وهو يبتسم، وكذلك المعجنات المعلبة التى قطعت آلاف الأميال قادمة من بلاد الأثرياء، وعندما كان يسأل عن الزبد النيوزيلندى، كان يعلم علم اليقين، أنه من الغباء أن يحس بالارتياح وهو يشترى هذه الأشياء التى لايستطيع تحمل أثمانها فى نهاية الأمر، ومع ذلك لـم يسـتطع مغالبـة الابتسامة التى ارتسمت على شفتيه وجعلت ذلك الإحساس يسرى فى جسـمه كلـه. لوكانت تلك المشروبات الارستقراطية التى من قبيل الهوايت هورس والفـات ٦٩ ، متوفرة لاشتراها ذلك الرجل وهو فى غمرة تلك اللحظة الغبية من لحظات السـعادة، بغض النظر عن اللعنات والسباب التى كان سيصبها على نفسه بعد ذلك. لم يكن سبب هذه السعادة يتمثل فى نظرات الإعجاب التى تصدر عن أولئك الذين يقيمون النـاس بما يشترونه من أشياء وقدرتهم على الشراء. ولم يكن سبب هذه السعادة يتمثل أيضًـا فى كلام أويو، عن سعادتها البالغة عندما يثنى ضيف مهم أوزائر مهم على مايقدم له، أو فى كلامها وغضبها عندما لايكون لديها سوى الطعام والشراب الذى يقدمه عامـة الناس. كان يعتمل داخل هذا الرجل إحساس كبير وقوى بالسعادة، كلما كان يجد نفسه قادرًا، بصرف النظر عن مدى قصر هذه المدة على القيام بتلك الأشياء البطولية التى كانت منتظرة منه طول الوقت، حتى وإن أوى ذلك فى نهاية المطاف إلى قتل نفسـه بنفسه. كيف يمكن لإنسان أن يتحكم فى نفسه، عندما يتطلب منه إعجاب الـدنيا بـه، وإعجاب أسرته به وكذلك سعادته الدفينة، ولو فى اللحظـة الراهنـة فـى أضـعف

الأحوال، كيف له أن يتحكم فى نفسه والسيطرة عليها إذا ما تطلبت منـه كـل هـذه الأمور أن يفقد سيطرته على نفسه ويتصرف تصرف إنسان غيره ولايمكن أن يكون مثله مطلقًا؟ المال. والقوة.

عندما خرجت الرغبة فى النوم من جسم هذا الرجل، وعندما نهض من فراشه وارتدى بنطاله الكاكى القصير، ثم خرج بعد ذلك إلى صالة البيت، وجد زوجته واقفة أمام خزانه اللحوم، وهى تطيل النظر وهى شاردة الذهن، إلى الطعام الموجود داخـل تلك الخزانة، وإلى زجاجات (قوارير) البيرة الموجودة أمامها. دخل الرجل ووقـف إلى جوار زوجته، ووضع ذراعة بخفة على كتفها .

تساءل الرجل،' هل نسيت شيئًا من الأشياء المطلوبة؟'

قالت:' الطعام طيب. الطعام طيب، ولكن المشروبات....'

قال:' لم يكن فى المحلات سوى البيرة فقط.'

'نعم، فى المحلات.'

'وأنت لاتعجبك المشروبات الروحية الغانية الصنع.'

وضعت المرأة يدها على زورها بحركة سريعة تـوحى بالاشـمئزاز، ثـم ابتسمت بعد ذلك . قالت :'لا، أنا لاتعجبنى المشروبات الروحية غانية الصنع. ومـع ذلك هناك مشروبات طيبة فى البلاد.'

'هذه المشروبات لا توجد إلا فى بيوت الكبـار مـن النـاس وفـى منـازل الاشتراكيين فى الحزب.'

' لابد أنهم يحضرون هذه المشروبات من مكان ما. إنهم يحاولون، وهذا هـو كل مافى الأمر.' صمتت الزوجة لحظة، ثم قالت:'يتعين عليك التعرف على أنـاس يستطيعون إحضار تلك الأشياء لك. أولاً وأخيرًا، الناس لا تلتحق بالمـدارس لكـى لاتتعلم شيئًا.'

أدار الرجل زوجته ناحيته كى يتمكن من النظر إليها مباشرة، ثم قال لها بعد ذلك وفى نبرة صوته شىء من الغضب: 'إذا كان بعض رفاقى فى الدراسة مشغولين بتهريب المشروبات الأوربية إلى هذا البلد، فإنهم لم يخبرونى بذلك.' يبدو أن المرأة لم تلاحظ نبرة الغضب التى جاءت فى رده عليها.

قالت: أنت تعرف أن ذلك ليس هو مقصدى. الأشياء تحدث طول الوقت، إذاكنا نعرف أولئك الذين يقومون بتلك الأشياء ، وليس هناك خطأ فى ذلك.'

'أنا لاأعرف أناسًا يمكنهم أن يستوردوا لى الأشياء خصيصا.'

' بعض الناس يفعلون ذلك.'

قال الرجل: ' يضاف إلى ذلك أن البيرة ليس فيها ما يعيبها.' نظرت إليه زوجته نظرة جعلته لم يخطئ الإحتقار الذى كانت تنطوى عليه. 'أولاً وأخيرًا، كومسون يعرف أننا لسنا أثرياء ،إذن لماذا التظاهر؟'

'هل نتظاهر عندما نحاول أن نقدم لهم الأفضل؟'

قال الرجل معتذرًا،' ربما كان من الأفضل الانتظار إلى أن تتوفر لدينا النقود'

'قد لايطول عمرنا إلى ذلك الحد.' ضحكت عندما قالت هذه العبارة، ضحكة مصحوبة بصوت قصير، ثم دخلت المطبخ ومعها تلك الأشياء . ثم عادت من جديد وفتحت الدرج السفلى وأخرجت منه الأطباق الخاصة والفناجيل وكذلك الأوانى الأخرى المصنوعة من الزجاج ؛ ولم تستطع مغالبة الابتسام عندما نظرت إلى هذه الأشياء. ساعدها الرجل فى نقل تلك الاشياء إلى المطبخ. كانت تلك الأوانى والمواعين مغطاة بالتراب وفضلات الفراش والأبراص، مثلما كانت عليه دومًا عندما لاتستعمل طوال فترة طويلة من الزمن لعدم حضور أناس مهمين لتناول الطعام. ومن الدرج العلوى تناولت المراة مفرشًا كبيرًا لونه خليط من الأبيض

والوردى، ثم راحت تفرد ذلك المفرش والفوط فى الشمس كى تتخلص من العفونة والرطوبة.

بدأ الرجل فى نقل الكراسى الفوتيل الكبيرة إلى مكان فسيح. وفى كل مـــرة يقوم فيها الرجل بتنظيف تلك الكراسى، كان يعجب من أسباب صنع هذا النوع من الكراسى بهذه الأحجام وبهذا الثقل. وخطر بباله أن هناك سببين لذلك: أولاً، أنا هذه الكراسى لن يجرى إصلاحها أو التخلص منها إلا بعد فترة طويلـــة مـــن الـــزمن؛ وثانى هذين السببين أن أى لص من اللصوص سيصعب عليه نقل هذه الكراسى.

هذان سببان وجيهان يجعلان الشبان الفقراء يؤثثون غرفهم بتلك الكراســـى التى لاتصلح إلا لصالات المدينة الكبيرة. كان لايزال هناك شىء من الثقل والكآبه غير الضروريين.

فتح الرجل باب المكتبة الزجاجى وتناول الكتب التى لم ينظر أو يقرأ فيهـــا منذ زمن طويل. كان السواد الأعظم من تلك الكتب مدرسيًا من يوم أن كـــان فـــى المدرسة، كتب كلها خاصة بشهادة الدراسة الثانويه. وهو عندما يطالع فـــى هـــذه الكتب الآن، كان يتعجب إن كان بوسعه اجتياز تلك الاختبارات فى الوقت الحالى، إذا ما اضطر إلى ذلك. فى البداية لم يكن يراوده أى شك مطلقـــا، وبخاصـــة بعـــد ظهور النتيجة وحصوله على شهادة من المرتبة الثانية.كان الرجل يحس بثقة كبيرة أنه سوف يبدأ دراسة المستويات المتقدمة خلال فترة وجيزة. وبالتالى، يترتب على ذلك ترك إدارة السكك الحديدية، التى كانت عنده ، فى ذلك الوقت، بمثابة محطـــة مؤقتة، إذ سيكون بوسعه الالتحاق بالجامعة فى ليجون. وبعـــد أن التحـــق الرجـــل بالعمل ومضى فترة قصيره عليه فى ذلك العمل، قصد الرجل إلى الجامعة لمقابلـــة صديق له هناك، كان ذلك الصديق واحدًا من المتفوقين فى الدراسة. كانت الجامعة شيئًا حديثًا تمامًا فى ذلك الوقت، لم تكن قد اكتملت تمامًا، ولكـــن جمـــال المكـــان الأبيض كان قد ترك فى قلبه ألمًا طويلاً دفينًا وبخاصة بعد أن بدأ يفهم أنـــه لـــيس بوسعه الدخول إلى هذه الحياة المختلفة. انفتح مسار آخر أمام الرجل.ليته لم يفكـــر

فى السير فى ذلك المسار، لأن تلك الحياة اليومية لرجل مكافح من رجـــال الســكك الحديدية كانت قد فرضت عليه على غير رغبة منه. واقع الأمر أن هذا الرجــل لــم يخطر بباله مطلقًا ذلك المستقبل العلمى. لم يكن الرجل سعيدًا بحمل زوجتــه أويــو، ولكنه بوسعه الآن أن يتذكر تماما أن ذلك الألم والقلق الذى أعرب وعبر عنه عنــدما جاء والد زوجته وحكيا له قصه تحطيم ابنتهما، لم يكن ألمًا أوقلقًا حقيقيًــا. كمـــا أن احتفالات الزواج ولدت لديه إحساسا قويا بالسعادة، من منطلق أن شيئًا مهما حدث له بالفعل . وهنا، بدا له بطبيعة الحال، أن الشىء المهم يتمثل فى عزلـــة لنفســـه عـــن مستقبله، وأنه اختار لنفسه هذا الصراع المرير وأن يستهلك حياته المستقبلية فى هـــذا الصراع.

أخرج الكتب من المكتبة، وعندما راح يعيد الكتب إلى داخل المكتبه اكتشـــف وجود أسرة صغيرة من الفئران، وكانت الأجسام الصغيرة تركب فوق بعضها البعض فى حالة من الفوضى الرقيقة التى لاحول أوطول فيها لهــذه الأجســام الصــغيرة. واستعمل الرجل المكنسة ليكسح بها تلك الفئران ليضعها بعد ذلك، وهـــى لازالـــت حية، فى صندوق القمامة خارج المسكن. وهناك قام الأطفال الذين كانوا يجلســـون حول حفرة، حفروها فى الأرض؛ قاموا ليشاهدوا ذلك الذى كـــان فـــى صـــندوق القمامة، إلى أن سئموا النظر إليها وعادوا مرة ثانية لمواصلة اللعبة التـــى كـــانوا يلعبونها حول الحفرة.

فى الداخل تناول الرجل المخاد الواحدة بعد الأخرى من فوق الأرض، وراح يتفحص القماش الذى صنعت منه تلك المخاد. كانت هناك مئات الثقوب الصــغيرة فى هذا الطراز من القماش، لابد من شراء أغطية جديدة على وجه السرعة وشراء مخاد جديدة أيضًا؛ واقع الأمران هذه المسائل كلها لم تكن تحتمل الجدل أو النقاش. تناول الرجل المخاد وقام بوضعها على الكراسى الفوتيل ثم عاد مرة ثانيـــة، وبـــدأ يكنس صالة الشقة، بأن أزال التراب من فوق أفاريز النوافذ ومن فوق بقيـــة قطـــع الأثاث. وبعد أن أكمل كنس الأرضية، خلط البقية الباقية من الورنيش بشـــىء مـــن

الكيروسين وراح يمسح به الأرض المكشوفة من حول مشمع الأرضيه. وبعد كل تنظيف من هذا القبيل كان الرجل يصاب بالإحباط وخيبه الأمل. كان المكان يبدو بالشكل الذى هو عليه، إذ كان مشمع الأرضية يبدو متهالكا، فقد لونه فى أجزاء كثيرة منه، مخلفا وراءه بقعا سوداء، لم يكن ذلك الورنيش مشجعا بأى حال من الأحوال_ كان الورنيش متعبا ويشبه طمث الحيض. ألوان الأثاث البنية الداكنة كانت تضفى على المكان إنطباعا بالهرم والكآبه. وعندما انتهى الرجل من تنظيف الصالة، انتهى أيضا من ذلك الإحساس الثقيل الذى كان ينتابه وخلص إلى ان كل ذلك لامعنى له ولاطائل من ورائه؛ هذا العمل كله لم يخلص تلك الصالة من ذاتيتها التى توحى بالكآبه.هذه التغيرات المطلوبه بحاجة إلى شيء مختلف تماما، شيء لايمكن أن يتطلع إليه. هذا أيضا ينطبق على أطفاله. سوف يكبرون ويتعودون على دورات إفتقاد الاحساس بذلك النوع من التنظيف الذى يترك الأشياء على ماهى عليه؛ سوف يتعود أولئك الأطفال على الجهود التى تنتهى بوضعهم عند النقاط التى بدأ منها الأخرون؛ سوف يتعودون على المعرفة اللعينة التى مفادها أن العرق لن يكسبه إلأصحاب الركائز، وأنهم ليس عندهم مايسندهم أو يعينهم على ذلك. قد يستطيع واحد منهم الإفلات من دائرة انعدام الحيله المخيف. قد يكبر واحد منهم ويطفو ومعه شيء كبير من القوة يكفى لجذب الآخرين إلى الأعلى أيضا. أحلام. هذه الأحلام تقصم ظهور الأطفال. هذه الأحلام تريح الأب مدة لحظات لأنه يعرف فى داخله أن الأمور لاتسير مطلقا على هذا النحو.

بدأ الرجل يتصبب عرقا. وبعد أن انتهى من تنظيف الصالة، مسح أثر الورنيش والكيروسين من يديه، مستخدما فى ذلك خرقة من سروال قديم كان قد مزقه ليستعمله خرقا للتنظيف. ثم فتح المذياع بعد ذلك. كان المذياع مضبوطا على الإذاعة الغانيه، وراح يستمع إلى منوعات آكان Akan . جلس الرجل فى واحد من تلك الكراسى الكبيرة وراح يستمع إلى الأصوات التى كانت تتناهى اليه من خلال الباب المفتوح. الأطفال الذين كانوا موجودين أمامه كانوا يبدون له وكأنهم يمارسون

لعبتهم التى كانوا يلعبونها كما كانوا يركزون عليه أيضا أنظارهم ويراقبونه. سحب الكرسى إلى أحد الأجناب وراح ينظر بعيدا عن أولئك الأطفال وفى اتجاه المنـــزل المجاور وبعد انتهاء فقرة المنوعات دخل الرجل المنزل وأطفأ المذياع، وأخذ معـــه مستلزمات الحموم ثم دخل الحمام. اغتسل الرجل اغتســـالا جيـــدا وعلـــى وجـــه السرعة، وكان يكتم أنفاسه قدر المستطاع. ثم عاد وارتدى البنطال الكاكى الحكومى وقميصا أبيضا، ثم دخل المطبخ.

كان الأطفال يتناولون غداءهم بالفعل الذى هو عبارة عن شريحة مســـتديرة واحدة من خبز الكنكى Keneey وعليها مجرد مســـحة صـــغيرة مـــن الســـردين المطبوخ. تناول الرجل طبقة الذى كان موضوعا فـــوق كرســـى مـــن الكراســـى المستديرة.

قالت الزوجة:' كان مفترضا أن أحمل الطبق إليك، وأنت خارج المنزل.'

'لاداعى لذلك، فأنا أريد أن آكل معك.'

قالت:' لقد تناولت غدائى بالفعل.'

قال الرجل:'أنا لاأصدق ماتقولين.' ولكن المرأه ابتسمت. وأصـــر الرجـــل. 'شاركينى فى أضعف الأحوال.'

بدأت المراة تأكل مع زوجها. كان الأطفال قد خرجوا من المطـــبخ عنـــدما دخله والدهم، فجلس الأطفال بجوار الباب مباشرة، مشيحين بأبصارهم بعيدا عـــن والديهم داخل المطبخ . تبين الرجل مدى ضآلة الطبخة التى كان الأطفال يحاولون تناولها مع خبز الكنكى. ولكن هذا الحال مستمر منذ مدة طويلة. وقد سبق له مـــرة أو مرتين التخلى عن طعامه حتى يتسنى لهم الحصول على المزيد من اللحم. وهو إذا ما تحتم عليه إعطاؤهم الطعام الذى يحتاجونه، فإنهم سوف يتعين عليهم الســـير عراة، والا تعين عليه أن يجوع. كان خبز الكنكى جافا فى فمه. ووقف الرجل قبل

أن ينتهي مَنه الاحساس بالجوع، وبقيت زوجته هناك دون أن تقول شيءا، ســوى أنها كانت تطيل النظر إليه بعد أن غادر المكان.

نادى الرجل دون أن يلتفت إلى الخلف' أود أن آخذ البيــرة وأضــعها فــي ثلاجه بنتل.'

قالت زوجته:'آه، هذا شيء طيب! ولكن هل لك أن تنتظر بعض الشيء؟'

ماذا تريدين؟'

'ليتك تأخذ الأطفال وتوصلهم إلى أمي بعد ذلك...'

'هذا إذا ما احتملت أمك أن تراني.'

'أمي لاتكرهك. ليس كما يتصور الأمر لك.'

قال:' أنا على يقين من أن أمك تبادلني الحب سرًّا أويو.'

أجابت، 'هي تحبك، هي لاتبادلك الحب، لكنها لن تعضك.'

صمت الرجل، ولكن القافية ترددت في ذهنه كما لو كانت تسجيلا توقف عن العمل: كل ذلك لأنها لم يتبق لها سوى ثلاثة أسنان فقط، كل ذلك لأنها لم يعد يتبقى لها من أسنان سوى ثلاثه أسنان فقط.

أضافت المرأة، 'هل يمكن أن تطلب من أمي الحضور في ســاعة مبكــرة، حوالى الساعة السابعة؟'

'لماذا تجيئ؟'

'مجيئها يضايقك.'

قال:' وهو كذلك .سأبلغها ذلك.'

كان الأطفال فى انتظار والدهم بالفعل. رفع أصـــغر الأطفال وحملـــه علـــى كتفيه، وأحنى يديه لكى يمسك برجلى الطفلة الصغيرة المتـــدليتين علـــى صـــدره. وأمسكت الطفله فى شعر والدها مخافه أن تسقط على الأرض بغير ذلك.

نادى الرجل،' هيا، ياأدولى Adoley '

'أبتاه.'

'هل تودين اقتلاع شعرى كله؟'

ضحكت الطفلة، وبقيت ممسكه بشعر والدها وأنزلت يديها إلى جبهه أبيهـــا. كان الابن الأكبر يحمل الشنطه التى فيها البيرة. كان الصبى قد أخـــرج زجـــاجتين من الشنطه، وراح يحملهما بحرص بالغ، وكان وجه الصبى ينم عن تركيز شـــديد وانتباه شديد أيضا أثناء المسير. كانت عينا البنت الكبيرة حائرتان فى كل ماكانتـــا تنظران إليه على طول الطريق. ومن حين لآخر كانت لاتستطيع الإمتنـــاع عـــن ألتعليق على الأشياء التى كانت تلاحظها لأول مرة، أوحتى عن الناس الذين كانـــت تعرف أنهم يسكنون فى تلك المنازل التى كانوا يمرون عليها. تلك المنازل الجديدة، بيوت الإسكان المتوسط التى بنتها الحكومة لتأجيرها للناس، كانت تلـــك المنـــازل تستحوذ على انتباه هذه الصبية. كانت تلك الكلمات تظهر ثم تموت بسرعة أيضـــا، أثناء المرور على المنازل، ولكن تلك الكلمات كان لها صدى غيـــر مـــريح عنـــد الكبار، وأن ذلك الصدى كان يحول كل مدرك من مدركات الطفل إلى بـــذره مـــن بذور الاتهام عندما يكبر ويشب عن الطوق.

' هذا المنزل مملوك لمايك Mike .' ترى، ما الذى يمكن أن يحدث داخـــل طفل إفريقى صغير عندما يكبر معتقدا أنه هو مايك؟' والد مايك لديه سيارة؛ كانت الفتاه قد حركت الحقيبه بعض الشيء وراحت تنظر إلى وجه أبيها. إنها لم ترتكـــب أى خطا، عندما لاحظت أن والد مايك شخص ما لديه سيارة.

قد يكون من غير المنطقى توجيه اللوم إلى الفتاة بسبب ذلــك الــذى تــراه. 'المذياع الذى فى المنزل الذى تجاوزوه هو أكبر مذياع فى الدنيا كلها:'

كسر الولد الصمت حتى يتهجى الكلمه الدالة على ' لاسلكى!.'

قالت البنت فى شيء من التصميم:'ستراه أيضا فى يوم من الأيــام.' فقــدت البنت اهتمامها بكل ذلك الذى أصبح خلفها، وراحت تنظر إلى المنازل التــى يقــع بصرها عليها، وفجأ صاحت البنت صيحه حادة من صيحات المرح. 'ايه، انتبــه! هناك جهاز تليفزيون فى هذا المنزل. المنزل الذى فى الوسط.' اســتدارت الفتــاه دورة كاملة، وراحت تمرجح الحقيبة وهى تقول :'ياالجمال التليفزيون'

تهجى الولد الكلمه الدالة على 'ريِّس'Boss .

قالت البنت :'اسأل الوالد، أليس التليفزيون جميلا جدَا؟'

قال الرجل:'بلاىياديدى. ألتليفزيون جميل جدَا.'

صاحت البنت صيحة الانتصار،'عجبا لذلك!' كشر الولد عن أنيابــه ودفــع رأسه إلى الأمام مهددا فى اتجاه البنت، ولكنها اكتفت بالضحك. كان عنق الرجل قد بدأ يؤلمه بسبب وزن ابنته الصغيرة الثقيل.

بدءوا يتحركون بسرعة نظرا لانحدار سطح التل المؤدى إلى منزل الحماة، وسرعان مابدءوا يشاهدون ذلك الدغل من الأشجار الشوكية الجافة التى تبدو ميتــه وتحيط بالمنزل الذى كانوا يقصدونه. وعندما بدأ الرجل يطالع شجيرات نبات عباد الشمس الذابلة، خلفه فى المنطقة الواقعه خلف دغل الأشواك تعمد إبطاء خطاه حتى يمكن أطفاله من استباقه. لم تكن لديه رغبه فى دخول ذلك المنزل والجلــوس فيــه وتبادل التحيه المفتعله مع الحماة. كانت البنت التى كانت تحمل حقيبه قوارير البيرة تجرى فى المقدمة، فى حين كان الصبى قد قرر اللحاق بها ولكنه توقف فجأة فــى منتصف الشارع وراح ينظر إلى قدمه اليسرى. كان الصبى قد اقترب تمامــا مــن

منزل جدته، ولكنه بقى منحنيًا وهو ينظر إلى أصابع قدمه، إلى أن لحق به والـــده، 'ماذا حدث؟'

قال الصبى،' شيء ماجرحنى.'

أنزل الرجل البنت الصغيرة من فوق كتفيه وانحنى ليفحص ذلك الذى حدث لولده. كان إصبع قدمة الكبير ينزف، ولكن الجرح لم يكن بداخله شىء، ولم يستطع الأب تحديد إن كان ابنه قد داس على شوكة أم على قطعة من الزجاج المكســور. كانت الابنه الكبرى قد اختفت داخل المنزل لتخرج منه ثانية ومعها جدتها. كانـــت يد الجده اليمنى مبللة بعصير من زيت النخيل، وكانت تبعد يدها تمامًا عن جسمها. وكانت تحملق طول الوقت فى هذا الطفل أوذاك ، محاولة بذلك تحاشى النظر إلـــى وجه زوج ابنتها.

سألت الجدة الابنة الكبيرة، هل أكلتم جميعًا هذا الصباح ؟' أومـــأت البنـــت برأسها، ولكن العجوز لم تكن راضية عن الإجابة.' هل ماتقولينه حق، ياديـــدى؟' أومأت البنت برأسها مرة أخرى. راحت العجوز تستجوب البنـــت أكثـــر وأكثـــر، ولكنها هنا بدأت تلاحظ أن الصبى الصغير كان يعرج .

صاحت العجوز، وهى تتقدم نحو الصبى الصغير،آه، ياقرينى، ماهذا الـــذى أصاب قدمك؟ من الذى فعل ذلك ياقرينى الصغير؟

همس الطفل قليلاً ثم قال:'لاأحد.' وجهت المرأة إلى الرجل نظـــرة تـــوحى بعدم تصديق ماقاله الطفل.

قالت المرأة العجوز، وكررت كلامها مرة بعد أخرى:' ياقرينى المســـكين. ليس لديك حذاء تلبسه، ولذلك يتمزق قدماك الصغيران. إى، ياقرينى أنت ليس لـــك من يشترى لك حذاء، ولذلك فإن أصابع قدمك سوف تصاب دومًا.' ثم اقتربت من الصبى وراحت تنظر إلى قدميه، بحثًا عن الإصبع المصاب.

'أين الجرح، ياقريني؟ أين الجرح؟ يجب أن تعلم أنك ليس لك أحد، أنك يتيم، يتيم بمعنى الكلمة. يجب عليك أن تتوقف عن الجرى هنا وهناك، مثل أولئك الذين يطاردهم الأخرون حتى يشتروا لهم أحذية.ياقريني المسكين؟'

وقف الرجل هادئًا، يراقب ما يحدث ويستمع إلى ما يقال وكان مندهشاً إزاء وجود أو عدم وجود شيء من الرطوبة فى فمه حتى يقوى على الكلام. لقد حدث ذلك مرارًا، فرعوس الأطفال الرقيقة هى الأشياء التى ترتد منها الطلقات الكلامية التى يطلقها عليهم الكبار، لتعود ثانية إلى قلوب أعداء هؤلاء الكبار. لقد جاء الرجل إلى هنا وهو يتوقع حدوث ذلك، ومع ذلك فقد كان ذلك يغضب الرجل عندما يحدث له. استخدم الرجل لسانه فى تحرير أسنانه من قبضة شفتيه، ثم راح يتحدث إلى حماته. كان صوته يوحى بأدب مفتعل.

بدأ الرجل، 'طلبت منى أويو ... ' وهنا قاطعته المرأة العجوز.

'آه نعم، ابنتى المسكينة التى تعانى، ماذا تقول؟'

'طلبت منى أويو إحضار الأطفال إليك.'

تعجبت العجوز تعجبًا شديدًا'أوه، سوف آخذهم! سوف آخذهم عن تلك المرأة المسكينة. يا ألهى، كيف لها بإرهاق نفسها؟ أه ياحبيبتى، رحمتك ياالهى!'

قال الرجل بهدوء:' ياأمى، ابنتك حية وعلى مايرام.'

حملقت المرأة العجوز فى عينى الرجل، وراحت تنظر إلى الأعلى لأنها كانت قصيرة القامة. ويبدو أنها كانتا تبحث عن شيء من الأمل فى كلام الرجل. كانت عيناها بعيدتان، وعميقتان، وكانتا تبدوان دائمًا كما لو كانتا تسبحان فى مقدار جاف من الدموع.

قالت وهى تطيل الحديث:'أهذا هو ماتقوله أنت ..هل تقول بحق إن ابنتى حية وعلى مايرام؟' احتبس الرجل ابتسامة.'آه، ونحن نحمد الرب على ذلك!'

’هى أيضًا طلبت منى أن أطلب إليك الحضور فى ساعة مبكرة، أى حوالى الساعةالسابعة.‘

انعقد فم المرأة العجوز عندئذ على شكل دائرة صغيرة تـوحى بالاسـتياء. ولوت المرأة فمها لتقول للرجل: ’لقد سمعت ذلك الذى قلته أنت.‘

تناول الرجل قاروتى البيرة اللتان كانتا مع ولده، وأضـافهما إلـى بقيـة القوارير، ثم أخذ الحقيبة من ابنته الكبرى. وعندما هم بالانصراف، سمع بصـورة واضحة تمامًا صوت حماته وهى تؤكد على ولده أنه ينبغى ألا يكون عـديم النفـع عندما يكبر. أسرع الرجل الخطى إلى أن وصل إلى أقرب النواصـى إليـه، ولـم يبطئ الخطى إلابعد أن تجاوز تلك الناصية، ثم راح يمشى مسترخيًا بعد ذلك، بعـد أن تحرر من الضغوط التى انتابته بسبب نظرة العجوز إليه. بعد أن قطع الرجـل مسافة قصيرة، طرق باب منزل منعزل، ثم دخل المنزل، وناول قـوارير البيـرة لصديقه ،ثم خرج من المنزل مرة ثانية. كان الرجل يشعر بالحرية والخفـة، وراح يمشى بخطى وئيدة، متمتعًا بحركته. مشى الرجل بالقرب من المحرقـة الكبيـرة، عابرا المنطقة التى تقع فيها تلك المحرقة، وهو يستنشق رائحـة جلـود الحيـوان المحترقة والشعر المحترق، والورق المحترق وكذلك الرماد القديم. لم يمـش فـى الطريق الرئيسى، ولكنه سار فى الشـارع الصـغير المـوازى لـذلك الطريـق الرئيسى،إلى أن التقى الاثنان عند الجسر الذى يعبر البحيرة.

اندهش الرجل بفعل النسيم وهو يعبر الجسر. وعندما تفكر فى الأمر، خطر بباله أن السبب هو وجود حركة مرورية كثيفة فى كل مرة كان يعبر فيها ذلك الجسر؛ وبالتالى لم يكن لديه وقت كيما يتفكر فى ذلك النسيم. أما اليوم فالجسر مهجور تمامًا، وطوال فترة عبور للجسر لم تمر عليه سيارة واحدة. تحول الرجل ناحية اليسار فجأة بعد أن عبر الجسر وابتعد عن البحر، وراح يمشى بجوار البحيرة. كان الوحل الأسود الموجود على الشريط الساحلى طريًا تمامًا من تحت حذائه. كان يرفس بقدميه على الجانبين الأصداف القديمة الموجودة فوق الرمل

الأخضر الذى يميل لونه إلى الإسوداد، وبينما كان يفعل ذلك كانت تهب عليه من البحيرة ريح بين الحين والأخر، كانت تلك الريح محملة برائحة العفن. شاهد سمكة ميتة طافية فوق الماء عند الحافة كان لحم بطن السمكة الفضى يتراقص بشكل عنيف نازلاً إلى الأسفل وصاعدًا إلى الأعلى على شكل موجات صغيرة. وعندما دقق النظر فيما يحدث شاهد مجموعة كبيرة من الأسماك الصغيرة وهى تأكل من ذلك الجسم الأبيض الممزق، وقد راحت تكسر سطح الماء فى عشرات من النقاط الصغيرة .سار الرجل مع انحناء الطريق، تاركًا البحيرة يسارًا، ليمر بعد ذلك على ملعب كرة القدم. ستكون هناك مباراة فى المساء. لايزال يتبقى بضع ساعات على بدء المباراة، ولكن كانت هناك جماهير صغيرة تتجمع حول بوابات الملعب وأسفل الملصقات الكبيرة التى تعلن عن المباراة

الهساك × كوتوكو

اتسعت انحناءة الطريق، إلى مابعد سور ملعب القدم، إذ كان ينحنى انحناءً محددًا ناحيه اليمين . سلك الرجل ذلك الطريق ولكنه كان يمشى ببطئ، وعندما تجاوز الرجل السجن المركزى بسورة المرتفع عبر خط السكة الحديد فى المنطقة التى يتقاطع عندها مع الطريق ثم قصد بعد ذلك منطقة التلال بما فيها من كبائن. شاهد الرجل بالقرب من الجبانة ملاعب الجولف القديمة التى بدت له ضخمه جدًا ومنيعه أيام طفولته. كانت تلك الملاعب لاتزال جميلة، وبخاصة خضرة الحشائش ، التى كانت لاتزال تثير دهشته بنضرتها ونظافتها التامة. جاء بعد ذلك من الطريق نفسه خمسة رجال من البيض ومعهم ثلاثة نساء بيضاوات كان يختبئ ضمن هذه الجماعة، رجلان غانيان يكرشيهما الظاهرين كما كانا يرتديان زيًا أبيض خشنًا. وكان يجرى من خلف تلك المجموعة أربعة من الصبية الصغار، يحملون الحقائب والمضارب. بعد أن مر أولئك الصبية ضحك واحد من الرجلين الأسودين ضحكة

مفتعله مثل الضحكات التى يطلقها العاملون فى خدمة الكبار، ثم ابتسم وجه واحد من الرجال البيض وراح يقول:' تسديدة جيدة، ياهيمى Himmy. جيدة جدًا.'

كان الرجل الأسود يحاول التحدث مثل رجل أبيض، كما أن الصوت الـذى كان يصدر من فمه كان يذكر المستمع، برجل مصاب بالإمساك، عنـدما يجلـس للوهلة الأولى على كرسى قصرية المرحاض. اشمأز الرجل الأبـيض ورد عليـه بلغة النادلين قائلا:' ها، جيدة جدًا،أليس كذلك؟' ضحك الرجلان الأسودان بصـوت عال، فى حين وضع الرجل الذى تكلم يديه على كرشه الضخم.

بعد أن قطع الرجل مسافة طويلة داخل التلال، خطرت بباله ذكرياتـه عـن ذلك العرض القديم فى الماضى. أيام الأطفال والصبية الذين كانوا يدفعون أمـامهم عربات يدويه مختلفة الأنواع، وهم عابسى الوجـوه، ويروحـون يسـيرون بـين الأدغال ومعهم تلك العربات التى يدورون بها خلال الطرق الملتوية. وهنا تحـرك المراقبون الذين كانوا يرتدون زيًا أيضًا تحركوا على وجه السرعة خلف الأدغـال العاليه، وهم ينظرون إلى المتعدين على المنطقة نظرات ملؤها الشك والكراهية. لم يكن كل شىء مثلما كان عليه من قبل . هذه هى الأسماء قد تغيرت هنا وهنـاك . صحيح أنه كانت هناك أسماء من أسماء الرجال السود غير أن اللافتات التى كانت على جانب الطريق كانت تحمل الكثير من أسماء الرجال السود الذين لهـم أرواح بيضاء، وأسماء أخرى تحاول بكل قوتها أن تكون بيضاء. فى وسط غابة الأسماك البيضاء كانت هناك إشارات وعلامات تقول بصوت عال: هنا يعيش مقلدون سـود هم ميلزهيفورد Mills– Hayford ...بلانج بانرمـان Plange – Bannerman آتوه هوايت Attoh– White ... كونتـو– بلانكسـون Kuntu– Blankson . كانت هناك أسماء أخرى تبعث على الضحك فى نفوس جيرانهم البـيض. هنـاك الاسم أجروموند Agromond ... ترى ماهو الأصل الغانى لهذا الاسم، قبـل أن يندفع الموظف الحكومى الذى يحمله لإضفاء الطابع الحضرى عليه بهذه الصورة، مما جعله يبدو واحدًا من الاسماء المهمة؟ وهذا هـو أيضـا الاسـم جرانتسـون'

Grantson الذى يكاد لايصدقه أحد. كان هناك شخص آخر أطلق على نفسه اسم فنتنجسون Fentingson فى هذه الدنيا الواسعة؛ كما كان هناك رجل آخر يدعى ' بنفول' Binful .

مر أيضًا صبى أسود يدفع أمامه عربة يد بيضاء ووردية اللون. ولكن الطفل الذى كان داخل العربة كان أسودًا إسوداد الفحم، وكان الطفل يكاد يختنق فى الملابس الصوفية التى كان يرتديها. وهنا خطر ببال الرجل المراره التى أحسها صديقه المعلم Teacher عندما كان يتفكر فى كل ذلك. كان ذلك هو العائد والمكسب الحقيقى. المكسب الحقيقى الوحيد. كان ذلك هو الشىء الذى حارب الناس من أجله ونادوا به بأعلى أصواتهم. هذا هو ما وصلت اليه الأمور: لامن أجل قلب الامور رأسًا على عقب، وإنما من أجل دفع قلة قليلة من السود كى يقتربوا من سادتهم البيض، ولكى يضعوا المزيد من الشحم فى بطونهم أيضًا. كانت تلك هى نهاية كل شىء.

سيطر على جسم الرجل إحساس بالتعب والإرهاق، وراح يتفكر فى المسافة التى قطعها سيرا على قدميه. واستدار الرجل إلى الخلف ثانية، محاولاً إسراع الخطى فى رحلة العودة.

الفصل العاشر

كانت أخبار الساعة السادسة لم تنته بعد أن عاد الرجل إلى بيته . كان الرجـــل وهو فى طريق عودته قد استمع بالفعل إلى الأخبار كلها من أجهزة الراديو المملوكة لأناس آخرين، والتى كانت فى أعلى صوت لها لكى تقول للناس خارج المنـــزل إن هنا، وهناك أيضًا، وهناك، وهناك، أناس يعيشون ويمتلكون أجهزة راديو قوية جــدًا. شغل الرجل مذياعه عقب وصوله إلى بيته مباشرة، وإن هى إلا لحظات قليلة حتـــى أمسك الرجل بالجزء الأخير من الأخبار، وبالذات تلك الفقرات التى تقوم على المدح والثناء وبخاصة فى تلك الأيام. أوساجيفو Osagyefo الـــرئيس بحـــق، أوســـاجيفو الرئيس الأصيل، أوساجيفو بمعنى الكلمة. واختتم المذيع النشرة بنتائج مباريات كرة القدم فى ذلك اليوم. انتظر الرجل إلى أن سمع النتيجة التى تهمه: فقد فـــاز فريـــق الهساك بهدف واحدعلى كتوكو الذى لم يحرز شيئًا. ثم أقفل الرجل المذياع . كانت الاحتفالات ستستمر أسبوعًا بهذه المناسبة، وبالتالى فإن أسبوع العواطـــف القـــادم سيكون أسبوعًا قاسيًا تمامًا.

خرجت أويو من المطبخ متعبه، ولكنها كانت تبتسم فرحًا.

قالت:'أنا أرى أن تذهب وتستعد لاستقبال الزوار.'

'وماذا عنك أنت.'

قالت: 'مازال أمامى بعض الأشياء التى يجب عملها. ثم اغتسل واستعد .

تبعها الرجل إلى داخل المطبخ وهو يقول:' هل لى أن أرى الأشـــياء التـــى أعددتيها؟'

ضحكت،'لا' هذا سر.'

داخل المطبخ لم ير الرجل سوى مواعين نظيفة. وكانت الأشياء التي بداخلها مغطاة بالمفارش الكبيرة.

قالت المرأة: ' إن كنت تود أن تفعل شيئًا فعليك بإعادة الكراسي إلى الصالة.'

رفع الرجل الكراسي وأعادها إلى داخل المنزل. وعندما انتهى من إدخال الكرسي الأخير خطر بباله ترتيب الكراسي على نحو مخالف لما كانت عليه، بحيث لايضعها في مواجهه بعضها البعض، مع وضع طاولة المنتصف بين الكراسي. ولكن الترتيب الجديد بدا مضحكًا بسبب صغر حجم الصالة، ولذلك تخلى عن ذلك الترتيب الجديد وعاد إلى الترتيب القديم. وعندما انتهى من ذلك كان قد بدأ يتصبب عرقًا من جديد، وعندما دخل للاغتسال كان للماء برودة ملطفة جعلته ينسى الهواء النتن والباب المتعفن، وبقى فترة طويلة في الحمام، خرج على إثرها وجسمه متعب تمامًا، ومسترخيًا تمامًا، وكانت عظامه أيضًا على الحال نفسه. راح الرجل يرتدي ثيابه بينما دخلت زوجته إلى الحمام، إلا أنها عندما خرجت من الحمام كان لايزال مرتديًا سرواله وقميصه، بالرغم من أنه كان قد أخرج البنطال الذي سيلبسه، وكان البنطال معلقًا على الحاجز الموجود في غرفة النوم. وضعت المرأة الصَّبانة أرضًا، وكانت لاتزال ممسكة بثيابها حول ثدييها.

قال:'أنت تستهلكين وقتًا طويلاً. هل أصابك البرص؟'

'لماذا، أنت في عجلة؟'

'كنت أحسب أنك ستخرج حتى أرتدي ملابسي.'

'هل تخجلين يا أبو Oyo من أن يراك غرباء شهوانيون؟'

'آه، أنظر إليه إذا كنت تريد ذلك .إنك أنت الذي ستفقد الرغبة فيه والشوق إليه، ولست أنا.' ابتسمت وهي تقول ذلك الكلام، ولكنه استطاع أن يستشعر

مخاوفها القديمة من صوتها، ولم يقل شيئا بعد ذلك. وتركت ثوبها يسقط عنها ليرى بطنها المترهل وعليه أثر الجرح. فى كل مرة كان ينظر إلى تلك الشـــامة، كانـــت تبدوله أكبر من ذى قبل. تناول الرجل بنطاله، وارتداه على وجه السرعة، ثم أخـــذ حذاءه وجوربه وخرج إلى الصالة، وجلس على الكرسى الخشـــن الموجـــود أمـــام الطاولة ليضع الأشياء فوقها؛ ثم قام بعد ذلك بإعادة ترتيب الكتب فى دولاب الكتب وأغلق الباب الزجاجى الأمامى. وخرجت أويو من غرفة النـــوم واتجهـــت إلـــى المطبخ، وهى تمسك فى يدها مشطها الحديدى.

قال عندما رآها:' ياإلهى أنت لن تفعلين ذلك، هل ستفعليه؟'

'أنا أفعل ذلك بالفعل.' خرجت من المطبخ ومعها واحـــد مـــن المـــواعين المغطاة، ثم عادت ودخلت المطبخ وسرعان ما تشمم الرجل رائحة شعر يحتـــرق. ونظرًا لإحساسه بالغموض فى داخله، فقد اتجه صوب زوجته وراح يراقب الدخان المحمل بالزيت والذى كان ينبعث من شعرها.

قال: 'لابد أن يكون ذلك مؤلم تمامًا.' وسرعان ماراح يندم بعد ذلـــك علـــى ماقال.

أعادت أويو المشط مرة ثانية ووضعته بين جمرات الفحم، ثم رفعت رأسها بعد ذلك وقالت:'إنه مؤلم بطبيعة الحال. أنا أحاول فرد شعرى بعض الشىء، كـــى يكون مقبولا.'

'ما العيب فى بقاء الشعر على حالته الطبيعية؟'

'نساء الغابات هن فقط اللائى يبقين على شعورهن بحالها الطبيعى.'

قال:' ليتك كنت امرأة من نساء الغابات والأحراش.'

ضحكت ضحكة توحى بالمرارة ثم قالت:' أنتم يامعشر الرجـــال منـــافقون. ستغضبون إذا لم نقم بعمل تلك الأشياء الجديدة.'

البعض يفعلون ذلك.'

قالت:' كلكم سواء .' قالتها وهى تتناول المشط الذى بلغ درجة الاحمـــرار بفعل السخونة وراحت ومررته ثلاث مرات خلال شعرها. ثم وضعت المشط جانبًا وغسلت يديها. 'لوكان لدى باروكة شعر لكان ذلك أفضل، ولما كانت هناك متاعب أومشقات.'

غمغم الرجل قائلاً:' لو حصلت على باروكة شعر فسوف أدخل السجن.'

سألته فى شىء من الحدة،' ماذا تعنى بكلامك هذا؟'

والسرقة من خلال الوظيفة.'

'أنت تتكلم كثيرًا عن السرقة.'

قال الرجل:'أنا أعرف أنها اللعبة الوطنية، ولكنى لازلت خائفًـــا.'ضـــحكت زوجته، تلك الضحكة التى ترد بها على كلام الأطفال.

لم تحضر والدة أويو عند الساعة السابعة. وعند الساعة الســابعة والنصــف كانت والدة أويو لم تأت بعد، وهنا سألت أويو زوجها ما إذا كان قد تذكر أن يقول لأمها ويطلب منها الحضور فى ساعة مبكرة.

قال وهو يحاول إخفاء ابتسامة:'لقد أبلغتها ذلك.'

وصلت العجوز قبل الساعة الثامنة. بقليل، ومعها أطفال ابنتها.

كانت رائحتهم جميعًا توحى بأنهم قد استحموا جميعًا، كما كانــت أذرعهــم بيضاء بفعل بودرة التلك التى كانت عليها. جلست المرأة العجوز فى كرســى مــن الكراسى الفوتيل، وهى تتنهد تنهدات توحى بأنها كانت تشتكى ولكن دون أن تتكلم. نهضت المرأة الصغيرة واقفة، ولكنها قبل أن تخرج من الصالة سألتها أمها قائلة:' إلى أين أنت ذاهبة، ياأويو؟'

سأحضر للأطفال شيئًا يأكلونه.'

تقلص فم المرأة العجوز إشارة إلى الاحتقار والغضب.' إذن، أنتم تجلسون هنا وتظنون أنى أجوّع أبناءكم.'

'آه،لا، يا أمي. كل مافى الأمر أنى تساءلت .' كان الرجل جالسًا يراقب المرائين دون أن يقول شيئًا.

قالت المرأة العجوز:' لقد أطعمتهم. لقد أطعمتهم وأتوا على الطعام كله، إنهم جوعانين على امتداد حياواتهم الصغيرة. يجب ألا تتركوهم جوعانين على هذا النحو.'

غضبت المرأة الشابة وقالت:' أماه، نحن نعطيهم مايكفيهم من الطعام .لماذا تتكلمين بهذه الطريقة؟'

انسحبت المرأة العجوز ولاذت بالصمت. كانت تتشمم بأنفها بين الحين والآخر علامة على تشككها كما كانت تصدر من حلقها بعض الضوضاء التى توحى بسخطها وعدم رضاءها. كان الرجل يتلوى بسبب القلق وعدم الإرتياح، ثم اتخذ بعد ذلك قرارًا مفاجئًا، فقد وقف فجأه وخرج ليكون فى الهواء الطلق. فى بداية الأمر كان الرجل ينتوى التخلص من ضغوط مصاحبته لأحبائه الصغار، ولكن الهواء الخارجى كان باردًا ووديًا مما جعله يتمنى عدم العودة إلى كل ذلك الدفء العائلى. قرر الرجل البقاء خارج الصالة لحين وصول عائلة كومسون، ثم يرافقهم أثناء الدخول إلى المنزل. وراح الرجل يبطئ الخطى كيما يستهلك المزيد من الوقت، ولذلك مشى فى اتجاه المنزل المنعزل، ذلك المنزل الذى سبق أن مر عليه فى الصباح عندما كان معه أطفاله وقوارير البيرة.

وجد صديقه بنتل Bentil داخل المنزل وجلس يتحدث معه برهة قصيرة. ولم يدرك الرجل مدى تأخر الوقت إلاعندما قال له صديقه بنتل:إنه يتعين عليه الذهاب لمقابلة بعض الأصدقاء – كانت الساعة قد تخطت التاسعة.

أخذ البيرة وشكر صديقه، واستأنف رحلة العودة إلى منزله وهو يدور بخلده أنه سيرى الزائرين قد وصلوا بالفعل، ويرى زوجته غاضبة وأمها مستاءة لتأخرة. ولكنه عندما وصل إلى المنعطف الأول رأى النور الكبير لسيارة ضخمة، وكان ذلك النور واقعًا عليه بصورة مباشرة، ثم استدار الرجل يمينًا، مواصلاً السير في الاتجاه نفسه. وراح يسرع الخطى بعد ذلك

كان كومسون هو وزوجته استلا Estella قد وصلا وجلسا بالفعل داخل المنزل. شاهد سيارتهما واقفة بالقرب من المنزل، وفي داخلها السائق، منكفئًا على عجلة القيادة. كانت أويو جالسة أمام كومسون؛ في حين كانت أمها تجلس إلى جوارها، غارقة في إعجابها بمظهر ذلك الرجل من رجال الحزب. وكانت استلا كومسون جالسة في الكرسي المجاور لزوجها. اتجه الرجل إلى الزائرين وصافحهما، وهو يغمغم بشيء ماعن البيرة وأنها كانت السبب في تأخره. كانت مصافحة استلا غير كامله، وسحبت يدها بسرعة مهينة لتجلس بعد ذلك في كرسيها، موضحة للجميع أنها معتادة على الجلوس على قماش طرى أسفلها ومن خلف ظهرها. كان كومسون يبدو أكبر من الكرسي الذى كان يجلس عليه. بعد أن صافح الرجل كومسون، اندهش لنعومة يدى الرجل. يدان أيدولوجيتان، أيدى الثوار التى تدفع أصحابها إلى التضحيات الجريئة، ألا ينبغي لهذه الأيدى أن تكون أكثر خشونة مما كانت عليه لو أن أصحابها كانوا يجرون الأحمال على أرصفة الميناء؟ هؤلاء هم اشتركيو إفريقيا، بدناء، معطرين، وناعمين نعومة الرؤساء السلف الذين باعوا شعبهم وهم سعداء بثمار تلك التجارة.

نظر الرجل نظرة شك إلى وجه زوجته. وفي موقف من هذا القبيل أحس الرجل وكأنه غريب جاء من بلد بعيد جدًا، فقد كان يرى نفسه وكل من حوله متورطين في لعبة حزبية بطيئة لن تنتهي. كانت تلك اللعبة مخيفة، ليتها لم تكن كذلك حتى لايكون للأثرياء مثل هذا التأثير على الفقراء، عندما يضطروهم دومًا

إلى الاعتذار عن فقرهم، وأن يضحوا بضروررياتهم المستقبلية من أجل أن يتظاهروا لفترة وجيزة جدًا بذلك الثراء الذى لن يتحقق لهم أبدًا.

بددت ابتسامة الرضى، التى بدت على وجه زوجته، كل هذه الشكوك ومن وعاء من الأوعية المغطاة تناولت الزوجة خمسه أكواب زجاجيه لامعة ووضعت كل واحد منها مع الفوطة المخصصة له، بجوار الكراسى. تناول الرجل كوبه ووضعه بجواره على الطاولة، بعيدًا عن أكواب الجماعة. ثم فتح الرجل قوارير البيرة، وراح يملأ الكوب الأول لكل واحد من الحاضرين تاركًا القوارير شبه الفارغة إلى جواره.

قال كومسون:' فى صحة الجميع.' كان كومسون على استعداد أن يضيف شيئًا وهو يرفع كأسه، ولكن صوت زوجته العالى اخترق حاجز الهواء بحدته.

كانت تقول: 'هذه البيرة المحلية لاتناسب ذوقى.'

وهنا تساءل الرجل من مكانه المنعزل،' وماهو ذلك النوع من البيرة الذى يناسبك؟' وهنا رفعت الحماة عينيها عن لحية كومسون الكثة إذ كان الوقت قد حان كى تتفحصه من قمة رأسه إلى أخمص قدمه. لم تشغل استلا كومسون نفسها بالاستماع إلى السؤال . وراحت تتأمل الماسة التى كانت تلبسها فى إصبعها الوسطى، وراحت ترفع يدها كما لوكانت امرأة من النسوه البيض اللائى نشاهدهن فى الأفلام، لتداعب بها خصلة من الشعر كانت تتدلى من الباروكة وتعوق رؤيتها، واستمرت كما لوكان شيئًا لم يحدث، ولم يقاطعها أحد فى كلامها.

'الواقع أن المشروبات الأوربية جيدة. وهذه المشروبات المحلية تسبب المرض.'

قال الرجل وهو يرفع كأسه:' هذه المشروبات لاتسبب لى مرضًا. قد تسبب لى مرضًا فى جيبى ولكنها لاتسبب لى مرضًا فى أى موضع آخر.'

كانت زوجة الرجل هى وأمها تنظران نظرة مطرقة توحى بالضعة. وهنا تتحنح كومسون كما لوكان يحاول تسليك حلقه، ولكنه لم يكن لديه مايقوله، أوبا لأحرى لم يكن قد خطر بباله أى شىء.

واصلت استلا كلامها مؤكدة،'كان مفترضًا أن تشتروا مشروبات أوربية. وألا تضيعوا نقودكم على هذا النحو.'

قالت أوبو محتدة، 'هذه المشروبات ليست موجودة حتى نشتريها . لقد حاولنا العثور على هذه المشروبات.'

قالت استلا متنهدة:'آه، لوكنت طلبتى ذلك منى لطلبته من العم آسفورد Asford ، ولكان قد اشترى لك بعضا منها.'

أخيرا عثر كومسون على مايمكن أن يقوله.' هذا لايهم. أولاً وقبل كل شىء البيرة هى البيرة.' رفع كومسون قدحه وأخذ منه شربة، ثم تعجب بعد ذلك مقلدًا الساقى فى الحانه 'آه،عظيم !' وعندما وضع كومسون القدح على الطاولة مرة أخرى كان قد أتى تمامًا على مافيها، وكان شىء قليل من البيرة قد سال على الفك السفلى لرجل الحزب. مالت أويو منحنية إلى الأمام وتناولت فوطة ورقية وراحت تمسح بها تلك البيرة، ثم صبت بعد ذلك شيئا من قاورتها فى قدح كومسون.

'خدمة... ابتسامة' قالها كومسون ووجهه يبدو عليه السعادة البالغة. وسرعان ماراحت أويو تملأ الأقداح. كما أن إستلا نفسها تصالحت مع نفسها فى نهاية الأمر وتحولت إلى إفريقية وراحت تشرب البيرة وهى ممتقعه الوجه. وبعد استمرار الشراب فترة من الوقت، سألتهم أويو عما إذا كانوا قد جاءوا على استعداد لتناول الطعام.

قال كومسون متهللاً:'آه، لا،لا! انتظرى حتى أحكى لك قصة.' كانت زوجته قد قطبت جبينها ولكنه لم ينظر إليها. وأغلق كومسون عينيه وبدأ يقول: 'يظن بعض الناس أن كون الإنسان وزير يعنى أن الأمور كلها على مايرام طول

الوقت. هيه، هيه، أنا فى بعض الأحيان أتمنى لوكنت واحدًا من رجال الأعمال. ولست واحدًا من رجال الحزب. ذات يوم أحضروا رجلاً كى يلقى محاضرة على الوزراء وعلى البرلمانيين وعلى الناشطين من أعضاء الحزب. كان ذلك بمناسبة أعياد الوينبا Winneba. كان المحاضر يحمل درجات علمية عدة، إضافة إلى أنه لم يكن جذابًا فى كلامة على الإطلاق. فهو من ناحيه كان يرتدى ملابس على قدر الحال.'وهنا ضحكت استلا ضحكة مكتومة.'وراح ذلك المحاضر يتحدث إلينا فترة طويلة عن الاقتصاد. يقولون إن الرجل كان يحكى لنا عن كيفيه تحويل البلدان الفقيرة إلى بلدان غنية. كان يحاضرنا عن شىء يسمونه مراحل النمو. حاولت التوصل إلى ذلك الذى كان الرجل يقوله بالفعل ولكن يبدو أننى لم أكن الشخص الوحيد من بين الحاضرين، الذى نام فى ذلك اليوم. صحوت على صوت شىء من الضجيج والتصفيق. واستيقظ الآخرون أيضًا، وصفقنا كلنا وقلنا:" بيه بيه". وهنا نهض المحامى العام الذى كان واحدًا من باحثى الحزب، وراح يشكر المحاضر.

'لقد أخبرتنا وحدثتنا يا أستاذ فلان عن مراحل النمو. ونحن نشكرك كثيرًا على ذلك الذى قلته لنا عن تخصصك ." ترنح المحامى العام، لأنه كان سكرانا كعادته، ثم واصل حديثه." ونحن بدورنا سوف نتقاسم معك معرفتنا الخاصة. نحن... الحاضرون مراحل الخمر!" أقول لك إن أحدًا لن يعود إلى بيته لينام. كان المحامى يفتح عينيه الحمراوين بين الحين والآخر وراح يغنى قائلاً:

" المرحلة الأولى – هازل الحالة النفسية

المرحلة الثانية – عابس الحالة النفسية

المرحلة الثالثة عدوانى الحالة النفسية

المرحله الرابعة – غيبوبة الحالة النفسية."

'سقط المحامى العام بعد ذلك أرضًا. فقد كان هو نفسه فى المرحلة الأخيرة من تلك المراحل الأربعة. وهنا قلنا جميعًا:" بيه بيه". كان يومًا رائعًا بالفعل.'

كانت أويو هي واستلا تضحكان، ولكن أويو كانت مكشرة تكشـيرة تـوحي بالحيرة والقلق؛ في حين كان كومسون هو نفسه يهتز بفعل الضحك.

قال كومسون:' الطريف .. الطريف أن المحاضر كان هو وحده الموجود في المكان، ولم يكن يضحك حتى ولو لمرة واحدة. وقد بلغني أنـه هجـر هـذه الـبلاد وغادرها.'

طلبت المرأة العجوز من ابنتها تفسير تلك النكتة، وبينما كانت الابنه تفعل ذلك بدأ كومسون حديثه مرة أخرى.

قال كومسون وهو يرفع أصبعه مثل تلاميذ المدرسة' إذن، من فضلك.''هـذا هو إضطرار الطبيعة. عفوًا، خذني إلى دورة المياه.'

أطلق الرجل ضحكة من كرسيه المنعزل وقال في بساطه:' ليس لـدينا هنـا دورة مياه ' بدت الدهشة على أويو.

وهنا تدخلت استلا Estella متسائلة، ،إذن كيف... ماذا تفعلون؟'

وهنا راح الرجل الذي كان يتمتع بنفسه، يرد عليها ردًا طويلاً. 'لدينا بالفعل مكان، وكل مافي الأمر أن هذا المكان ليس من المستوى العالي. إنـه لـيس دورة مياه، إنما هو مرحاض ليس إلا.'

انفجر كومسون ضاحكًا بصوت عال.أبصر الرجـل وجـه حماتـه وهـو يمتعض، معبرًا عن الخجل والكراهية في آن واحد. كانت هناك ابتسـامة بهيجـة على وجه استلا.

'حسنًا، طالما وجد المكان. فنداء الطبيعة ثابت لايتغير.'

نهض الرجل من فوق كرسيه. قال:' حسنًا، هيـا بنـا.' تـرك الـرجلان زوجتيهما واتجها صوب الحمام والمرحاض. كان أسمنت الأرضية زلقًا من تحـت الأقدام مع ازدياد في الرطوبة والبلل كلما اقتربا من الهدف. وعندما وصـلا إلـى

المرحاض، وجدا بابه مغلقًا، وكانا عليهما أن ينتظرا فى الخارج. كان ألم وصراع الرجل الموجود داخل المرحاض واضحًا لهما ومسموعًا منهما، انقباضات معوية مؤدية إلى نوبات طويلة من الإخراج وتتخللها فترات صمت وجيزة . كانت معركة طويلة وأخذ الرجل الموجود داخل المرحاض راحته. وقف كومسون يحملق فى الظلام فى فتحه المرحاض عله يعثر عليها، وقع ذلك لم يستطع أن يتبين أى شىء فى الظلام، ويبدو أن جوالمكان نفسه كان طاغيًا على كل شىء. وهنا بدأ الرجل يسمع كومسون وهو يقضى حاجته على نحو واضح ومسموع. هذا هو واحد من أولئك الذين هربوا من كل ذلك، مضطر إلى العودة إلى كل ذلك الذى سبق له أن تخلى عنه. وفى النهاية بدأ الرجل يسمع صوت ورقة من صحيفه قديمة يجرى طيها فى يد الرجل الموجود داخل المرحاض بعد انطلاق صوت طويل قوى وحار، وواضح. وهنا بدأ الاثنان يشعران بالارتياح. ثم خرج من المرحاض بعد ذلك صبى صغير.

كان ذلك الصبى لايزال يمسح يده اليسرى فى قطعه من ورق الصحف، مستعينًا على ذلك بذلك الضوء الضعيف المنبعث من خلال باب المرحاض المفتوح. وعندما مر الصبى على الاثنين اللذان كانا ينتظران، كانت تصحبه رائحة كريهة كما لوكانت موجة من موجات البحر وارتطمت تلك الرائحة بوجه الرجل مباشرة. وهنا تنهد كومسون، وتردد قليلاً أمام باب المرحاض، وبنظره واحدة إلى ما بداخل ذلك المرحاض، استدار عائدًا مرة ثانية. لم يقل كومسون للرجل شيئًا، ولم يسأله الرجل بدوره عن أى شىء – لم يكن الأمر بحاجة إلى الكلام. عادا الاثنان إلى الصالة، وإلى زوجتيهما اللتان كانتا تنتظراهما. كان الطعام قد قدم بالفعل. وكانت استلا قد بدأت فى تناول طعامها، ووجهها يحمل بين الحين والآخر تعبير يدل على الاحتقار، كانت أويو تبدو راضية عما فعلته. لم تكن أويو من النوع الأكول، ولكنها راحت تراقب الآخرين. أكل الرجلان فى صمت. خرج شىء مامن كومسون، وطوال فترة المساء لم يعد ذلك الشىء مرة ثانية. وهنا استأنفت زوجته

استئلا الحديث بالكلام عن حياة الأحزاب، المزدحمة بالأعمال، وبدأت أسماء الشخصيات المهمة تنساب من شفتيها على نحو جعل أويو تنظر إليها نظرة حقد وإشفاق على نفسها. ومع ذلك، استطاع الرجل أن يتبين أن أويو كانت سعيدة. وعندما بدأت في رفع الأطباق والاكواب أحست بقربها من تلك الأشياء التى تود أن تفنى حياتها فى القيام بها، وأعطاها ذلك أيضا ذلك النوع من احترام الذات الذى كانت تتطلع إليه. وعلى غير وعى من الرجل، انجرف إلى أحلامه القديمة بذلك الذى يود عمله من أجل زوجته. وفى النهاية بقى لديه إحساس بأنه لن يستطيع عمل ماهو ضرورى.

كانت المرأة العجوز تحملق طوال وقت تناول تلك الوجبة فى وجه كومسون الذى كان صامتًا بدوره، كانت العجوز متحفزة لالتقاط كلامه فور بداية الحديث. ولكن رجل الحزب لم يكن على وشك الحديث فى أى شىء. أخيرًا، تغيرت ابتسامتها وبدأت تتكلم.

بدأت كلامها قائلة: سيادة 'الوزير، وهنا استدار كومسون ليستمع إليها. كانت عيناه عينى رجل شارد الذهن بعيدًا عن هذا المكان وهذا الزمان أيضًا.'سيادة الوزير' نادت العجوز،' أنا لاأود الحديث عن أى شىء مطلقًا. أنت تعرف جيدًا أكبر منى ذلك الذى جمعنا سويًا هنا فى هذه الليلة.'

قال كومسون:'أوه، نعم.' قالها كومسون وهو يحاول التركيز على ماتقوله تلك المرأة ''أوه، نعم، أعرف ذلك.' قالت المرأة العجوز:' أنا أقصد الأهيد Ahead ...'

تساءل كومسون:' تقصدين ماذا؟'

قالت أويو:'هى تقصد قارب الصيد. هذا هو الاسم الذى يطلق على هذه القوارب فى هذه المنطقة.'

قال كومسون:' لقد فهمت، لقد فهمت ماتقولين.'

قالت المرأة العجوز: ' هذا هو ما أردت أن أسألك عنه أيها الوزير.'

قال كومسون وهو ينحنى فى كرسيه: 'آه، نعم.'

'الأمور غاية فى الصعوبة هذه الأيام. الأمور صعبة جدًا.'

خرجت تنهيدة طويلة من فم استلا. 'إنها تلك الاشتراكية الحمقاء التى سوف تزعج راحة الناس وتقلق بالهم.'

تدخل الرجل مقاطعًا الكلام، 'وما الخطأ فى هذه الاشتراكية؟' وهنا ضحكت استلا.

'إنه يسأل، ما الخطأ فى هذه الاشتراكية. ماهو الخطأ الذى فيها بحق وحقيقة!'

قال الرجل بهدوء شديد: ' ربما تعرف أنت أشياء لايعرفها نحن.'

قال رجل الحزب. 'هذا إزعاج.' ثم تبع هذه العبارة بضحكة عابرة.' الاشتراكية ليست أمرًا ممكنًا هنا.'

'لكن أليست هذه الاشتراكية هى ذلك الذى تقولون عنه إنكم تؤمنون به.'

انفجر كومسون ضاحكًا.' الرجل العجوز نفسه لايثق بذلك. ولكن الناس إن مارأوا إنسانًا يفعل شيئًا من أجل المضى قدمًا، يغارون ويطلقون عليه الشعارات المضادة.'

قالت استلا وهى مستاءة: ' هذا لمجرد أن الناس يغارون.'

تنحنحت المرأة العجوز. يبدو أن المحادثة أربكتها إرباكًا تامًا. تساءلت المرأة معتذرة،' هل تتحدث عن القارب؟'

قال كومسون: ' نعم. ولنأخذ مسألة تجارة القوارب تلك على سبيل المثال. هذه المسألة تحقق الكثير من المال، ولكن ابدأ عمل أى شىء ، وعندها يبدأ الحمقى

فى توجيه الشعارات المضادة إليك.' كانت هناك عاطفة معينة وراء الكلام الذى يقوله عندئذ، كما أن حبات العرق التى كانت تتجمع على جبهته كانت توحى بأنه غضبان.

تساءلت المرأة العجوز وهى متألمة،' إذن، لن يسمحوا لك بشراء القوارب'

أجابها كومسون،' هذا أمر صعب جدًا. هذا أمر صعب ولكن سنحاول تدبير أمورنا.'

صمتت المرأة العجوز برهة، محاولة البت فى طرح أو عدم طرح السؤال، ثم قالت:' كم ثمن القارب الواحد؟'

تبادل كومسون هو وزوجته النظرات. وفى النهاية كشر كومسون جبينه ثم قال:' القوارب الصغيرة جدًا الواحد منها يكلف اثنى عشر ألف جنيه.'

صاحت المرأة العجوز وهى تمسك بطنها ،إى، ولكن هذه نقود حقيقية.'

قالت استلا:' لقد قلبتها أنت بنفسك.' قالت استلا هذه العبارة بصوت لم يكن هو صوتها المعتاد.

'هذه آلاف مؤلفة!'

قال كومسون 'نعم: ولكن النقود ليست هى الشىء الصعب.أولا وقبل كل شىء، البنك التجارى ملك لنا، ونستطيع أن نفعل أى شىء.'

قالت العجوز وهى تومئ برأسها 'م م م م'

'ولكنهم يقولون :إننا وزراء اشتراكيون، وعليه ينبغى أن لانفعل مثل هذه الأشياء.'

قفزت المرأة إلى أعلى علامة القلق والاستياء.' أهذا هو حال الوزراء، ألا يأكل الوزراء أيضًا؟ إنها حماقة، حماقة ليس إلا.'

تساءلت أويو، 'إذن فأنتم غير مسموح لكم بامتلاك هذه الأشياء؟'

ارتفع صوت استلا إلى حدته المعتاده، 'لاتلق لذلك بـالاً!هـل تعلـم، أن هؤلاء أولئك الذين يصيحون، يمتلكون أشياء، أشياء كثيرة!'

نظر كومسون إلى زوجته نظرة تحذير، كما لوكان يقول لها: إنها سـت تتكلم فى أمور لايصح الكلام فيها، ولكنه هو نفسه أردف قائلا:' حسنًا، هذه الأشياء ليست بأسمائهم، بطبيعة الحال.'

أردفت استلا قائلة:' إنهم لايستطيعون حتى استعمال أسـماء زوجـاتهم. يقولون:إن ذلك يفسد اسم الحزب ويسيء إليه.'

قالت المرأة العجوز:' هذه حماقة! حماقة بمعنى الكلمة!'

تساءلت أويو، 'ماالذى يمكن عمله؟' تلى ذلك صمت طويـل، وراح يبتسـم فيما بينه وبين نفسه. وهنا خرج كومسون عن صمته. قـال كومسـون بطريقـة طفوليه: 'إذا ما استطعنا بطبيعه الحال العثور على شخص يعيرنا اسمه، وعنـدها يمكن أن تصبح العملية مشاركة. وهنا انطلقت ضـحكة أخـرى تـوحى بـالتوتر والعصبية.

قالت العجوز وهى متشككة:'آها، تستطيع التحدث عن ذلك الأمر.'

قال كومسون:' إذا أردت الدخول فى الموضوع، فسوف نبحث هذا الأمر.'

قالت المرأة العجوز:' نعم، سنبحث هذا الأمر.'

قال كومسون:' الأمر لايعدو أن يكون توقيعًا لبعض الأوراق، ومعرفة ذلك الذى يمكن عمله، وهذا هو كل مافى الأمر.'

جلس الرجل يحملق فى جماعة صغيرة فى منتصف الغرفة. كان الرجـل يعزف إيقاعًا بلاضوضاء على طاولته.

تساءل الرجل،' ولكن، هل سيحقق ذلك شيئًا من الراحة ؟' يبدو أن السؤال كن مفاجأة لكل الحاضرين، ولكن بعد طرح السؤال ، بقى معلقًا فى الهواء ولم ينتهى . وهنا اعتدل كومسون فى كرسيه.

قطب كومسون جبينه وقال:' حسن، يقال إن القارب الواحد من تلك القوارب يمكن أن يحقق ربحًا صافيًا مقداره ألف جنيه فى العام الواحد.'

تساءل الرجل، 'كيف، يكون الربح صافيًا؟' كانت المرأة العجوز تطيل النظر إليه، وتغمز بعينيها غمزًا سريعًا يوحى بالغضب، ولكنه تجاهلها.

قال كومسون:' أقصد بعد الصيانة ودفع أجر الطاقم وما إلى ذلك من الأشياء الأخرى.'

'ليست كلفة القارب كلها؟'

'أوه لا، كيف يمكن ذلك؟'

لقد فهمت، لقد فهمت.' وضع الرجل إبهامه الأيمن على أنفه وضغط عليه بعض الشيء، وعلى نحو يجعل الصوت عند خروجه من الأنف يمر من خلال ذلك الاختناق.'لقد فهمت، هذا يعنى أنكم فى هذا الحال سوف تستمرون اثنى عشر عامًا قبل أن تتمكنوا من تحقيق الأرباح الكافية لسداد ثمن القارب.' أبقى الرجل على إبهامه وهو يضغط به على أنفه.

بدأت المرأة العجوز تقول:' ظننت...' ولكن فى منتصف حديثها يبدو أن شيئًا ما خطر ببالها، وتوقفت عن الكلام وفتحت فمها، وكان وجهها يوحى بكبر السن تمامًا.

جاء صوت زوجة كومسون العالى وهى تقول: 'الذى يهم هو توفير كمية كبيرة من السمك للطعام. أنت تعرفين أن السمك غالى تمامًا فى هذه الأيام.'

بدا على كومسون أنه لم يكن يستطيع إبعاد عينيه عن النظر إلـــى ســـاعته، وعندما وقعت عيناه على عيني زوجته قال:' إستى Estie ، ما رأيك؟'

قالت زوجته، وهى تنهض واقفة:' يتعين علينـــا أن نتـــرككم الآن.' بـــدت الحيرة التامة على السيدة العجوز، ثم وقفت هى الأخرى، وصافحت إستلا.

'لكن، متى سنراكم، حتى ننهى مسألة الأوراق والأشياء الأخرى؟'

'أوه نعم، يا إستى، متى سنكون أحرارًا؟'

'أنت تعلم أنك مشغول دائمًا مع أصدقائك.آه، قد يكون ذلك يوم السبت.'

قالت المرأة العجوز:' تقول، يوم السبت.'

'لكن يتعين عليك الحضور قبل الساعة السادسة. لأن جو Joe عنده موعد مع بعض الأصدقاء فى نادى أتلانتك كابريس، بعد الساعة السادسة مباشرة.'

قالت المرأة العجوز، وهى تفتعل ابتسامة حزينة:' الســبت، قبــل الســـاعة السادسة.' وهنا صافحت عائلة كومسون الموجودين فى المكان للمرة الثانية.

قالت استلا وهى تبتسم ابتسامة الملكة:' سوف نستعد لكم.' خرجت الجماعة فى الليل. ومشى الرجل خلف الجميع دون أن يقول أى شيء.

فى الخارج كان السائق لايزال منكفئًا على عجلة القيادة. وهروبًا من البرد، كان السائق قد أغلق نوافذ السيارة الزجاجية، الأمر الذى صعَّب علـــى كومســـون مسألة إيقاظ السائق من نومه. كانت استلا تطرق زجاج النافـــذة وهـــى غاضـــبة. استيقظ السائق، واعتذر عما فعل ونزل من السيارة ليفتح الباب لرجل الحزب هـــو وزوجته. ولوح الرجل، هو وزوجته وحماته بأيديهم إشـــارة الـــوداع لكومســـون وزوجته، وشقت السيارة طريقها فى جوف الليل مخلفة وراءها شـــيئًا مـــن النـــور الأحمر الذى كان يخترق الظلام الذى كان يطوق الجميع.

تنهدت العجوز تنهيدة طويلة بعد أن عادت مجموعة الأسرة الصغيرة إلـــى داخل الصالة.

'آها، لقد أبلى كومسون بلاءً حسنًا، وهذا ماينبغي علينا قوله. لقد أبلى بـــلاءً حسنًا فيما يتعلق بنفسه هو شخصيًا، وفيما يتصل بأسرته أيضًا.' لم يقـــل الرجـــل أوزوجته أى شيء تعليقًا على ماقالته العجوز.

قالت:' نحن فى ساعة متأخرة الآن.'

قالت: العجوز:' نعم' هذا صحيح. سأنصرف الآن.'

قالت أويو:'سأرافقكم حتى ولو لمسافة قصيرة من الطريق.'

كانت المرأة العجوز بين الحين والآخر تتنهد وكأنها تنفس عن أشياء كانـــت تضيق صدرها، وتلح على الخروج منه. خرج الرجـــل إلـــى الشـــرفة الخارجيـــة بصحبتهما. تكلمت المرأة العجوز فى نهاية الأمر وقالت: 'لابد أن أقول، لابـــد أن هناك رجالاً فى غانا يعرفون جيدًا كيف يهتمون بأنفسهم تمامًـــا.' تمالـــك الرجـــل نفسه، ومع ذلك تواصلت همهمات الاستياء فى انطلاقها من فم المـــرأة العجـــوز، 'رجال يستطيعون عمل أشياء كثيرة، كما يتحملون أعباء الآخرين أيضًا.'

ضحك الرجل ضحكة ناعمة ثم قال: «نعم، سوف نعمل فى تجارة الســـمك.' وهنا بصقت العجوز على الأرض.'أنت ربما سيكون لديك قارب خلال أثنى عشر عامًا.' وهنا جذبت الزوجة زوجها من ذراعه، ولم يقل أى شيء بعد ذلك.

غمغمت المرأة العجوز قائلة:' هذه حماقه، حماقة لامثيل لها. استدار الرجل إلى الخلف. وسرت تحية تصبحون على خير فى جوف الليل بلا رد عليها، وخطر بباله أنه استمع إلى شيء عن الرجال الذين لافائدة منهم أوجدوى لهم.

الفصل الحادى عشر

كان بإمكان الرجل إيقاف أول سيارة يصادفها من سيارات الأجرة، ولكن زوجته قالت إنه لغباء وحماقة أن يدفع الإنسان أجرة كبيرة ولايتمتع بالجلوس في سيارة محترمة. ولذلك بقى الرجل واقفًا على جانب الطريق مع زوجته إلى أن تظهر سيارة ترضى عنها المرأة.

قالت: هذه السيارة؛ أشار الرجل لسائق السيارة. كانت السيارة جديدة تمامًا،وعندما ركبًا داخلها،وبدأت تتحرك، سأل الرجل السائق عن السيارة.

قال السائق:' يقولون إنها سيارة من طراز تويوتا، إنها سيارة يابانية.'

قال الرجل :'لقد أبلى اليابانيون بلاءً حسنًا.'

رد سائق التاكسى:' لقد قلتها بنفسك، يا أخ. بالشكل الذى عليه الحال حاليًا، يبدو أن الناس كلهم فيما عدانا نحن يفعلون أشياء. نحن الأفارقة لا نشترى سوى الأشياء الغالية والأشياء المكلفة.'

لم يكمل الرجل المحادثة. لم يكن لديه مايقوله عن هذا الأمر. يضاف إلى ذلك، أنه استشعر أن زوجته اغتاظت بسبب ألفة السائق غير الطبيعة، أحست وكأن تبسط السائق مع زوجها فى الكلام قد أخذ منه شيئًا مهمًا.

سار السائق فى الطريق بسرعة نسيم فترة العصر، واتضح أنه كان يعرف المكان الذى كان الرجل وزوجته يقصدانه. ولم يسأل السائق عن المكان الذى يريدانه إلابعد أن أصبح فوق الجسر العابر للبحيرة.

قالت أويو:' اتجه إلى المنطقة السكنية العالية، أيها السائق .اتجه إلى أعلى التلال الواقعة خلف عقارات Estates أبا Aba إيز كافو Esikfo .'

'نعم ياعمتاه.'

كانت أويو قد انحنت إلى الإمام كى تصدر أوامرها إلى السائق. كانت كلمات 'المنطقة السكنية العالية'و'عقارات أبا إيزكافو' قد خرجت من فمها متراقصة، وعرف الرجل أنها كانت تتدبر تلك الكلمات قبل أن يسأل السائق عن المكان المطلوب الوصول إليه، وكانت تراعى جرس الكلام، وتتدبر الطريقة التى ستقوله بمقتضاها. ومن هنا، تكون قد ردت على سؤال السائق، بطريقة أولئك الذين يودون إيهام الغير أنهم أيضًا يعيشون فى المناطق التى من هذا القبيل. كان السائق هو الآخر قد بدأ يتحدث إليها كما لوكان قد عرف قدرها. أولاً وقبل كل شيء ، لم يكن الناس كلهم لهم أماكن يقيمون فيها فى المنطقة السكنية العالية. الذين يعيشون تلك المنطقة السكنية هم السكان البيض، والمحامين كبار السن، ثم بعد ذلك كبار رجال الحزب ثم أخيرًا قلة قليلة من الموظفين الحكوميين. المؤكد أن الحمقى لايمكن أن يفكروا أويخطر ببالهم أن يركب الواحد منهم سيارة أجرة ويقول لسائقها إنه يود الذهاب إلى تلك المنطقة. وسرعان مابدأت أويو تلاحظ الإعجاب والاحترام الجديدين اللذان بدءا يظهران فى كلام السائق. وهنا اضطجعت أويو على الكرسى التى كانت تجلس عليه واسترخت وهى راضية.

الانتقال بالتاكسى، ولو لمسافة قصيرة، كان له تأثير كبير على نفسية أويو. فيما مضى كان ذلك مصدر إزعاج للرجل، وكان ينظر إليه باعتباره مرضًا من الأمراض، هذا الشيء عالق بنفسية أويو منذ طفولتها ولم تتخلص منه. من عادة أويو أن تجلس فى القطار، وفى الحافلة، أوفى التاكسى، مثلما هى عليه الآن، وتتصرف بالطريقة نفسها التى تتصرف بها حاليًا، إلى حد أن من يراها للمرة الأولى يظن أن هذه هى حياتها، وبخاصة فى طريقة ركوبها للتاكسى والتحدث إليها كما لوكانت أمراة عظيمة. ثم تبدأ بعد ذلك فى الكلام عن الأشياء القليلة العظيمة التى وقعت لها طول حياتها، كما تتكلم أيضًا عن بعض الأشياء التى لم تحدث لها فى حياتها، بل إنها كانت تتكلم أيضا عن أشياء لم تحدث لها بعد، وتروح

تتكلم عن كل هذه الأشياء كما لوكانت هى الأشياء التى حدثت لها فى حياتها، خيط طويل من الأحداث الخرافية. كانت أويو، عندما تكون راكبه فى قطار أو حافلة، تروح تتحدث بصورة أو بأخرى عن أقارب لها فى أيديهم السلطة والمال. كان الرجل قد تحدث إلى صديقه المعلم، Teacher ، عن ذلك الأمر، ولكن ذلك الصديق كان يضحك ويقول: إن أويو ليست الوحيدة التى تفعل هذا الشىء؛ وكان يقول أيضًا: الدنيا كلها تميل إلى التظاهر والاستعراض، كما يتظاهرون أيضًا بأن أحلامهم تحولت إلى حقائق فى بعض الأماكن المختارة أو المنتقاة. كان الرجل مايزال لم يتعود بعد على ذلك الأمر، فى حياة زوجته. هاهى جالسة فى الجزء الخلفى من سيارة الأجرة كما لوكانت تمتلك دزينتين من هذه السيارات. وهاهى بدأت توجه الكلام الوجهه التى تنشدها هى وتود الحديث عنها. أغلق الرجل عينيه، متظاهرًا بالنوم . لعله يتجنب الاستعراض والتظاهر . ولكن المرأة حولت تمتمتها الصغيرة إلى ضحكة كبيرة، ولم يعد بوسع الرجل التلاعب بالتظاهر بالنوم. ولذلك فتح الرجل إحدى عينيه، وهنا انتهزت زوجته هذه الفرصة.

' الكياسة شىء لطيف.' قالت هذه العبارة وكان كل مقطع منها محمل بمرح مصطنع.

'نعم.' قد يكون من الممكن وقف أى نوع من أنواع الاستعراض أو المباهاة بشكل من أشكال الموافقة، أشكال الموافقة القادرة على وقف أى شكل من أشكال الحديث. ولكن أويو كانت لاتزال مصرة على الحديث.

واصلت أويو حديثها بلا رحمة أوهوادة وقالت:'آها، الكياسة ياابن العم. هل أطلعت على البطاقة البريد ية التى أرسلت لى من لندن مؤخرًا؟'

'نعم، لقد أريتينى إياها منذ شهور مضت.'

كانت هناك ومضة غضب فى عيون المرأة. وقعت عينا الرجل على عين السائق من خلال المرآة الخلفية، كانت عينا الرجل مسحورتين أو مبهورتين.

قالت أويو:'لا! أنا لم أكن أتكلم عن تلك البطاقة البريدية التى أشـرت أنـت إليها؛ لأن هذه البطاقة أرسلت إلى عندما كنت فى بروكسل. ألاتذكر ذلك؟'

أغلق الرجل عينيه وقال:'لا؛ وهو بهذه الطريقة يمكنه تحاشى نظرة الاتهام التى كانت توجهها إليه زوجته. وبدا على المرأة وكأنها قبلـت الهزيمـة بصـورة مؤقتة. وكانت السعادة والبشر قد اختفيا تمامًا من نبرة صوتها.

وهنا مرت عليهم لافتة، مصنوعة من بعض الألـواح الرقيقـة العموديـة، وكانت تحمل نقشًا هو عقارات أبا Aba إيزيكافو Esikafo .ودارت سيارة الأجرة دورتها فيما بين صفوف المبانى المتماثلة التى تفصل بينها شوارع ضـيقة وغيـر مستقيمة، وكان كل مبنى عبارة أدوار كل منها عبارة عن شـقة سـكنية واحـدة، وملحق بكل مبنى مساكن للخدم، ومن خلال عينيه شبه المفتوحتين، دار بخلده أنـه سيرى زوجته وهى تتحسر وتعض شفتها السفلى وهى تراقب المنازل أثناء المرور عليها. أغلق الرجل عينيه تمامًا.

قال السائق:' لقد وصلنا إلى المكان المطلوب.'

فتح الرجل عينيه فى الوقت المناسب ليرى يافطة أخرى مكتـوب عليهـا: المنطقة السكنية العليا. كانت تلك لافتة صغيرة، وكانت الحـروف أنيقـة ومرتبـة ترتيبًا جيدًا. خفف السائق من سرعة السيارة، وتردد عن مفتـرق مـن مفترقـات الطريق. طلب الرجل من السائق مواصلة السير، وعندما بدأت المنـازل الكبيـرة بأشجارها المميزة تقترب ثم تختفى خلف السيارة، كان السائق يطلب المزيـد مـن المعلومات عند كل منعطف من المنعطفات، بل إنه بدأ يسأل بعض الأسئلة الأخرى من تلقاء نفسه.

تساءل السائق ،' ما الذى يعنيه ذلك الاسم؟'سأله الرجل ،'أى اسم تقصد؟'

قال السائق وهو يضحك:'اسم هذا المكان .' ثم أردف قائلاً: 'أنا لـم أتمكـن مطلقًا من نطق هذا الاسم نطقًا صحيحًا .أنا لم استمر فى الدراسة فترة طويلـة كمـا تعلمون.'

'أوه، المنطقة السكنية؟'

'نعم.'

قلب الرجل الاسم فى ذهنه، وهو يحاول العثور على تفسير خال مـن الغبـاء والحماقة.' هذا معناه مكان يعيش الناس فيه.'

استدار السائق نصف دوره ثم نظر إلى الرجل نظره سـريعة تتـرواح بـين الضحك وعدم التصديق. غمغم السائق. ثم تساءل:' ماذا تعنيان بذلك ياخلق الله؟'

'اللافتة تقول: مكان يقيم فيه الناس، المخلوقات الآدمية، منازلهم.'

ضحك الرجل وقال:' يارجل، لاتسألنى.' كانت السيارة تقترب مـن منـزل كومسون، وطلب من السائق الوقوف أمام المنزل. دفع الأجرة وساعد زوجتـه فـى النزول من السيارة، بعد ذلك وعندما اختفت السيارة الأجرة دخل الاثنان من البوابـة المشكلة خلال الجدار المبنى من الأسمنت. توقف الرجل بالقرب من البوابـة حتـى تتمكن زوجته من النظر إلى حديد البوابه المشغول، مواسير مشكلة على شكل شمس وهى تشرق، ومدهونة باللون الأزرق واللون الذهبى. أطالت النظـر إلـى البوابـة باهتمام امرأة تفكر فى أن يكون بها شىء من هذا القبيل عندما تسمح الظروف بذلك. فى حين كان الرجل ينظر إلى بعيد ولايدور بخلده أى شىء.

سألت المرأة زوجها وهما يسيران فى اتجاه المنزل ،' لماذا تحول بينى وبـين الحديث معك؟'

سألها الرجل،' ما الذى تتكلمين عنه؟'

'أنت تعرف ذلك الذى أقصده.'

'تقصدين التاكسى؟'

قالت زوجته: ' نعم، أقصد عندما كنا فى التاكسى . لماذا تفعل ذلــك بصـــورة دائمة؟'

'أويو ، أنت تتذكرين أشياء أنا لا أتذكرها، هذا هو كل مافى الأمــر .'أحــدثت المرأة صوتًا يوحى بالغضب والإحباط التام، كما لوكانت تحــاول احتــواء غضــبها ولكنها كانت تعرف أن ذلك أمرًا مستحيلاً. عبر الاثنان الحديقة الواســعة الموجــودة أمام المنزل وهما صامتان تماما. كان هناك على الجانب البعيد بستانى فارع الطــول ومخيف جدًا،، إلى حد أنه كان ينحنى مثل عود من القصب ؛كان ذلك البستانى يسقى مساحة مزروعة بالحشائش الكثيفة الناعمة. كان وجه ذلك البستانى مزين بمجموعــة من الشلوخ، وكان يغنى بصوت خفيض وهادئ، اللهم باستثناء صرخة حــادة بــين الحين والآخر، كانت تنبعث من خلال الأغنية. وعند ركن من أركان المنزل كانــت هناك فتاة ترتدى لباسا من الجينز الأزرق وقميصا لونه يميل إلى الصــفرة، اتجهـت نحوهما وهى راكبة السيارة، وكانت على وشك أن تصدمهما، ولكنها توقفت.

تكلمت الفتاة بلغة انجليزية كتلك التى يتكلمها لأطفال البيض،'من أنتما؟' سألت هذا السؤال بلا خوف، وبنظرة مباشرة لاتصدر إلا عن طفل أبيض.

رد عليها الرجل قائلاً: ' نحن نبحث عن والدك؟'

قالت البنت: ' والدى فى الدور العلوى، وسرعان ماعادت إلى عالمها الخاص، أدارت محرك سيارتها وإختفت فى الاتجاه نفسه الذى جاءت منه.

فتحت الخادمة لباب ، كانت الخادمة فى السادسة عشر من عمرها، كانت طيبة المحيا، لكن جسمها كان هزيلاً وكانت تتمالك نفسها وتبتسم ابتسامة توحى بالخجــل، كما لوكانت تحاول الاختفاء من أمامهما.

كان الاثنان على انفراد، وراحا يستوعبان منظر الغرفة التى كانا فيهـــا، ولـــم يفعل أحدهما للآخر شيئاً. كان الرجل ينظر متعجبًا من الأشياء الموجودة فى الغرفة. كان الرجل يتحاشى أن تقع عيناه على عينى زوجته، ولكنه بين الحين والآخر تأكد له أنه عينيها كانتا توحيان بالرغبة فى الامتلاك. لم يكن فى وضع يسمح له بلومها على ما تفعل. كانت فى المكان أشياء تجذب أنظار الفضوليين والمتطلعين، وتجعلهم يقفون على قوة وسلطه مالك أوصاحب هذه الأشياء. الأشياء التى هنا من الأشـــياء الدقيقـــة المكلفة. كان من المستحيل عدم ملاحظة الطفايات الخاصة بالســجائر علـــى ســـبيل المثال، نظرًا لأن تلك الطفايات لم تكن مجرد أشياء للاستعمال فقط، وإنما هى أشـــياء جميلة تستحوذ على إعجاب الآخرين بما فى ذلك الرافضين أيضًا. كيـــف يمكـــن أن يكون حال الإنسان بين مثل هذه الأشياء، التى يقاومها العقل؟ لم تكن الأشـــياء بحـــد ذاتها هى سبب كل ذلك، وإنما طريقة الوصول إلى هذه الأشياء، هى التى تسببت فى ذلك الارتباك الروحى. وكل واحد يعرف أن الفرص التى تجعله يعثر على طريق لم يصبه العفن منذ البداية، هى فرص ضئيلة جدًا. كثيرون وجدوا أن من المناسب لهـــم سلوك الطرق العفنة، وواقع الأمر أن أى مخلوق لم يجرؤ على أن يفتح فمـــه بكلمـــه يقولها ضد هؤلاء الناس. كثيرون ارتادوا الطرق العفنة ووجـــدوها مليئـــة بملـــذات الحياة. البقية كانت تنتظر حلول الدور عليها، كانوا ينتظرون ولو مجرد فتحة صغيرة فى الطرق القديمة نفسها. وحتى أولئك الذين بدءوا بشىء من الطهارة فى أشخاصهم، أصبحوا فى النهاية مستعدين للإقلاع عن تلك الطهارة والتنازل عنها ثم المضى قدما فيما هم فيه. ظن الناس أن تلك تلك الطهاره لافائدة منها ولاطائل مـــن ورائهـــا، وأن المهم هى ذواتهم. ولكن هذا الصنف من الرجال استطاعوا أن يشقوا طريقهم متجهين صوب الأساليب العفنة الحلوة فى نظرهم.

من أجل الأطفال.

هذه العبارة قفزت إلى الذهن ، كى تذكر صاحبها بالمحادثة القديمة مع أنـــاس وصلوا فى النهاية إلى آخر مقاومتهم. من أجل الأطفال. لو افترضنا أن ديدى أمكنها

الحصول على ملابس جميلة تأتى عبر البحار من أماكن بعيـدة، علـى بعـد آلاف الأميال، ولو افترضنا أيضا أن أدولى Adoley يمكن أن يكون لديها سيارة تـدور بها هنا وهناك، كى تشغل ذهنها طوال فترة نموها، فما الذى يمكن أن يعرفانه عن الأساليب العفنة يوم أن كان الوالدان على قيد الحياة؟ ماالذى يمكن أن يهتمان بـه؟ ما الذى يمكن أن يهتم به أى إنسان كائنًا من كان؟

من أجل الأطفال الصغار.

فى نهاية المطاف، هل فعلوا من أجل الأطفال شيئًا يمكن اعتباره جريمة من الجرائم؟ هل فعلوا أى شىء يمكن أن يبرر إدانتهم إلى حد الإيلام، فى زمن كـان المطلوب فيه هو مجرد التضحية بشىء يمكن أن يتحول فى النهاية إلى مجرد شىء طفيف جدًا من الحياة؟ قبل كل شىء ،قبول الناس لكل هذه الأشياء كان من منطـق معرفة ماهية الحياة ذاتها. أليس هناك مثل يقول إن الثمرة الخضـراء صـحيحه، ولكنها صحية فقط لذاتها الوجيزة أو القصيرة؟ وأن الحياة على اختلاف صـورها تنبعث من بذور تتغذى على عفنها الذاتى؟ ترى ماذا كانت تلك الثمرة التى رفضت أن تخسر حامضها واخضرارها؟ كيف كان حجم تلك الثمرة التـى اسـتطاعت أن ترى نهاية حياتها فى الكفاح ضد الحلاوة والفساد؟

كمية الإضاءة التى كانت فى هذا المكان كانت مدهشة بحق. كانت الإضاءة تضفى بريقًا على كل شىء فى الغرفة. كان هناك بالقرب من كـل منفضـة مـن منافض السجائر شيئان لامعان: صندوق من الفضه ومسدس صغير يشبه اللعبـة. تعجب الرجل من أسباب وجود المسدسات فى هذه الغرفة. كان الضوء ينبعث قادمًا من قمم الطاولات الصغيرة الموضوعة فى الأركان والجوانب. تعجب الناس مـن ذلك الذى يطلقون عليه المؤسسة الرسمية لأعمال الرخام. لم يكن هناك داع لـذلك التعجب والاندهاش.إذا كانت هناك استعمالات لذلك الرخام.

كانت الغرفة بمثابة النصف فقط من مساحة أكبر منها. على يمين الباب كان يوجد ذلك الذى يسمونه غرفة الطعام، بالرغم من أن الرجل عندما كان يستدير فى كرسيه لينظر إلى سائرأنحاء الغرفة، كانت عيناه تقعان على رفوف مغطاة بالزجاج وعليها مجموعة هائلة من من الأطباق والأكواب اللامعة. أما غرفة الجلوس فكانت فى مكان بعيد، ولها إطار عال جميل وملمعة تلميعًا جيدًا، وفيها أيضا رفوف من فوقها أشياء دقيقة وجميلة لابد أن تكون قد جلبت من بلاد أجنبية، بالرغم من أن الرجل لم يكن يعرف فائدة أى من تلك الأشياء. وعن يسار الرجل كان هناك واحد من أجهزه التلفزيون الحديثة، وفى ركن من أركان الغرفة كان هناك دولابان كان الجزء الخارجى منهما من الخشب اللامع. تعرف الرجل على واحد من هذين الدولابين واتضح له أنه جهاز راديو بالرغم من كبر حجمه بشكل غير عادى . وشق على الرجل التعرف على الدولاب الثانى. ورأى الرجل أيضًا خمسة كراسى عميقه طرية، من فوقها حشيات حمراء اللون، كما كانت هناك سجادة فوق الأرض المعزولة. كما كانت فى الغرفة أيضًا أريكتان ، كانت زوجته جالسة على واحدة منهما.

عندما وقعت عينا الرجل على عينى زوجته، رآها تنظر إليه كما لوكانت تنتظر منذ مدة تهيؤ الفرصة التى تتيح لها قول شيء له.

قالت"'كان يمكن أن تكون أمى بصحبتنا.' ولكن الرجل لم يعلق على ذلك ، وواصلت كلامها،

' كان يمكن لأمك أن تكون معنا، لو أنها لم تخف من استهزائك بها.'

'آنا أعجب من منا هو الذى فى وضع يسمح له بالسخرية من الآخر فترة أطول.'

قالت: 'أنا أغضب عندما أراك تسخر منها.'

قال: 'أويو ، إذا كنت تودين الشجار، فحاولى ذلك مع شخص غيرى.'

قالت: 'القارب مسألة مهمة بالنسبة لها. يبدو أنك غير مدرك لذلك.'

'أوه، أنا أفهم ذلك جيدًا.'

'إذن ، لماذا تسخر منها؟'

قال:،أعتقد أنها هى التى تسبب ذلك ، هذا هو كل مافى الأمر. وأنت معها أيضًا.'

تساءلت،' ليس هناك مايدعو إلى أن تعرب عن سعادتك بهذا الموضوع، أليس كذلك؟'

'أنتما الاثنان سعيدتان، ما الذى يجعلنى أنا أصيح وأصرخ؟' بدا على المرأة وكأنها تود أن تقول شيئًا مزعجًا بحق، ولكن انطلق صوت قادمًا من الخلف من أعلى السلم.

قال كومسون:' كنا فى غفوة طويلة. ليلة أمس كانت ليلة كلها عمل، إذ تعين علينا زيارة ثلاثة نوادى ليلية.' كان الرجل مرتديًا ملابس نومه، التى كانت عبارة عن شىء لامع، ولم يكن قد لف نفسه تمامًا فى ذلك اللباس.

ابتسمت أويو وقالت:' مساء الخير، سيادة الوزير.'

'مساء النور.' قالها كومسون وهو يستشعر قيمته. وفى اللحظة نفسها نادى كومسون قائلاً: آتنجا Atinga !' كانت تلك صيحة غريبة، تلك الصيحة التى يأتيها البيض عندما يحاولون نطق اسم من الأسماء الإفريقية، عندما لايودون نطق الاسم كاملاً أو نطقًا صحيحًا، ويجدون فى ذلك شيئًا من الاستعلاء نتيجة عجزهم هذا. وجاء الرد على تلك الصحية على شكل "صاه! Sah" وبصوت مرتفع أيضًا. جاء ذلك الرد من مكان مافى الخلف، وفى الحال ظهر رجل قصير ونحيف، فى الخمسين من العمر، ووقف عند الباب الخلفى، انتظارًا لأوامر سيده. كان الرجل يلبس قميصًا أبيضًا وبنطالاً مزين بشرائط حمراء على الجانبين. ودون أن ينظر

كومسون إلى رئيس الخدم، اتجه ناحية الراديو الكبير الموجود فى الـركن وشـغل جهاز الاستقبال. واهتز الهواء بفعل صوت يشبه الرعد، وراح كومسون يخفـض من صوت المذياع.

قال:' ليس هناك أجهزه تتفوق على الأجهزة الألمانية.'

قال الرجل وهو يشير إلى رئيس الخدم:' هناك شخص ينتظر عند الباب.'

قال كومسون، وهو مايزال يلعب فى الصوت الناتج عن المذياع الكبير: 'إنه الصبى، رئيس الخدم. على فكرة، ماذا تحبون أن تشربوا؟'

'أى شيء يكفى.'

قال كومسون:' يجب أن تختاروا. عندنا ويسكى هـورس، وعنـدنا أيضـا ويسكى من ماركة بلاك آند هوايت، ومن ماركة سيجرام، وجلبى دراى....'

كرر الرجل كلامه، 'أى شيء يكفى.'

قال كومسون: 'حسن، سـوف أترك لكم الخيار. أحضر عربة المشـروبات يا أتنجا، وضع عليها مشروبات متنوعة. وضع عليها ثلجًا أيضا، ،احضر أربعـة كئوس.'

'حاضر' قالها أتينجا وهو ينسحب من أمام الباب.

قال كومسون:'ستنزل إستاى حالاً.' ثم نادى مرة ثانية ولكن فى هذه المـرة حل الصوت الناعم العميق الخفيض الذى يدل على الحياة المرفهة، محل الأصوات الملحة التى لامعنى لها. وهنا دخل النادل ومعه كل القوارير المطلوبة وكل الـثلج المطلوب، ومعه الكئوس أيضًا، وكان ذلك كله محمّلا فوق عربة المشروبات، التى كان يدفعها أمامه بحركات تنم عن التقدم والتوقير، ثم قدم للرجل هو وزوجته شيئا من الويسكى : نزلت حرم كومسون قادمة من فوق السلم، وكانت ترتـدى فسـتانا يبدو أنه كان يعكس كل حبات الضوء، لترتد ثانية إلى عين الناظر إليه. وهى مثل

زوجها، لم تشرب . وجلست واثقة بنفسها فى كرسيها، ولم تكن تفعل شيئًا سوى تحريك باروكة الشعر من الأمام إلى الخلف بحركات طويلة، وبطيئة ومدروسة جدًا.

تساءلت أويو وهى تشير بيدها،' أهذه هى غرفه الطعام؟'

قالت إستلا:' نعم، لقد حضروا من أجل الأثاث.'

'من هم أولئك الذين تتحدثين عنهم.'

'موسسة الأثاث الحكومية. إنهم يجددون الأثاث لنا. جواتفق على ذلك مع المدير.'

'لقد فهمت.' كانت هناك تساؤلات فى عينى أويو، تساؤلات ربما تكون قد نشأت عن الحقد والحسد والإعجاب، ولكنها لم تطرح الأسئلة. وعوضًا عن ذلك راحت توجه الحديث وجهه أخرى. 'أنا لم أعرف أن طفلتكم الأولى قد أصبحت صبية على هذا النحو. ما اسمها؟

قالت استلا:' أميرة ' Princess

تساءل الرجل،' أهذا هو اسمها الحقيقى، أم أنه اسم من أسماء الدلع؟'

قالت استلا:' إنه اسمها.' ثم نظرت إلى الرجل نظرة احتقار واستخفاف.

قالت أويو:' أنا كنت صديقة حميمة لشقيقتك ريجينا Regina عندما كنا فى المدرسة.'

'هى حاليا فى لندن.'

'ماذا تفعل هناك؟'

'لقد حصلت على منحة دراسية . لقد رتب جولها هذا الأمر.'

تساءل الرجل،' أهى فى جامعة من الجامعات،إذن؟'

قالت استلا:'لا' إنها تتخصص فى صناعة الملابس والأزياء . وهى تقـول: إنها سوف تطلق اسمى على مؤسستها عندما تعود. أزياء إستى، بالخبرة اللندنية.'

قالت أويو:' إنها حظيظة جدًا.'

قالت استلا:'إنها فتاة لطيفة جدًا.' قالتها بضحكة صغيرة مصطنعة.' تقـول إنها وقعت فى حب سيارة جاجوار، وأنها سوف تقتل نفسها إذا لم تحصل عليهـا. وهى تود منا أن نوفر لها النقد الأجنبى المطلوب لذلك.'

قال الرجل وهو ينظر إلى كومسون :' ظننت أن ذلك أمرًا مستحيل.'

قال كومسون:' كل شىء يمكن أن يحدث. وهذا يعتمد على الشخص نفسه.'

'هم.' كان بوسع الرجل أن يفتح فمة من جديد ويروح يتحدث متهكمًا مـن الموضوع برمته، ومن أولئك الذين يحصلون على القوة والسلطة لقاء صياحهم ضد الأشياء الأوربية التى تستعبد الناس، والتهكم من أولئـك النـاس أنفسـهم الـذين يستعملون القوة والسلطه نفسها من أجل الحصول على تلك الأشياء التـى يقولـون إنها تستعبد الناس. كان بوسع الرجل أن يتساءل أيضًا حول ما إذا كان ذلك الصياح قد غير من الأمر شىءا، وذلك اعتبارًا من أيام الرؤساء Chiefs الـذين كـانوا يبيعون رجالهم لقاء حليات صغيره يحصلون عليها من أوربا. ولكنـه بـدأ يفكـر ويعمل عقله فى قوة وفعالية الحليات الصغيرة وفائدتها، كما أعمل فكره أيضًا فـى تلك الرغبة الجارفة التى صاحبت تلك الحليات الصغيرة: فكر الرجل فى اشـتياق أطفاله إلى تلك الأشياء، وفكـر أيضًـا فـى إرضـاء أميـرة الابنـه الصـغيرة لكومسون،وآثرأن لايقول شيئًا.

مشى كومسون متجهًا إلى ذلك الشىء الكبيـر الموضـوع بجـوار جهـاز الراديو. رفع غطاء ذلك الشىء وضغط على شىء بداخله. ثم أوقـف بعـد ذلـك الموسيقى الصادرة عن المذياع.

سألت آويو،'ماهذا؟' فى بعض الأحيان كان لدى أويو القدرة على أن تجعل من نفسها مجرد قروية مشدوهة. وهذه بحد ذاتها ألعوبة تسر الآخرين.

ردت استلا قبل أن يقول زوجها أى شيء، هــذا مســجل. أحيانًــا تكــون الموسيقى الصادرة عن المذياع لاتمت إلى الموسيقى بصلة. وفى وجــود المســجل والشرئط يمكننا الاستماع إلى ذلك الذى نريده.'

وهنا انتشرت الموسيقى الرخيمة فى كل أجواء الغرفة، وهنا أغمضت استلا عينيها كما لوكانت موسيقى يوم الأحد هذه قد حركتها روحيًــا، وراحــت تتــنفس بعمق. وهنا نظر كومسون إلى الأعلى وهو مقطب الجبن.

قال:' لقد فات الموعد، سوف أحضر الأوراق .' وعــاد كومســون خــلال دقائق قليلة، ومعه ملف صغير فى يده.

قال:' كنت أحسب أن السيده العجوز هى التى ستوقع.'

قالت أويو: 'لم تستطع أمى المجيء معنا. إن صحتها متوعكة.' ثم نظــرت إلى الرجل نظرة فيها شيء من التحدى، وشيء من الرجاء له بــألا يعارضــها.' يمكننا التوقيع نيابة عنها.'

قال الرجل:'أنا لاأعتقد أنى أستطيع التوقيع .' وهنا حملقت أويو فى الرجــل وهى مندهشه ومحبطة. ولكن ذلك لم يستمر طويلا، وكان الأمر دقيقا جدًا.

قالت أويو: 'سوف أوقع أنا.'

بعد ذلك بقى الاثنان، الرجل وزوجته، ينتظران فى صمت عودة كــل مــن كومسون وزوجته. وبعد انتظار طويل عاد الاثنان. وركب الأربعة فــى الســيارة الكبيرة، وأدار السائق المحرك ثم إنطلق بالسيارة.

سأل كومسون السائق،'هل تعرف محل إقامة كويسى Kwesi أنان Anan؟

'نعم ،أعرفه.'

’حسن. إذن اذهب بنا إلى هناك أولاً.‘ ثم استدار كومسون إلى أويـو فـي مؤخرة السيارة ليشرح لها، ’كويسى أنان هذا هو كبير بحارة القارب.‘

كان ذلك البحار يعيش فى مكان قريب من ميناء الصيد، في غرفة واحدة فى نهاية بيت طويل من البيوت المنخفضة . كانت الغرفة مظلمة تمامًا إلى حـد أنـه عندما خرج من الغرفة ليحضر لمقابلتنا كان يحاول تعويد عينيه على ضوء الشفق الضعيف، وكان يقول شيئًا بصوت عال، شيء يفيد أنه كان يعرب عن أسفه لأنـه ليس لديه مكان يصطحب الزائرين إليه، وأن غرفته لم تكن غرفه على الإطـلاق، وإنما كانت مجرد مرحاض جرى تحويله إلى غرفة.

قال كومسون:’ حيى الهانم. فهى التى سوف تقوم على أمر القارب وتتـولى شئونه عندما لاأكون أنا هنا. إياك ونسيان ملامح وجهها.‘

أطال الشاب النظرإلى وجه أويو، ثم نظر أيضًا إلى وجـه الرجـل وأومـأ برأسه بعد ذلك علامة على الموافقة.

تساءل كومسون،’ أيها السائق، هل تعرف أين ذهبنا يوم الأحد الماضى؟‘

’نعم‘ أعرف ذلك.‘

’إذن، هيا بنا إلى هناك.‘

سارت السيارة فى هدوء على الطريق الساحلى. وكان مسير السيارة النـاعم يختلط مع الأصوات الناعمة الصادرة عن البحر وهو يفيض متدفقًا فوق الرمـال. أغلق الرجل عينيه، راحت الفكره تدور فى ذهنه كما لوكانت خيطًا من الـدوبارة، بأنه سوف يستحيل عليه النظر إلى تلك الأشياء المريحة ويشعر إزاءها بـالإزدراء والاحتقار. سيحس بالحسد، ولكن لن يحس إزاءها بالاحتقار. وعليه، كيف يمكـن للإنسان أن يقاوم الأشياء ويقاوم الأحياء الذين لم يتوقفوا قط عن تحريضه إلـى أن كل ماهو عدا ذلك لايهم، وأن الوسيلة ليست مهمة، وأن نهاية الحياة هى الحصول

على تلك الأشياء إذا كانت للذات،أو إن لم تكن للذات، إذن فهى تكون للأحباء،أو إن شئت فقل للأطفال. كل ماهوعدا ذلك لا يهم.

الفصل الثانى عشر

واقع الأمر أن القارب لم يترك ظلاً طويلاً على النحو الذى كان الرجل يخشاه ويخافه. من حين لآخر، وفى الأيام التى يهب فيها النسيم، تصادف أن الرجل، فى يوم من تلك الأيام، كان يتجول فى اتجاه ميناء الصيد، وشاهد الرجل القارب طافيا فوق سطح مياه البحر الزرقاء المائلة إلى الإخضرار، وقد نقشت على مقدمة القارب أحرف اسم ابنته الصغيرة: أميرة. فى كل مرة، كان الرجل يرى القارب خلالها، كان جمال ذلك القارب يغلبه على أمره. وعندها كان يعود إلى المنزل وكله رغبة فى التحدث مع أويو عن جمال القوارب التى كانت فى الميناء؛ كان ذلك الجمال طاغيًا، ولكن الرجل كان يعلم أن حديثه مع أويو عن هذا الموضوع سيسبب لها المزيد من الإحباط بدلاً من السعادة، وعليه آثر ألا يقول لها شيئًا عن مشاعره أو أفكاره.

كما أن المرأة العجوز بدا عليها بصورة متدرجة أنها أعفت نفسها من المعرفة التى مفادها أن ذلك الذى جاء به كومسون على أنه عرض عليها لم يكن ذلك القوس من أقواس قزح، الذى يمكن أن ينهى وإلى الأبد الظلام الذى خيم على حياتها وعلى حياة ابنتها. هذا الفهم، لم ينه بالفعل المرارة التى كانت تحسها تجاه الرجل. لقد عمق ذلك الفهم تلك المرارة، الأمر الذى جعل هذه المرأة العجوز لاتشك ولو للحظة واحدة أن الرجل كان يتمنى لها الإحباط وخيبه الأمل. كان الرجل، من ناحية، مقتنعًا بأن يلاحظ من جديد الكراهية التى طرأت على تلك المسكينة عندما كان يأتيهم نداء يطلب إليهم رفض الأقوياء. وهنا ظهر أن آمال أويو القديمة كانت على وشك الظهور مرة ثانية، ولكن بطريقه مذرية ويرثى لها. ولكن تلك الآمال ماتت هى الأخرى ولم يتخلف عنها سوى رماد. والذى حدث هو أن كومسون كان من حين لآخر، يتذكر أولئك الذين كان يفترض أنهم عيون وآذان العالم الذى يصيح، أولئك الذين هم مُلاَّك قاربه، ويرسل لهم واحدًا من سائقيه ومعه شىء من السمك لوالدة أويو أوحتى لأويو

نفسها. وحتى مع المعرفة التى أصابوها، كانت المرأتان ممنونتين للهدايا التى من هذا القبيل، إمتنانًا طفوليًا مشوبًا بآمال ورغبات غير واقعية.

عاد الرجل إلى منزله قادمًا من عمله وهو متعب وتعيس : قدمت لــه أويــو عشاءً مكون من السمك والكنكى، وبدأ الرجل تناول عشاءه بشهية مفتوحــة. ولكــن فجاة، كما لوكانت أويو تحركت بفعل شىء ما، لم تستطع المقاومة، وبالتــالى قالــت للرجل:' هذا السمك جاء مباشرة من قارب كومسون.'

لم يخطر ببال الرجل أى شىء حتى يقوله. كان هناك شىء ما يحيط بــالكلام الذى كان يملأ الإثنين بتوتر أكيد. وراح الرجل يلوك قطعة السمك فى فمه مرة بعــد أخرى إلى أن ضاع المذاق تمامًا.

'أولاً وقبل كل شىء ،لم يكن الأمر على ماهو عليه فقط، ولكن كانت هنــاك الإشارات بينهما.'

أحس الرجل بوخزة تحت لسانه. ووقف الرجل وترك الطاولة وقــال برقــة لزوجته: 'أرجوك ألا تطهى لى سمكًا بعد اليوم.'

كان مستحيلاً تحاشى النظرة التى كانت فى عينى أويو، إذ كانت قــد حولــت عينها ناحية الأسفل، إلى حد أن الضوء كان يلمع من فوق جبهتها والجزء العــريض من أنفها. وكان واضحًا أن طرفى فمها كانا يتحركان حركة رقيقة على نحو له علاقه كبيرة بالإشفاق على نفسها أكثر من كراهيتها للرجل. وهنا بدأ الإحســاس المخيــف بالوحدة يتملكه ويسيطر عليه وهو فى بيته، وخرج الرجل من البيــت وهــو يــائس حزين؛ كان ذلك الحزن لايقل عمقًا عن مفاجأته، وراح الرجل يبحث فى جوف الليل عن تلك اليد التى يمكن أن تمتد إليه لتلمسه وتجعله لايحس بغربته على الحياة التــى يحياها.

ولكن ذلك الإحساس لم يعاوده مطلقًا بعد تلك المرة، ووصل الأمر إلــى حــد استطاع عنده نسيان كل هذه الأشياء، هذا يعنى أنه نسى كل ذلك الذى حدث له. ربما

كان آل ـــ كومسون أنفسهم قد سئموا من مسألة ضرورة إرسال طرود السمك. ربما كان ذلك راجعًا إلى قيام أويو بإرسال تلك الطرود كلها إلى منزل أمها، التـــي كانـــت تبتلع مرارتها ولم تعد تكثر من الحضور إلى بيت زوج ابنتها، بحثا عن جذور ذلـــك الذى كانت تعانى منه. كان هناك، فى ذلك الوقت ،استعداد ورغبة بين الأحباء لقبول فشل المحبوب. ربما لايكون ذلك قد تسبب فى هرب السعادة واحتـــرام الـــذات،ولكن المؤكد أنه كان هناك شيئًا مريحًا فى أن الناس لم يعودوا غارقين فى توقع أشياء كبيرة من العجزة والمعاقين. وفيما عدا ذلك كانت الحياة مجرد حياة ليس إلا. كانت الحيـــاة شكل من الهياج بين الحين والآخر ثم نوبة من الهياج الطويل بعد مضى فترة طويلـــة من الزمن. ولكن فى تلك الفترة المتأخرة تمامًا كانت العين الفاحصة والأذن الصاغية كانتا تعرفان أفضل من الفكر أن طوفانًا يمكن أن يحدث ولاينتهـــى تاركًـــا الأمـــور والأشياء على ماكانت عليه. هنا عرف الرجل وأدرك أنه بدأ يفهم طبيعة تقـــدم كـــل واحد من البشر صوب القبر. فالآمال كلها عندما تتحول إلى إحباط وخيبة أمل، تصبح مقاومة المآل النهائى أمرًا لامفر منه.

حدث قدر كبير من الضوضاء، خلال فترة محددة، حول بعض التحريات التى كانت تهدف إلى تخليص تجارة البلاد من الفساد هل هم يزيدون أنفسهم فســـادًا علـــى فسادهم؟لم يكن هناك أى أحد مشغولاً أو مستثارًا من كل ذلك؛ هذا بالرغم من حـــديث الناس عن اللجنة المشكلة لذلك الغرض. كان رئيس تلك اللجنة أستاذًا مـــن جامعـــة ليجون. قالوا: إنه من جامعة ليجون حتى يضفى على الأمر جدية ويجعل له وزنًـــا. وفى النهاية كان يتردد فى الشوارع إن ذلك الذى كان ينبغى أن يحدث بالنسبه لتلـــك الأشياء قد حدث بالفعل. هذا يعنى أن الشبكة جرى نسجها بالطريقة الغانية الخاصـــة التى تسمح بمرور كبار الشخصيات الفاسدة من خلالها. هذه الشبكة لاتصطاد ســـوى الصغار أولئك الذين يمكن التخلى عنهم والتخلص منهم، عندما يحاولون القفز، أثناء عماهم وفقدان بصرهم، لتحقيق الوميض والارتياح من خلال الطريقة الوحيدة التى يمكن بها إتيان هذه الأشياء. فى حين كان كبار الفاسدين يطفـــون علـــى الســـطح

أحرارًا، شأنهم شأن الشعارات كلها. إنها الرشـوة والفسـاد. بنـاء الإشـتراكية. والمساواة. كل ذلك هراء فى هراء. وهنا يتعين على الإنسان أن يتخذ قرارًا مفـاده أنه لن يكون أمامه من شيء سوى اليأس، وأنه ليس هناك من سبيل إلى الخـروج من ذلك اليأس، اللهم إلا من طريق واحد فقط. الانتظار. وفى ذات الوقت يمكن أن تمضى الأيام على ماهى عليه إلى آجال طويلة. ، إن الإنسـان بوسـعه أن يـتعلم العيش أويتعايش مع أشياء كثير كثيرة قبل أن تـجئ النهاية. أشـياء كثيـرة بـل وكثيرة جداً.

الفصل الثالث عشر

فى الصباح الباكر غادر الرجل العالم المحيط بـــه واســتغرق بنفســه فـــى النموذج الخطى للسكة الحديد الذى كان معلقًا فوق الطاولة التى كانت أمامه. فـــى بعض الأحيان كان الرجل ينسى نفسه، بل وينسى كل شيء حوله ويكون اهتمامـــه كله منصبًا على العمل وحده، ويقوم بعمل كل ماهو ضرورى. لم يكن صــعبًا علـــى الرجل أن يتناسى الذات والعالم الذى كان يتعين عليـــه مواجهتــه. وفـــى أضــعف الأحوال، كان العمل نفسه واحدًا من الأشياء القليلة التى لايحيط بها الملل القاتل. كان هناك نوع محدد من الجمال فى مسألة التناسى اليومى للمتاهة المرسومة على اللوحة الورقية، كما كان الرجل يشعر بالرضا عندما ينظر إلى الخطــوط المرســومة بقلــم الرصاص وتوضح تداخل خطوط المحطات، والخطوط الزرقاء الخاصة بقطـــارات المنجنيز. هذا يعنى أن العمل لم يكن قائمًا على الرتابة، وهذا بحد ذاته كان أثرًا طيبًا.

فى بعض الأحيان كان الرجل يقوم برحلات قصيرة إلـــى غرفـــة الحـــوادث، ليوصل إلى كبار الموظفين هناك: بعض الملفات المطلوبـــة للتحقيـــق فـــى خـــروج القطارات عن الخط والأشياء التى من هذا القبيل. كان الرجل قد ذهب بالفعل للعمـــل فى ذلك المكان، بدلاً من رجل آخر قام بإجازه إلى الريف، وقام ذلك الرجل المجـــاز بتمديد إجازته عن طريق إرسال سلسلة طويلة من البرقيات يدعى فيها وفاة عشـــيرة بأسرها من أقاربه الواحد منهم تلو الآخر. كانت الوظيفة واحدة من وظائف الاستيفاء، واكتشف الرجل فيما بعد أنه كان يتعين كل يوم تصدير مالايقل عن ثلاثين رسالة كل يوم، لاينظر إليها فى أغلب الأحيان ولا تؤخذ بعين الاعتبار إذا ما امتلأ ملف واحـــد من البشر. العمل الحقيقى فى ذلك المكان لم يكن يتطلب سوى ثلاثة أرباع الســـاعة، وبعد ذلك كل مايفعله الموظف هو أن يجلس فى المكتب وهو يحس بالعرق يسيل على ظهره إلى أن يصل إلى الفراغ القريب من شرجه. وعندما عاد موظف الاستيفاء من إجازته الجنائزية الطويلة كان يبدو عليه البشر والسرور، وكان الرجل يرد على كـــل

أولئك الذين جاءوا ليشاطروه أحزانه، بابتسامة صغيرة، كما لوكان هو نفسه الذى وضع مشاطرتهم أحزانهم. حاول الرجل، فيما بعد، أن يفهم كيف استطاع ذلك الكاتب شغل يوم العمل بكامله بذلك العمل الصغير الذى أوكل إليه القيام به. وقد توصل ذلك الرجل إلى أن ذلك الكاتب كان لديه نظام عتيد يقوم بمقتضاه بتمديد عمله، وأنه كان يتبع ذلك النظام فى أحيان كثيرة، وأنه أصبح معتادًا على ذلك النظام إلى الحد الذى جعله ينسى أن القسم الأكبر من ذلك النظام كان مجرد مضيعة للوقت. قوائم أبجدية لانفع فيها ولاطائل من ورائها؛ وبحث يحاول من خلاله، وعن طريق العلامات البريدية معرفة الدقيقة المحددة إلى كان مفترضًا إرسال الرسالة عندها؛ تبييض القوائم كلها فى ورق نظيف، على أن تكون كل مرة بخط رشيق وجميل، بلا أى محو أوكشط: والذهاب إلى المرحاض بين الحين والآخر، وذلك كمجرد عادة وليس بحكم الضرورة.

غالبية الأعمال كانت من هذا القبيل ؛ كان الرجل على علم بذلك. أنهى الناس أيامًا طوالاً جالسين أمام طاولاتهم وكانوا مثل أى موظف حكومى، إذا ماجاءتهم امرأة من قرية من القرى كى تعرف منهم شيئًا عن هذه الأعمال، وإذا ما سألتهم سؤالاً مباشرًا عن ذلك الذى كانوا ينفقون الوقت فى عمله فإنهم كانوا يعجزون عن إعطائها إجابة حقيقية عن سؤالها. العمل هو العمل ليس إلا. لم يكن يهم مطلقًا عدم البت أو إنجاز هذه الأعمال.

ها هو وحده حاليًا. وكلما وجد نفسه وحيدًا وكلما أدرك هذه الوحدة، كان يعبر عن ذلك بصوت غريب. كان ذلك الصوت عإلى النبره، عال جدًا على نحو يصعب معه الاستماع إليه، واقع الأمر أن ذلك الصوت كان مسموعًا فقط لأن ذلك الذى يكون فى الأذن لايمكن ان يكون صمتًا كاملاً. كان الرجل يستمع إلى ذلك الصوت، وهو يتعجب حول ماإذا كان بوسعه تغيير ذلك الصوت إلى صوت أعلى من خلال التركيز عليه. وهنا دق جرس التليفون وقام الرجل بالرد عليه، مما أدى إلى قطع ذلك الصوت الوحيد.

لم يبدأ توافد هيئة العاملين الآخرين إلا بعد الساعة الثامنة. ولما كان الجميع لم يصلوا بعد الساعة السابعة والنصف، بمافى ذلك السعاة أيضًا، فقد راح الرجل يتعجب ويتساءل عن السبب الذى منعهم من المجيء فى الوقت المحدد، ولكنه سرعان ما أبعد ذلك الموضوع عن ذهنه. دخل واحد من هيئة العاملين كما لوكان شبحًا من الأشباح؛ دخل فى هدوء تام إلى حد أن الرجل لم يلاحظ مجيئه إلابعد مجيىء فرد آخر من العاملين. هذا العامل الآخر دخل وهو يصفر، وكان ذلك شيئًا غير عادى يحدث للمرة الأولى، بالرغم من أن هذا السلوك لم يزعج الرجل. ولكن الساعى الآخر هو الذى أسكت زميله. الساعى الثانى لم يتحمل الصمت فترة طويلة، ودارحول الرجل، وتنهد بصوت عال جدًا ثم قال متعجبًا: 'إى، آه من هذه الانقلابات'!'

لم يستدر الرجل، ولكنه سأل الساعى،'هل هناك ساع آخر؟'

'نعم، يارجل '

'فى إفريقيا أم فى أى مكان آخر؟'

'اليوم، اليوم ،هنا فى غانا'

وهنا خرج الساعى الآخر من الركن الذى كان يقبع فيه وانضم إلى الاثنين.' إذن انتما لم تسمعا؟'

قال الرجل:' فى وردية الصباح نحن لانتمكن من الاستماع إلى الأخبار.'

'لا أقصد أخبار الساعة السابعة من صباح هذا اليوم. هناك إعلان غريب قدمة رجل يحمل اسمًا غريبًا، ثم تلت الخبر موسيقى سوجا Soja . إنهم يقولون أنهم استولوا على السلطة.'

تساءل الرجل،' من الذى استولى على السلطة؟'

'رجال الجيش ورجال الشرطة.'

لم يقل الساعي شيئًا. حتى ذلك الساعي الذى دخل وهو يصفر كان يعتريه شيء من الخوف الذى ظهر فى عينيه، النظرة نفسها التى تبدو على الناس عندما لايكونون واثقين مما يفعلون، ويودون أن يتمكنوا من الادعاء بأن كل ماحدث كان عبارة عن نكته، إذا مادعت الضرورة. ذهن الرجل اعتراه شيء من التشتت. أولاً وقبل كل شيء ما الذى يعنيه كل ذلك؟ هذا رجل ، استطاع الوصول إلى السلطة والانتفاع بها لنفسه عن طريق أولئك الذين أحبوه ووثقوا به. هناك رجال استطاعوا الوصول إلى السلطة نفسها بمساعدة المواقع. ماذا يعنى كل ذلك؟

كبار الموظفين لم يحضروا إلى العمل. كان الخوف شيئًا كبيرًا فى حياواتهم، وكان مفهومًا أنهم يودون الانتظار إلى أن يحدث شيء من هذا القبيل. فى الإضراب الكبير ظن رجال كثيرون أن الفرصة الكبيره حانت تمامًا، واندفعوا ليقولوا: كيف أنهم قاوموا ذلك النظام الذى ظنوا أنه قد جرت الإطاحة به. وعندما جاءت الشرطة، فى نهاية الأمر، وسحبت الناس إلى السجون، وبعد أن عرف الجميع أنه لن يكون هناك تغيير، راح كثير من كبار الشخصيات يتحولون هنا وهناك وهم يخافون ويخشون من أن يكون أحد قد سمعهم فى الأيام الحمراء وأنه لايزال يتذكر الكلام الذى كانوا يقولونه.

جاء الموظفون الأصاغر الواحد بعد الآخر، وراح كل واحد منهم يضيف نتفة صغيرة، ولكن شديدة الوحشية إلى الأخبار المتيسرة. قالوا: إن كبار رجال الحزب ألقى القبض عليهم وأودعوا فيما يسمونه الحجز التحفظى _ الذى هو مصطلح واسم جديد لوضع الناس فى السجن بلا محاكمة. أناس جدد، رقصة قديمة. وبعد أن جاء كاتب المواعيد، حيا كل الحاضرين بصوت عال، وأضاف بنغمة توحى بقدر كبير من القناعة والرضا، ' ستكون هناك جماعة جديدة وستتفجر بفعل ثروات البلاد!' وسيكون رد الفعل على ذلك، مثلما هو حادث اليوم، الإختلاف وعدم الاتفاق والتردد المشوب بالقلق.

بعد أن أشرقت الشمس كان هناك صوت لشيء من الاضطراب فى الشارع. وهنا اندفع داخلا إلى المكتب رجل كان عضوًا فى نقابات العمال التابعين للحكومة التى جرت الإطاحة بها، وراح الرجل يتحدث عن الانقلاب وكأنه هو الذى قام به. ثم طلب من الناس الخروج من المكتب ويعربوا عن ولائهم لأولئك الذين استولوا على السلطة. وفى صمت يدل على عاروخزى الرجال لذين كانوا فى المكتب، خرجوا الواحد بعد الآخر لينضموا إلى الجماهير الموجودة فى الخارج. وفى ذات الوقت خرج الرجال من المكتب ليستمعوا إلى فسوات وضراط رجال الحزب.

لم يتحرك الرجل من أمام طاولته (مكتبه). ووقف الجديد القديم عضو النقابة العمالية يحملق فى الرجل ، ثم قال،' يابلدياتى، وماذا عنك أنت؟'

'نعم' ماذا عن ماذا'

'نحن كلنا مضربون ومتظاهرون.'

'هم يقولون ذلك. ولكنى لاأعرف شيئًا عن الرجال. ماهذا الذى سوف أتظاهر أوأضرب من أجله؟'

'انتبه، يابلدياتى ،إذا كنت لاتريد لنفسك المتاعب فأخرج إلى الشارع.'

'اذا ما اصطدمت سيارتان أثناء قيامي بالإضراب والتظاهر، فهل تتحمل أنت المسئولية'

قال عضوا التنظيم:'أوه، إذا كان التظاهر من أجل العمل فمرحبًا به، وأهلاً. ولكننا لن نطيق أى أحد من اتباع نيكروما فى الوقت الراهن.'

قال الرجل ببطئ: 'أنت تعرف،أنت تعرف من هم أتباع نيكروما الحقيقيين.'

استدار النقابى، أوإن شئت فقل عضو الاتحاد، ونزل كى ينضم إلى الجمهور. وتناهت أصوات هذا الجمع من البشر، إلى مسامع من هم فى المكتب من خلال النوافذ: أغانى قديمة مع تغيير كلماتها من الثناء على نكروما وامتداحه إلى لعنة

وسبِّه. وهذا هو حال غوغاء الحزب وضوضائه عندما لحس وعوده السابقة وحنث فيها وتحول إلى مكان عثر فيه الرجال السمان على أشياء تزيدهم سمنه على سمنتهم.ابتعدت تلك الضوضاء متجهه صوب التل، ومن ثم فإن هؤلاء الرجال الذين تبعوا مخاوفهم وراحوا يزيدونها، لم يعودوا إلى العمل طوال الفترة المتبقية من دوام ذلك اليوم. كان الوقت محفوفاً بهدوء استثار فى الرجل كل أفكاره عن حياته، مع صور ذهنية وأحاسيس مؤلمة، خلفت عنده إحساسا بضياع شيء منه إلى الأبد، ألا وهو الوحدة التى لايمكن للموت أن ينهيها.

جاء موظف الوردية المسائية متأخرًا دقائق قليلة. وبدا عليه أنه كان مشغولاً بشيء داخلى، ولم يقدم أية معلومات عن الانقلاب، اللهم باستثناء نظرة توحى بالحزن العميق والإحساس بالضياع. ولعله مثل بقية أصحاب المطامع كان يأمل فى تحقيق حلم شخصى عن الثراء المفاجئ، ولكن سقوط الحكومة القديمة أدى إلى اختفاء ذلك الحلم. ربما. كانت الشوارع هادئة جدًا. لم يكن فيها سوى جماعات صغيرة ، هنا أوهناك، لأناس كانوا يتكلمون، ولم يكن ضروريًا أن يتكلموا عن أشياء حدثت فى ذلك اليوم. فى موقف الحافلة، كان الناس يتكلمون، ولكن واقع الأمر أن أحدًا لم يكن يعرف أى شيء سوى حدوث نوع من التغيير، كما أن الكلام كان يكرر دهشة المتحدثين، ثم بعد ذلك أسئلة لاتنتهى عن ماهية الرجال الجدد، وذلك الذى سوف يفعلونه، وذلك الذى كانوا يفعلونه فى حقيقه الأمر . لم تكن هناك إجابات عن تلك الأسئله، بالرغم من زعم ذلك الذى شرب إلى أن تقيأ، الذى مفاده أن ذلك كله كان مجرد خطه شيطانيه من خطط نكروما، لإخراج الناس جميعًا إلى الشوارع، ثم يقوم بعد ذلك جنوده وشرطته بإلقاء القبض عليهم وإيداعهم السجون مثلما فعل ذلك من قبل. بالقرب من إيفا Effia نكوانتا Nkwanta توقفت الحافلة، واندفعت إلى الأمام امرأة كانت تحمل طفلاً على ذراعيها، وتصرخ قائلة إنهم كانوا على وشك ان يقتلوها هى وطفلها. فيما عدا ذلك لم يكن هناك شيء غير عادٍ، اللهم باستثناء أن المزيد من الصمت كان يخيم على المكان، كما لوكان الناس، قد أصبحوا فجأة

مشغولين وغارقين فى التفكير إلى حد أنهم لم يكونوا يرغبون فى شــحن الهــواء بضوضائهم الحياتية المعتادة. وعندما استدار الرجل على الطريق عائدًا إلى منزله، أحس الرجل بانفصاله تمامًا عن ذلك الذى كان يدور حوله. كان الرجــل يــود أن يعرف المزيد عن ذلك الذى يدور من حوله، ولكن ذلك يحتاج منه إلى وقت طويل، يضاف إلى ذلك أنه لم يكن محملاً بأية آمال بأن أشياء جديدة، أشياء جديده بحــق، كانت على وشك الحدوث. فى يوم مامن أيام المستقبل الطويل ربما ازدهرت حيــاة جديدة فى هذا البلد، ولكن هذه الحياة إذا ماجاءت فإنها لن تجعل من أولئــك الــذين اعتادوا على قتل الزهور الجديدة لن تجعل منهم أدوات لها. قــد تــأتى الفضــيلة المستقبلية بصورة متدرجة، ولكن قبل أن تجئ تلك أين كانت تلك الأشياء الحاضرة التى كان يتعين عليها تمهيد الطريق أمام هذه الحياة؟

عندما وصل الرجل إلى المنزل أحس بالسعادة، وكرجل سعيد لــم يصــعد درجات السلم الأربع الصغيرة التى تفضى إلى الشرفة، ولكنه كان يقفز أثناءمشيه، وكان ذهنه مشغولاً بالشباب وأيام المدرسة عندما كانــت تســطع الشــمس علــى الحقول.

اكتشف الرجل أن القفزة الوحيدة التى قفزها انتهت إلى اصطدامه بزوجتــه أويو. كانت أويو واقفه خارج باب الصالة بعد خروجها من داخل المنزل، وعنــدما تمكن الرجل من رؤية وجهها استنتج أنها كانت مضطربة ومشوشة. كان يبدو على أويو وكأن شيئًا هائلاً كان يقلقها ، ولكن الرجل استطاع أن يرى فى عينيها شــيئًا يمكن أن يعرفه على أنه نوع من أنواع الحب العميق، شيئًا من الاحتــرام الشــديد. واصل الرجل تحركه إلى الأمام إلى أن دفع زوجته إلى الخلــف بلطــف إلـــى أن وصلت إلى الجدار بجوار الباب. وبالرغم من أن الحركة والرقة المفاجئــة التــى كانت فى داخله، قد أدهشته، إلاأنه كان يعرف أن ذلك كان صحيحًا وصادقًا ، وهنا وضع الرجل أصابعه كلها خلال شعرها وأمسك برأسها، وراح يضــغط عليهــا،

موحيًا إليها برغبته فيها. رفعت عينيها بحركة رقيقة تنم عن عدم التصديق، وبــدت كما لوكانت فتاة صغيره خائفة من أن ترتكب نوعًا من الخطأ.

خرجت ديدى Deede، واتجهت مباشرة إلى المطبخ. كان مــن المســتحيل رؤية وجهها رؤية واضحة، ولكنها كانت تتحرك مثل طفلة مستاءً استياء كبيــرًا. نظر الرجل مرة ثانية إلى زوجته.

قال :' هيا بنا ندخل.'

قالت بنظرة شرسة:'إنه فى الداخل، كومسون.'

'متى جاء.'

'منذ حوالى ساعة، أوساعتين.'

'ولكن، لماذا جاء؟'

'إنهم يلقون القبض عليهم. هو يخشى أن يقتلوه. هذا أمر مريع.'

'أمسكت يده واقتادته إلى الداخل ، كما لوكان غريبًا جاء إلى بيتها، أوعشيقًا غير واثق من نفسه. كان أدولى Adoley هو وآيفى Ayivi نائمين فى الصــالة، متداخلان ومتشابكان كما لوكانا نوعًا من التوائم السيامية.

قالت أويو:'لقد أكلا.' ثم أشارت إليه وبلا ضرورة أن يدخل فــى هــدوى ودخلاهما الاثنان الغرفة الداخلية.

كانت الغرفة مظلمة تمامًا. وكانت الرائحة المنبعثة منها على نحو لم يســبق للرجل توقعه. كانت الرائحة نفاذة، كما لوأن غازًا طيارًا بدأ يتحول إلــى ســائل ، وراح يملأ جو الغرفة كلها، وكانت تلك الرائحة لاتهيج الأنف وحده، وإنما كانــت تلهب أيضًا الأنف من الداخل، وتلهب العينين والأذنين، والفم والحلق. كــان مــن الصعب فى بداية الأمر تحديد مكان كومسون فى الظلام ، وعليه اتجه الرجل إلــى مفتاح الإضاءة فى الجدار ليفتح النور.

كان كومسون جالسًا على السرير، خلف الستارة مباشرة. كان يبـــدو مثـــل رجل خائف من أن ينطق بكلمة واحدة تكون فيها نهايته. كان كومسون يرتدى بدلة من الصوف داكن اللون وقميصًا شديد البياض يصبح مشوبًا بزرقة خفيفــة عنــدما يسقط عليه الضوء، كما كان يرتدى أيضا رباط عنق أسود. كانت على أنفه نقـــاط صغيرة من العرق ، كانت تبدو كما لوكانت ستتساقط بعد لحظـــات. ولكـــن نقـــاط العرق لم تسقط. جلس كومسون متصلبًا فترة للحظات قليلة، مثل شخص يعرف أن الأمر غاية فى الأهميه!لايأتى أية حركة على الإطلاق. وببطئ ، وكما لوكان يفعل ذلك دون أن يسترعى انتباه المراقبين غير المرئيين، رفع كومسون عينيه فى اتجاه الضوء القادم من الأعلى، ثم راح ينظر متوسلاً إلى الرجل. وبعد أن اندهش الرجل تمامًا من ذلك التغير الذى طرأ على كومسون. وعلى أسلوبه، فشل الرجل فى فهم معنى نظره كومسون. وعلى الفور راح كومسون يؤشر بإشـــارات عبـــارة عـــن حركات سريعة توحى باليأس، وأشار فى بداية الأمر إلى النور، ثم بعد ذلـــك إلـــى النافذة المفتوحة وهو فى ذلك الجنون الصامت، نظرًا لأن الخوف كان ينبعث مـــن قطعة فى جسمه.

فهم الرجل حقيقة مايجرى. أطفأ النور. ثم انتقل بعد ذلك إلى النافذة، وسحب الشيش ثم أغلقه وهو يستنشق شيئا من الهواء النقى. كان ينتظر أن يقول كومسون له شيئا فى تلك اللحظة، ولكن التنفس غير الطبيعى لذلك الرجل الخـــائف ،جعـــل أنفاسه تتسارع من داخله، وتكسر صمت الحجرة وسكونها. وعنـــدما بـــدأت عينـــا الرجل تتعودان على الظلام، استطاع أن يتبين الرجل بياض عينى كومســـون فـــى فراغ وجهه الآسود. كانت عينا كومسون تتجهان صوب النافذة، بالرغم من أنهمـــا كانتا تنظران بين الحين والآخر وبسرعة جنونية نحو الباب، عندما كانت أية حركـــة أو أية ضوضاء تأتى من ذلك الاتجاه. بمرور الوقت أصبح من الممكن تمييز القميص الذى يرتديه كومسون، الذى كان يبدو وكأنه يعكس ضوءً خفيفًا من تلقاء نفسه. وذات مرة شاهد الرجل كومسون وهو يحملق فى مقدمة قميصه كما لوكان يرى فيها خطرًا

عليه. وعندما شاهد الرجل كومسون، عضو الحزب، وهو أمامه فى تلك اللحظه، وهو يتصرف كما لوكان محاصرًا بأشياء معادية، وكان يتخوف من كل لحظه قادمة مخافة أن تكون هى اللحظه الأخيرة من لحظات حياته، عندما رأى الرجل كل ذلك تذكر الزيارة الأخيرة وراح يتعجب من ذلك التناقض الكبير بين اللحظة الراهنة وتلك الثقه الزائدة عن الحد التى كان كومسون يتمتع بها فى الأيام الماضيه. كان من الخطأ، كل الخطأ أن يفكر الرجل بهذه الطريقه، وأن التغيير لايأتى بشىء جديد. فى حياة الأمه نفسها، قد لايحدث شىء جديد. كل مافى الأمر أن رجالاً جددًا يأخذوا زمام السلطة فى أيديهم ويروحون يسرقون ثروات الأمة ويستعملونها فى إشباع احتياجاتهم الخاصة. هذا كان أمرًا منتظر بطبيعة الحال إناس جدد سوف يمسكون بزمام السلطة فى البلاد ليستعملونها فى التخلص من الرجال والنساء الذين يتملقونهم. لن يكون هناك أى خلاف على ذلك. سيكون ذلك استمرارًا لأسلوب الحياة فى غانا. ولكن هنا يكمن التغيير الحقيقى. هذا هو فرد من الذين كانت السلطة فى أيديهم يرتعد حاليًا، ورأسه عامر بالخوف والفزع من أن يثأر منه أولئك الذين أضربهم وأخطأ فى حقهم. بالنسبه له سوف يتغير كل شىء. أمابالنسبه لأولئك الذين من أمثاله، أولئك الذين سمنوا بفعل التغنى بمدح رئيسهم ؛ وبالنسبه أيضًا لأولئك الذين كانوا يعدون أنفسهم للتمتع بالحظوة والرضى عنهم، بالنسبه لهؤلاء وأولئك فإنهم تنتظرهم أيام طويلة من الألم والمعاناة. هؤلاء المتملقون بسياراتهم المرسيدس البيضاء سوف يتعين عليهم البحث عن الطرق التى يستطيعون بها دفن الكلمات والشعارات القديمة. أما أولئك الذين ثاروا على السلطة القديمة فسوف يستشعرون قدرًا كبيرًا من السعادة. أما فيما يتعلق بالأمة نفسها فسيكون هناك تغيير واستبدال للمختلسين وتغيير أيضًا فى الصيادين وفى الطرائد. ابتعاد عن عالم تلكم الأيام التى كان المعلم Teacher لايزال ينظر إليها، تلك الأيام التى لم يكن الأقوياء خلالها يفكرون إلا فى استغلال الشعب كله من أجل ملئ بطونهم. أيام لاتنتهى، أيام رتيبة، تمتد إلى المستقبل ولا تبدو لها نهاية فى القريب أوالبعيد.

كانت الضوضاء تنبعث من المكان الذى كان كومسون جالسًا فيه. يبدو أنه قال شيئًا، ولكن الرجل لم يفهم ذلك الشيء.

تساءل الرجل، ' هل قلت شيئًا؟' وسرعان ماشاهد الرجل كومسون وهو ينكمش كما لوكان يخشى أن مجرد الصوت العادى يمكن أن يخونه ويودى بحياته. وهنا انغلقت العينان اللامعتان مدة لحظة، وعندما انفتحت العينان مرة أخرى، بدا أن كومسون قد تخلص من خوفه واتكأ كومسون إلى الأمام وراح يهمس فى وجه الرجل، 'سيقتلونى.'

كانت تفوح من فمه رائحه مماثلة لرائحة دم الحيض عند المرأة. كتم الرجل أنفاسه إلى أن تزول الرائحة الجديدة التى اختلطت برائحة ضراط وفسا رجل الحزب التى كانت تملأ جو الحجرة. فى الوقت نفسه كان جوف كومسون يزمجر زمجرات أطول من المعتاد، هذا هو فعل فسوة داخلية؛ بدت بعد اكتمالها كما لوكانت قد تدحرجت على طول الطريق من بداية الزور، وهى ترعد خلال البطن ومنها إلى الأمعاء، لتنتهى بعد ذلك إلى تلويث صامت للهواء الملوث فعلاً بفعل الخوف الشديد. كانت أويو ماتزال صامته طول الوقت، وهى واقفه بجوار الباب. ولكنها الآن، وبصوت متحشرج، انسحبت داخله إلى الصالة الخارجية.

كان الرجل نفسه تسيطر عليه فكرة واحدة؛ هى أن يخرج من هذه الحجرة. ولكن كومسون كان لايزال جالسًا فى السرير، وجسمه ممدد كما لوكانت رغبته الوحيدة تتمثل فى أن يصبح جسمه أصغر مماهو عليه، حتى يمكن أن يختفى إذا ما كان الاختفاء أمرًا ممكنًا.

همس كومسون مرة ثانية، 'سيأتون إلى هنا.' هنا حرص الرجل على أن يسحب رأسه بعيدًا عن متناول أنفاس رجل الحزب. ماتزال موجات تلك الرائحة النفاذه تتردد بعد أن قلت بعض الشيء. كان الرجل يتمنى لو أن كومسون أخرس فجأه وتوقف عن الكلام، ولكن الصمت كان مستحيلاً فى مثل هذا الظرف.

تساءل الرجل،' هل رآك أحد وأنت قادم إلى هنا؟'

أجاب كومسون،' أنا لاأعرف.' ثم أردف قائلاً بعد لحظة:' أعتقد ذلك.'

خطر ببال الرجل أنه سوف يتقيأ إذا لم يخرج من جو هذه الغرفة ويتحاشى تلك الرائحة العنيفة. ولما كان الرجل يتطلع إلى اختلاس نفس واحد من الهواء النقى، فقد تحرك فى اتجاه النافذة. ولكنه عندما استعد لفتح الشيش، محاولاً عدم إزعاج كومسون، سمع همهمة تنم عن الضيق والكرب العظيم. ترك الرجل النافذة وعاد له ليجلس إلى جوار الوزير الهارب، محافظًا على مسافة قصيرة فيما بينه وبين الآخر، فكر الرجل بشيء من الدهشة فى عجزه الكامل عن التأثر بمشاعر ومخاوف الشخص الموجود إلى جواره. كان الرجل مدركًا تمامًا لقلقه الشديد وواعيًا به، بالإضافه إلى شيء من الاستياء، الذى كان صغيرًا فى بداية الأمر ثم بدأ يكبر بعد ذلك مع مرور اللحظات، إلى حد أنه كان يرى أن رجل الحزب لابد أنه تراوده رغبة شديدة فى الاقتراب منه. ولكن الرائحة كانت لاتطاق .

تساءل الرجل،'هل تريد أن تستحم؟'

قال كومسون بصورة قاطعة، وعيناه تتحركان. وهو يهز رأسه:' أوه لا، لا،لا.'

قال الرجل :' حسن، حسن.، وهو يحس وكأنه سيموت من تلك الرائحة.'إذن،هل تود الذهاب إلى المرحاض أولاً؟'

تلت ذلك فترة صمت طويل. ثم سمع الرجل كومسون وهو يتنهد تنهيدة إنسان مضطهد قبل أن يقول:' أنا لا أريد ذلك.'

قال الرجل :'حسن، حسن.' كانت الرائحة لاتطاق بحق.

ومن باب الرجاء للرجل ألايزعج هاربًا مسكينًا بهذه الأسئلة القاسية، تنهد كومسون من جديد، تنهيده طويلة، تنهيدة بطيئة تنم عن معاناته بشكل واضح. وحتى

التنهيدة الصادرة عنه كانت تزيد هواء الغرفة فسادًا على فساده. وحاول مرة ثانيـــة، بحثًا عن مخرج أى مخرج.

تساءل الرجل، 'هل أكلت؟'

'لا.'

كان الصوت الصادر عن كومسون مفعمًا بالأمل. وهنا قفز الرجل واقفًا.

قال:'سوف أحضر أويو لتجيء إليك بشــىء مــن الطعــام.' ودون انتظـــار للحصول على الرد، ألقى الرجل بنفسه فى الصالة وراح يستقبل الهواء علـــى شـــكل شهيق طويل.

كانت ديدى لم تنم بعد. كانت جالسة على الأرض ، فى ركن بجوار الطاولـــة، ويبدو عليها التعب والإرهاق. كانت أويو جالسة إلى الطاولة الكبيرة، وتطيل النظـــر إلى سطح تلك الطاولة. وقفت عندما رأت الرجل، وعندما اقترب منها تمامًا همســـت فى أذنه ،' كيف حال رائحته '

قال الرجل محاولاً أن يبدو عاديًا:'إنه الخوف. إنه يقول إنه جوعان. ما الـــذى عندك من الطعام؟'

'أوه، وأنت نفسك، أنت لم تأكل شيئًا.'

قال الرجل :' أنا لاأحس بالجوع. ولكن يتعين علينا أن نقدم له شيئًا يأكله.'

اقتادت أويو زوجها إلى المطبخ. كانت النار لاتزال مشتعلة فى موقد الفحـــم. بعد أن أزالت الرماد وضعت المزيد من الفحم فوق لنار. ثم راحت تمروح على النار إلى أن زاد اشتعالها، ثم راحت بعد ذلك تسخن طعام الرجل. حمل الرجـــل الطعـــام وأدخله إلى عضو الحزب الجائع.

راح كومسون يأكل فى الظلام. كانت الرؤية لاتزال شاقه نظرًا لأن كومسون لم يكن يرغب فى أن يكون الباب مفتوحًا. كانت الأصوات الصادرة عن كومسون هى

وحدها التى توحى للرجل بالنهم الذى كان عليه كومسون أثناء تناول الطعام. كانــت الاصوات كلها توحى بالجوع والنهم الشديد، أصوات المص الصـــادر عـن رجــل متعجل يدفع الطعام ، فى الظلام، نحو وجهه. يبدو أن مخاوف الرجل هى التى زادت من إحساسه بالجوع وفتحت شهيته . وهنا أصبح بوسع الرجل ان يتــرك كومســون وحده.

عاد الرجل إلى الصالة ووقف ساكنا بجوار أويو. أمسكت أويو بيــده إمســاكا محكما. ثم همست أويو بعد ذلك فى صوت متهدج،' أنا سعيدة لأنك لم تكــن مطلقــا مثيلا له.'

كانت عينا أويو تشعان بالاعتراف الحقيقى بالجميل والشكر والامتنان. وربما ولأول مرة، على امتداد حياتهما الزوجية، يصدق الرجل أن أويو كانت ســعيدة بــه بالشكل الذى هو عليه. رد الرجل على ضغط يديها بضغط مماثل، ثم تركها بعد ذلك تذهب إلى كومسون بكوب من الماء.

مد كومسون يده ليتناول كوب الماء. أحدث الماء صوتًا أجوفًا بينما كان ينزل داخل بطنه، وأعقب نزول الماء أن تجشأ الرجل من داخل حلقه.

فى هذه اللحظة سقط الضوء على ستارة الشباك؛ كان ذلك الضوء لفترة وجيزة جدًا، وكان صادرًا عن سيارة كانت تمر فى الشارع. سمع الرجــل أنينًــا متخفضًــا صادرا عن كومسون، ثم اختفى بعد ذلك صوت المركبة، ليحل محله صوت أحذيــه وهى تدوس سطح الطريق. كانت أصوات الأحذية توحى بأنها كانت خطوات إيقاعيه على وتيرة واحدة.

قال كومسون:' إنهم قادمون.'

كانت أصوات كلمات كومسون هادئه فى الظلام، ولكنه بعد أن أنهى كلامــه، كان يقف إلى جوار الرجل ويمسك به كما لوكان طفلاً خائفًا. ودون أن يقول شــيئًا، أمسك الرجل بتلك الذراع المرتعشة وجذبها برفق ناحيته.

كانت ديدى لاتزال نائمة فى الصالة، وكان يبدو على أويو أن الخوف وحـــده هو الذى أبقى عليها مستيقظة. كان واضحًا أن أويو فهمت تلك الضوضاء التى كانت خارج المنزل، وهذا الفهم عمق شكوكها إلى حد الرعب. وأشار الرجل إليهـــا بـــألا تتحرك.

قال: ' قولى،أنى خرجت من المنزل، منذ فترة قصيرة. وأنك لاتعرفين المكان الذى ذهبت إليه. لاتقولى أى شىء عنه.' وأومأت أويو برأسها فى شىء من التردد.

تحرك كومسون مثل رجل مسلوب الإرادة. كان على الرجل أن يسحبه خلـــف الأبواب الأخرى وعلى المنطقة المبتلة حول الحمام، ليـــدخل بـــه بعـــد ذلـــك إلـــى المرحاض. هذه هى الرائحة الخانقة تنبعث من جديد، وتجعل الرجل يفكر من جديـــد فى جسميات الغائط التى تشكل رقصة مختلطة مع قطرات البول الراكده الموجـــودة فى فتحات المرحاض الصغير.

أقفل الرجل الباب وأوصده بالمزلاج، ثم أضاء الرجل النور الصـــغير. كـــان كومسون ينظر إلى السقف نظرة تشبه الغوث. ولكن لم يكن هنـــاك مـــايراه ســـوى الأسمنت الذى سبق دهانه باللون الأصفر، الذى أسود فـــى بعـــض أجزائـــه بســـبب الشموع التى كان يوقدها المصابون بالإمساك عند منتصف الليـــل إذا مـــا احتـــرق المصباح الصغير. شاهد الرجل كومسون وهو يخفض بصره وينظر ناحية اليســـار إلى النافذة الموجودة أعلى كرسى المرحاض. كانت النافذة تؤدى إلى خارج المنزل، ومنها إلى خارج الفناء، وكانت النافذة وسيعة على نحو يسمح لرجل بـــالمرور مـــن خلالها، حتى ولوكان ذلك الرجل فى حجم كومسون. ولكن فتحة الشباك كـــان فيهـــا ثلاثة أسياخ من الحديد مركبة فيها. هذه الأسياخ لم تعد ضرورية، وهى متينة بشـــكل كبير. وراح كومسون يتعرق فى ملابسه كلها، وراح ينظر نظرة إشفاق فـــى وجـــه الرجل.

نظر الرجل مطرقًا إلى مقعد الصندوق الخشبى المركب فوق المرحاض. كانت فتحة التغوط، كالعادة مغطاة بقشرة من الغائط القديم. من حين لآخر، كان واحدًا من المستعملين المشمئزين يقوم فى يوم من الأيام بتنظيف المقعد تنظيفًا جيدًا . ولكن العملية التى من هذا القبيل تكون نادرة جدًا، فى معظم الأوقات كان الشخص الذى يدخل المرحاض يقنع بحماية شرجه بقطعه من ورق الصحف يستعملها فى تنظيف الشرج بعد الانتهاء من التغوط.

قال الرجل: 'تستطيع الخروج من هنا.' وأردف مؤكدًا' إذا كنت أنت تود ذلك.'

تساءل كومسون، وهو يشير إلى فتحة التبرز. وصوته يوحى باليأس، 'هنا؟'

أمسك الرجل بطرف من طرفى مقعد الصندوق وأشار إلى الطرف الآخر بحركة من يده. وتبعه كومسون، ثم أمسك بالطرف الحر من الصندوق. وجذب الاثنان الصندوق محاولان تقريبه من الجدار.

ولكن الصندوق لم يتحرك.

اقترب الرجل من الصندوق ليطيل النظر إليه وتبين مدى التصاقه بالحائط أو قربه منها. كانت قاعدة الصندوق مثبتة بمسامير فى المبانى وهنا نظر الرجل إلى كومسون.

قال: 'بوسعنا أن نحاول من جديد، ولكن كومسون كان هادئا جدًا.

أدخل الرجل يده السرى خلال فتحة التغوط.

قال: 'ساعدنى على دفع العلبة إلى الأجناب.'

استغرق كومسون شيئًا من الوقت وبعد ذلك اتخذ قراره، إذ وجد فى النهاية أنه مثل من يحضر جنازته بنفسه، ولذلك أدخل يده فى الناحية الأخرى ولمس الإناء. ونقلا القاعدة إلى أحد الأجناب. لمس الوعاء، كان فيه شىء غير متوقع او منتظر

تمامًا. كانت القاعدة باردة تمامًا ، ولكنها لم تكن مبتلة تمامًا أوزلقة. بــدت القاعــدة وكأن عددًا كبيرًا من قطرات صغيرة كانت قد جفت فوق الوعاء منذ فترات طويلـــة ولكنها لم تصل إلى حد الجفاف الكامل. وعندما رفعا الإناء نفسه تبخرت رائحة جديدة صاعدة إلى الأعلى فى اتجاه الوجهين الموجودين أعلا الفتحة. كانت الرائحة تطـــاق فى هذه المرة. كانت الرائحة تشبه رائحة الطين أو الوحل المتخمر. وهنـــا انـــدفعت فراشة كبيرة، لامعة اللون ولونها بنى داكن، اندفعت طـــائرة مـــن تحـــت الوعـــاء، واصطدمت بقميص كومسون الأبيض من الأمام ثم سقطت على قمة قاعدة المرحاض قبل أن تزحف مبتعدة وداخلة فى أحد الشروخ على الجنب.

قال الرجل:' سوف يتعين علينا الخروج من فتحة المرحاض.' ولكن كومسون لم يرد على ماقاله الرجل.

قال الرجل: 'اخرج أنت أولاً.' وجد لزامًا عليه أن يضيف شيئًا آخرًا من قبيل الشرح، وعليه قال: 'إذا جاءوا...'

توقف كومسون فى مكانه.

' امض، امض أيها الرجل.'

يبدوأن الصيحة أيقظت كومسون وجاءت به من مكان بعيدة . نظر إلى الفتحة وهو ينتظره بإحساس الرجل المنهزم، ثم وضع يديه ساندًا إياهمـــا علـــى الصـــندوق استعداد لانزال قدميه فى الحفرة.

هز الرجل رأسه.

قال الرجل بهدوء: 'لن تستطيع المرور بهذه الطريقة. ســـوف تنحشـــر فـــى الحفرة.'

كان كومسون مترددًا. لم يخطر بباله أن هناك شيئًا غير ذلك يمكن أن يفعلـــه حاليًا.

قال الرجل:' ادخل برأسك أولاً. هذه هي الطريقة الوحيدة.'

ظهر الاشمئزاز جليًا على وجه كومسون، وراح الرجل يقاوم امتناعه السابق. في الخارج، في فناءالمنزل تعالت الأصوات وتزايدت. الأبواب كانت تطرق ويجرى فتحها، وهذه أصوات متطفلة تريد أن تعرف شيئًا أوآخرًا، وتلك أصوات ناعمة تـــرد وهى مملوءة خوفًا، وتلك خطوت ثقيله فوق الأرضة المصـــنوعة مـــن الأســـمنت، أرضية الفناء. وفجأه كان هناك صوت وحشى لباب فتح عنوة استجابة لشيء صـــلب وثقيل.

خلى وجه كومسون من الاشمئزاز، وعاد إليه التصميم . وبقشعريرة صـــغيرة أحنى الرجل رأسه إلى أن أصبحت بمحاذاة الفتحة، تمامًا دس رأسه بعد ذلك بحركـــة سريعة خلال الفتحة. كان الرجل قدأوشك أن يسعل عندما كان يحاول حشر كتفيه إلى أسفل، ثم توقفت الحركة بعد ذلك . كانت الضوضاء فى الخارج قـــد بـــدأت تتزايـــد وتعلو، وكان الرجلان قريبين من بعضهما تمامًا. هذه أصوات المفتشين تتزايد وتعلو، وكان يبدو عليهم الغضب.

شاهد الرجل عضو الحزب وهو يرفس برجليه رفسًا جنونيًا. وعلـــى الفـــور أمسك الرجل برجليه وراح يجرها بكل قوته. واصـــطدمت رأس كومســـون بحافـــة الفتحة أثناء خروجه منها.

وبدون أى كلام، سارع الرجل وأمسك بسترة كومسون وأبعدها عن المكـــان. وخلع كومسون رباط العنق. ثم دخل فى الحفرة مرة ثانية، وعاد الاشمئزاز إليه مرة ثانية.

فى هذه المرة انزلق جسم كومسون خلال الفتحة إلى الكتفين. ولكن عند الحزام كانت هناك عقبة أخرى. نظر الرجل إلى الفتحة مرة ثانية، ولكن كان مـــايزال فيهـــا متسع. ربما كانت فتحة المرحاض مسدودة من الخارج. الباب الخشبى الـــذى يـــؤمن الفتحة من الخارج عادة مايكون صغيرًا ويمكن كسره بمجرد ضغطة صغيرةً.

صاح الرجلط "اضغط ." قالها الرجل قبل أن يفكر في اقتراب المفتش والباحثين، أوبمعنى آخر لم يخطر بباله أن رفيقه يمكن لا يسمعه بأى حال من الأحوال. ثم صعد الرجل بهدوء فوق المقعد، وأمسك برجلى كومسون وأنزلهما نحو الأسفل . كان يسمع كومسون كما لوكان رجلاً يتغوط، ثم تلى ذلك صوت طويل كما لوكان يتقيأ فى الأسفل داخل فتحة المرحاض. ولكن الرجل دفع الرجلين أكثر فأكثر . ثم جاءت بعد ذلك اندفاعه من الهواء متجهه إلى أعلى لتخبرة أن رأس رجل الحزب قد وصل إلى خارج الفتحة. وهنا انسحب الجسم بهدوء وهنا استعد الرجل للنزول إلى الحفرة .

كانت يداه تلامسان كرات صغيرة من الطين كانت تشبه قطع الطين المتخلفة عن الديدان. كانت رائحة الفراش تقاوم رائحة الانسان، وكانت مخلفات الفراش تلتصق بكوع الرجل ويزحف خلال صندوق قاعدة المرحاض. هذا شيء زلق رطب التصق فى يده اليمنى. وسرعان ماتذكر صوت القئ الذى أصاب كومسون داخل الفتحة. كان الباب الصغير مفتوحا. وخرج الرجل برأسه من ذلك الباب الصغير، واسترخى بعد أن خرج جسمه من الفتحه. كان الهواء منعشًا خارج الفتحة . كانت السماء خالية من القمر ومن النجوم، بالرغم من وجود ضوء مشتت مما جعل الرجل يظن أن القمر محجوب مؤقتًا.

كان كومسون مستلقيًا بجانب الرجل فى الحارة الخلفية التى تقع خلف المرحاض. أمسكه الرجل ورفعه. وسار معه خلال الحارات الموجودة فى المنطقة، وكانا يبتعدان عن الشوارع التى يحتمل أن يلتقيا فيها بالناس.

الفصل الرابع عشر

مشى الرجلان فى اتجاه ميناء الصيد فى اتجاه الشرق. سارا فى الحوارى الضيقة بين الجدران المحيطه ببيوت الناس، وكانوا يمرون على كثير من فتحات المراحيض بميازيبها الصغيرة التى يجرى فيها ذلك السائل الأسود الذى تفوح رائحته حتى فى ظلام الليل، مخلوطات قديمة من البول ومن البراز. كانا يمشيان بجوار دائرة المراحيض البشرية طوال حياتهما. هذا صبى صغير جدًا، كان متأخرًا إلى تلك الساعة من الليل، مر عليهما أثناء سيرهما فى الحارة. سارع الصبى بالابتعاد عنهما، ثم وقف على بعد مسافة آمنة منهما، وصاح صيحة عالية وطويلة تعبر عن التقزز والاستياء. 'خيييه!' ثم جرى بعيدًا عن هذين الكبيرين واختفى عند أول منعطف من المنعطفات.

مع انتهاء منطقة المنازل وصل الرجلان إلى أرض فسيحة. جرت العادة، أن السائر عندما ينظر إلى هذه الارض الفسيحة من الطريق، يراها خاليه. ولكن الرجلان اللذان كانا يسيران فيها حاليًا، واللذان كانا يتحاشيان مقابلة الناس مصادفة على الطريق، كانا يريان تلك الارض الفسيحة وكأنها مكونة من جذوع أشجار وحفر وتلال. كان كومسون يمشى كما لوكان شيئًا خشبيًا ، إذ لم يكن يعبأ أو يهتم بمقصده، كان يمشى مثل مخلوق لم يعد للدنيا وجود فى حياته.

بالقرب من منتصف تلك الأرض الفسيحة كان هناك الميزاب واسع ومنبسط لكنه غير مبطن بالأسمنت، وهنا وجد أن من الأوفق تحاشى ذلك الميزاب وذلك عن طريق الاتجاه صوب موقف الحافلة مباشرة، نظرًا لأن الميزاب يتجه غربًا داخلاً أسفل جسر خشبى صغير، ليواصل مسيره موازيًا للطريق. ولكن الرجل شاهد أشكالاً غامضة لمجموعة صغيرة من الرجال كانوا ينتظرون أشباح مهمله عند محطة الحافلة، وربما كانوا ينتظرون واحدة من المركبات الليلية الصغيرة. وعليه أمسك الرجل ذراع كومسون وعبراهما الاثنان ذلك الميزاب، وكانت

أقدامهما تغوص بين الحين والآخر فى بعض الأماكن الطرية فى قـاع الميـزاب، وعلى الجانب الأخر من الميزاب راحا يضربان الأرض بأقدامهما لكى يتخلصا من الوحل الذى علق بها.

كانت العلب الصفيح التى فى طريقهم مملوء بالوحل المكتنز، وكانـت تلـك الصفائح متعفنة بفعل الصدأ إلى حد أن الصوت الذى كان ينتج عنها، إذا ما رفسها أحد بقدمه، صوتًا كئيبًا وغير رنان. فى بعض الأحيان، كان ذلك الذى يرفس بالقدم عبارة عن قطع من المبردات المشروخة التى امتلأت هى الأخرى بالوحل، وقطـع صغيرة من الفخار الذى كان يتكسر تحت الأقدام. فى بعض الأحيان كانـت تهـب رائحة خانقة صادرة عن رماد ناعم يشبه المسحوق مختلط برماد ناعم.

كان نور القمر قد بدأ ينبعث بشكل غير واضح من مكان ما . كان الهـواء شديد الحرارة لزيادة بخار الماء فيه، الأمر الذى كان يجعل أضواء الشوارع خافتة وغير واضحة، بحيث كان كل ضوء يظهر على حده. هذا السكون وهذا البلل كان يتبدد فى بعض الأحيان بفعل هبة ريح قصيرة كانت تأتى من البحر الذى كان يقـع على بعد مسافة طويلة فى الجهه اليمنى. مع مثل تلك اللحظات كان الرجل يخطـو خطوات سهلة ويروح يستنشق الهواء استنشاقًا عميقًا، ذلك الهواء الذى كان يسـر خاطر الرجل لخلوه من المواد المتحللة والعفن.

عند الجسر الكبير كان هناك شىء يبدو كما لوكان مركبـة معتمـة اللـون وأنوارها الخلفية حمراء اللون. كانت تلك المركبة من بعد تبدو مثل واحـدة مـن سيارات الشرطة. وعندما اقترب الرجلان من تلك المركبة شاهدا أربعة أشـخاص يتحركون هنا وهناك حول السيارة. ومرت عليهما سيارة لورى يحـدث عادمهـا ضجيجًا كبيرًا، وشاهدا السيارة تقف عند الجسر. ومضى بعض الوقت قبل أن تبدأ السيارة التحرك مرة ثانية.

قال الرجل، وهو يضع يده على ذراع كومسون، 'هذه نقطة تفتيش شرطية.' تصلب كومسون للحظات، ويبدو أن المعرفة كانت قد تسللت لتختلط بحيرته وارتباكه، مما جعله يتعثر في مشيه من جديد.

قال الرجل لرفيقه: ' فلنسلك هذا الطريق.' ولكن كومسون واصل المسير في اتجاه نقطة التفتيش الموجودة على الطريق. وعلى الفور انحرف الرجل عن الطريق وأخذ معه كومسون. وبعد أن هبطا منحدر تحول الطريق إلى طريق عامر بالزلط وبالحشائش الشوكيه. مشى الرجل ببطئ، واضعًا فى اعتباره الجماعة التى كانت واقفه عند الجسر. لم يكن الضوء قويًا، ولكنه كان كافيًا لاكتشاف أى تحرك من مسافة بعيدة.

بعد الزلط جاء التراب الخشن الذى كان يسبق الرمل، ثم بدأ الرمل بعد ذلك. كانت أمواج البحر ناعمة وبلا صوت أوضوضاء، كانت تأتى من مسافة بعيدة فى البحر وتتكسر على شكل خطوط ناعمة طويلة تبعد أقدامًا قليلة عن الشاطئ _ متحولة إلى موجات صغيرة لطيفة فى جوف الليل.

راح الرجل يسحب رفيقه خلفه برفق إلى أن وصلا إلى حافة البحر، ثم استدار يسارًا مرة ثانية وراح الرجل يمشى بحرص مع صاحبه على شاطئ البحر. وعندما اقتربا من الجسر الموجودعلى اليسار، كان الرجل ينحنى من وقت لآخر ليلتقط حصوة ويلقى بها فى البحر بطريقة عشوائية. لم تكن هناك أية ضوضاء على الإطلاق أثناء مرورهما على الجسر، اللهم إلا الصوت المتخلف عن الأمواج بعد انكسارها على الشاطئ وانحسارها عنه، ثم اصطدامها بكتلة من الخشب كانت على الشاطئ – لم تمر عليهما أية سيارة من أى نوع كان.

عندما وصل الرجلان إلى بداية حاجز الأمواج كان الجسر، بحد ذاته، يبدو لهما كما لوكان يبعد عنهما مسافة كبيرة. وسرعان ماحالت الصخور الضخمة التى جرى إلقاؤها لتكون حاجز الأمواج، بينهما وبين المضى قدمًا على شاطئ البحر.

أمسك الرجل بيد كومسون وراح يعينه على المشى فوق الصخور إلـى أن وصلا إلى قاعدة حاجز الأمواج. ثم أوضح لرفيقه مايمكن أن يفعله، وطلب منه المشى فى ذلك المكان المنخفض حتى لايرى أحد السائرين على الطريق رأسه، ومضيا قدمًا على الأرض الخرسانية. كانت الأصوات الناعمة الصادرة عن حركه مياه البحر الموجود على الجانب الأيمن تغطى على الأصوات الصادرة عن الطريق الموجود على الجانب الأيسر والناتجة عن المركبات التى كان سائقوها يقودوها بسرعة عالية.

أبقى الرجلان على رأسيهما منخفضان، وراحا يمشيان فى المنحنى إلى أن وصلا إلى النقطة التى يبتعد الطريق عندها عن الشاطئ والتى انتهى عندها أيضا حاجز الأمواج ليصبح على شكل كتلة من الأحجار وشكائر الأسمنت المتحجرة. وهنا أيضًا واصل الرجلان مسيرهما على الشاطئ.

بالقرب من منطقة أنافوAnafo اقتاد الرجل كومسون وجعله يمشى فى الشارع أولاً ثم بعد ذلك راحا يمشيان فى الحارات الصغيرة المتربة فى المنطقة المجاورة لمنطقة أنافو.

قال الرجل: 'أنت تعرف منزل المراكبى أفضل منى. ويتعين عليك أن تقوم بتوصيلنا إلى هناك.'

همهم كومسون همهمة ضعيفة، ثم بدأ يسرع الخطى. اقتاد الرجل ومضيا قدمًا، سارا فى طريق دائرى إلى حد أنه بدأ يظن أنه يتبع رجلاً تائهًا. ولكنه عند هذا الحد شاهد المنزل المنخفض الذى كان يشبه شيئًا طويلاً، ومشى الرجلان إلى أن وصلا إلى الباب غير المدهون الذى يقع عند نهاية ذلك الشىء الطويل.

طرق الرجل الباب برفق وسمعا صوتًا صغيرًا ينبعث من الداخل كما لوكان صادرًا عن حصيرة يجرى لفها.

قال صوت صادر من الداخل:'هى، ياجاك! هل جئت؟'

بدا كما لوكان كومسون يتراجع عندما سمع ذلك الصوت الذى كان يــود أن يعرف ذلك الذى يقف أمام الباب، كان كل صوت يبدو لكومسون فــور صــدوره وكأنه إبرة كانت تنغرس فى جلده. وتوقف الرجل بدوره عن الرد.

قال الصوت المنبعث من الداخل مرة ثانية:' أم... ألومــو Alomo ، أهــو انت؟' 'ألومو!' بعد ذلك سكت الرجل الحائر فى الداخل . طرق الرجل الباب مــن جديد، محاولاً ترقيق صوت الخشب وجعله صوتًا قاطعًا وجادًا. ولكن الصمت فــى الداخل اصبح مطبقًا.

انحنى الرجل إلى الأسفل وراح يقول من خلال ثقب المفتاح:' يــاأخ، هيــا تعال. لاأحدعلى الباب، إنه الوزير.'

خرج الصوت الموجود داخل المنزل عن صمته."آه، سيدى، أهو أنت؟ عجبًا لذلك الصوت الذى سرعان ما افتقد الوقار الذى اعتاد عليه. كان صوت المراكبــى يوحى بالخوف، ولكن فى تلك الليلة لم يكن خوف الضعيف عندما يواجــه القــوى. مما لاشك فيه أن الخوف كان خوف رجل ضعيف فى وجود مثل هذا الرجل خطرًا عليه. مضت فترة طويلة قبل أن يفتح المراكبى الباب وينظر إلى الرجلين.

لم تعد عينا المراكبى هما تلك العينان اللتان كانتا تستعطفان من قبل. كــان يبدو أن العينين توحيان بشىء من الغلظة والشدة.

'ادخل.'

هل كان هناك نوع من القلق المشوب بالخوف فى صوت المراكبى فى تلك اللحظه؟ المؤكد أن ذلك الصوت لم يكن يحمل أية نبــرة مــن نبــرات الأســى أو الاعتذار أو الدفاع بدلاً من ذلك، كانت الدعوة قد وجهت بطريقة توحى بأن المتكلم إنما كان يفعل معروفًا فى ضيوفه.

دخل الرجلان. ولما لم يجدا شيئًا يجلسان عليه، فقد وقفا فى منتصف الغرفة الصغيرة، والمراكبى يقف أمامهما. كان حصيرة المراكبى عند قدميه على الأرض، وكانت معدة كى ينام عليها. كان هناك صندوق وعاء به جارى gari يبدو أنه. امتص كل الماء الذى جرى وضعه فيه، إلى حد أن قطع صغيرة من الفحم النباتى وخيوط البطاطا الصفراء بدأت تظهر على السطح ، مثل المخلفات التى يتركها الماء خلفه بعد عمليه الجذر. تلت فترة صمت طويلة، تكلم بعدها المراكبى.

'آء، فيما يخصنى، فأنا موجود هنا. هذا هو مكانى المتواضع. أنتما اللذان جئتما من مكان بعيد. ولذلك فأنا أغلق فمى، طالما أن أذناى مفتوحتان، حتى يتسنى لى الاستماع إلى ذلك الذى جئتما به إلى.'

هذا المراكبى بدأ يتحامل على الكرامة القديمة للكلام الرسمى. لم يعد بعد أمامه سيدًا من السادة، وإنما هو شخص آخر يحتاج إلى عونه ومساعدته له.امتنع *الرجل عن قول أى شىء . وأصبح الأمر موكول إلى* كومسون نفسه لكى يصيغ الكلمات التى يتوسل بها إلى خادمة. ولكن كومسون تردد فترة طويلة وراح ينظر خلالها إلى المراكبى بكراهية شديدة، وفى عينيه اتهام بالجحود ونكران الجميل. يبدو أنه كان يكتم أنفاسه فترة من الوقت، لأنه استأنف كلامه بعد أن أخرج هواء الزفير لفترة طويلة. يضاف إلى ذلك أنه لم يتكلم أيضًا بلغة السادة. كان صوته مكتومًا، كما كانت نغمته أرق من نغمة المساوم الصريح، بالرغم من عدم وصول هذا الصوت إلى حد الرجاء والاستعطاف.

قال كومسون: 'أنت تعرف ماحدث.'

'نعم' بدأت عينا المراكبى تتجاران، ثم ابتسم قليلاً. وحاول كومسون النظر مباشرة إلى وجه المراكبى.

قال كومسون:' كان من عادتك ترديد مثل بعينه؛ عندما يرعى الثور فإن طائر البلشون يأكل أيضًا. ألازلت تذكر هذا المثل؟'

رد المراكبى بإثبات مؤكد قائلاً: 'نعم،' كما لوكان يود أن يشير بذلك إلى أن الزمن والتغيير يجب أن يعدلا حقيقة كل هذه الأمثال. كان الرجل، يقف على بعد مسافة قصيرة من رجل الحزب ومن المراكبى، واستشعر أن مايجب قوله يتحتم أن يقال على وجه السرعة.

قال: 'ليس هناك متسع من الوقت. ليس هناك وقت على الإطلاق.'

قال كومسون للمراكبى: ' إذا كان بوسعك أن تساعدنى. فسوف يكون لك نصف القارب.'

تساءل المراكبى،' إلى أين نحن ذاهبون؟'

تساءل كومسون،' هل تود الذهاب الآن؟'

وهنا أجاب الرجل بإثبات مؤكد قائلاً:' نعم'

لم يكن ميناء الصيد يبعد كثيرًا عن منزل المراكبى، ولم يلتقوا أحدا فى الميناء، بالرغم من أنهم فى قليل من الأحيان كانوا يشاهدون عن بعد أناسًا قلائل يتحركون، كما كانوا يسمعون أصواتًا غير واضحة فى جوف الليل. وعندما اقتربوا من بوابة الميناء نهض حارس الليل واقفًا من نومه وراح يعترض دخولهم. كان المراكبى يبدو عليه كما لوكان يود أن يشق طريقه عنوة إلى الداخل، ولكن الحارس تناول صافرة كانت تلمع فى الضوء الأصفر ثم وضعها بين شفتيه. لم ينفخ الرجل فى الصافرة ولكنه أبقاها حيث كانت بين شفتيه، لتكون بمثابة تهديد ليس إلا. وفى الضوء الخافت شاهد الرجل الحارس وهو يومئ برأسه بطريقه تنم عن فهم مشوب بالدهشة والغرابة.

قال المراكبى أخيرًا:' تعتقد أنى مهم، لوكنت واحدًا من رجال حزب نكروما فلن أمر.'

وقف الحارس وهو مُصر على قفل الطريق. وقف الرجال الثلاثة ينظـرون إليه. كانت هناك خلفهم سيارة جيب تسير فى اتجاه أعلى التل على الطريق المؤدى للقلعة القديمة، وإن هى إلا لحظات حتى سقطت أنوارها على الطريق المؤدى إلـى بوابة الميناء. وهنا ألقى الرجل نظرة مدققة على وجه الحارس. كان الوجه يعنـى شىء أن الرجل لن يأخذ تهديده مأخذ الجد. كان وجه الرجل يـوحى بأنـه كـان ينتظر حدوث شىء غير عادى، كان ينتهز حدوث شىء ما. ويبدو أن الحارس هو الآخر لم يلاحظ الرائحة التى كانت تفوح من الرجلين. كل مافى الأمر أن الحارس وقف وقد فغر شفتيه. وكان كفاه يوحيان بثقة مطلقة، كما كانت الصافرة تتدلى كما لوكانت ممسوكة فى مكانها من قبل قوة خفية.

كان كومسون يقف وقفه رجل محتوم المصير وغير قادر علـى مسـاعدة نفسه.

قال المراكبى لكومسون:' أعطه شيئًا.' قالها على نحـو يـوحى بالاسـتياء والضيق. وهنا راح كومسون يدس يده، مثل رجل ميت، داخل جيبه الشمال الخلفى وأخرج حافظه النقود. وأتى كومسون حركة كما لوكان قد أراد، فى لحظـة مـن لحظات الشرود الذهنى، إعطاء الحافظه كلها للحارس. وهنـا تنـاول المراكبـى الحافظة على وجه السرعة، ثم فتحها، ونظر داخلها فترة طويلة. ثم أخـرج منهـا ورقة نقدية ووضعها أمام عينى الحارس الليلى. وهنا بقى الحارس علـى صـمته المساوم.

قال المراكبى: 'انتبه يا أبو البلديات، هذه خمسـون سـيدى، أقـول :إنهـا خمسون سيدى.'

هز الحارس رأسه، ثم قال :' ضع عليها ورقة أخرى للرئاسة.'

تَردد المراكبى. ولكنه الرجل استدار ناحيته وقال:' أعطه إياهـا، إن كـان لديك واحدة أخرى.' تناول المراكبى ورقة مالية ثانية، وأخذهما الحـارس ببطـئ

وفى شىء من الخوف المشوب بالحب، إلى حد أن الورقتين أحدثتا صوتًا فى راحة يده وهو يتناولهما.

قال الحارس:، مروا.'

مر الرجال الثلاثة خلال البوابة. فيما بين القوارب الواقفة كان الماء المظلم فى البحر أثناء الليل كثيفًا وغليظ القوام، بل وحتى متجمدًا. سار المراكبى عند ذلك فى المقدمة. كان خطى الرجل يوحى بثقة غير متوقعة أومنتظرة. وتبعه الرجلان إلى مابعد الصف الأول من القوارب . وبانتهاء ذلك الصف انعطف رصيف الصيد انعطافًا حادًا ناحية الشمال. وقف المراكبى عند القارب الثانى وراح ينتظر مجئ الرجلين حتى يركبان فى القارب. وعندما ركب المراكبى اتجه مباشرة إلى مؤخرة القارب حيث يوجد المحرك، وطلب من الرجل أن يتبعه.

قال:' يتعين عليك أن تساعدنى فى تشغيل المحرك. امسك هذا.' أعط الرجل شيئا شبيها بعمود الإدارة الصغير، نسخة مصغرة من تلك الأشياء الصغيرة التى تراها فى اللوريات القديمة. إبتعد المراكبى مسافع أقدام قليلة وانحنى على شىء قريب من قاع القارب . صاح المراكبى قائلا:' أدر العمود.'

أطاع الرجل الأمر. استغرق العمل منه جهدًا أكثر مما كان يتصور فى بداية الأمر. كان المراكبى أمام الرجل فى الظلام، يتنفس بصعوبة بالغة ويأتى حركات سريعة بيديه. وإن هى إلا لحظات حتى بدأ المحرك يعمل، وبدأت الانفجارات الأولى تتحول إلى صوت منتظم.

قال المراكبى وهو يتحرك فى اتجاه مقدمة القارب:' كل شىء جاهز الآن.' ثم تبعه الرجل.

بدأ القارب بحركة بطيئة، اتجه بعدها إلى وسط "الهويس"، ثم بدأ يزيد من سرعته. ليتحرك بعد ذلك مبتعدًا عن حاجز الأمواج، مخلفًا وراءه الماء الأسود الساكن. بدأ البحر يتضح أكثر وأكثر مع ارتفاع مقدمة القارب، ومع الابتعاد عن

البلدة بكل أضوائها، كل ذلك أصبح شيئًا منفصلاً تمامًا عن وجود الرجـل . بـدأ الأثر الناتج عن ابحار القارب يظهر أكثر وأكثر مع لون البحر، وهنا انحنى الرجل إلى الأمام، واستطاع خلال لحظه تناسى كل شيء وهو يطيل النظـر إلـى ذلـك الضوء المائى الناعم الغريب.

قال رجل الحزب، وهو يرفع صوته فوق صوت المحرك: 'أنت سترجع.'

تساءل الرجل،' ماالذى يمكن أن تفعله استلا Stella ؟'

قال كومسون:' ستكون على ما يرام. إذا لم يزعجوها فستكون على مايرام،

'هل لديها مايكفيها من النقود؟'

'أوهو – أوهو.'

'أين هى الآن؟'

'إنها مع أمها.'

'هل هى تعرف إلى أين أنت ذاهب؟'

'أوهو – أوهو – بعض أقاربها يعيشون فى أبدجان'

تلى ذلك فترة صمت طويلة مليئه بفراغ غريب لحياتين منفصـلتين. ومـع ازدياء سرعة القارب إزدادت أيضًا حدة برودة الجو، وزاد معها أيضًا بلل البحـر ورائحته.

تساءل الرجل: 'هل هناك أى شيء يمكن أن أفعله لك؟'

لم يكن كومسون يعرف مايود قوله، ولكنه قال فى النهاية:'اذهب لزيارتهـا بين الحين والآخر.' ثم أضاف بعد ذلك،' هناك بعض الأصدقاء الـذين سـيقومون على رعايتها.'

ومن المقدمة صاح المراكبى بشىء ضاع مع الريح المحيطة بالقارب وفى الصوت الناتج عن المحرك.

تحرك الرجلان إلى المقدمة.

قال المراكبى للرجل :'نحن نقترب حاليًا من إيسيكادو Essikado . الخليج قريب من هنا إن كنت تود النزول.'

بدأت البلدة تبدو لهم بعيدة جدًا، وأحس الرجل بأنه قد تحرر من كل شىء فيها.

قال:'نعم، سوف أنزل.'

وعلى الفور حول المراكبى القارب على نحو أحدث قوسًا أبيضًا فى الماء، ثم سار يمينًا وانعطف بعد ذلك ناحية اليسار فى اتجاه الخليج.

قال المراكبى:' هنا بعض إطارات اللوريات على الجانب الأيمن. تناول واحدًا منها. فسوف تحتاجه وأنت تعوم فى اتجاه الشاطئ.'

اتجه الرجل ناحية كومة الإطارات الداخلية وأخذ منها الإطار الأكبر والأمتن. وعندما أبطأ المراكبى من سير القارب، ألقى الرجل الإطار الداخلى بعيدًا عن القارب فى اتجاه الشاطئ.

قال كومسون وهو يقترب من الرجل:' أنت ذاهب إذن.'

'نعم.'

أمسك عضو الحزب يد الرجل وقال:' أشكرك.' سمع الرجل الكلام ولكنه لم يحس بأى شىء تجاه كومسون.

قال كومسون:' سنلتقى مرة ثانية.'

كانت الكلمات تبدو للرجل فكهة وطفولية، ولكن الرجل فى غيبة من نفسه وكأنه أصبح شخصًا مختلفًا تمامًا، سمع نفسه وهو يردد قائلا:' سنلتقى مرة ثانية.'

صاح المراكبى يقول:' ياأنت ، وداعًا!'

وقف الرجل مدة ثانية من الزمن عند مقدمة القارب. ومرت موجة صغيرة وتحرك القارب تحركًا هينًا لينًا. وقفز الرجل ليختفى فى ظلمة الماء.

لم يكن الماء باردًا. ترك الرجل جسمه يغوص فى الماء. وبقى فى الماء أطول فترة ممكنة وهو يكتم نفسه . كتم الرجل أنفاسه مدة طويلة إلى حد أنه بدأ يتمتع بالإحساس الداخلى المتفجر الذى لم يعد له وجود فى داخله. ولكن أصبح من المستحيل البقاء تحت الماء مده أطول، وعلى غير رغبة منه دخل شيء من الماء فى فمه وكان طعمه شديد الملوحة. كان سطح الماء يبدو له بعيدًا جدًا إلى حد أنه ظن أنه لن يبلغه، ولكن سرعان مازال الضغط عن عنقة وعن أذنيه وفتح الرجل عينيه مرة ثانية .لم يعد بإمكان الرجل رؤية البلدة فوق منحنى الماء، كل ماكان يسمعه كان هو صوت القارب الذى كان يبتعد عنه، وعندما أطال الرجل النظر استطاع أن يتبين شكل القارب من خلال الأثر الناتج عنه. أغلق الرجل عينيه لكى يحس بالظلام ثم فتح عينيه من جديد.

كان الإطار الداخلى قد ابتعد عنه أكثر مما كان يتوقع. وسبح الرجل فى اتجاه الإطار وغطس أسفله ليدخل خلاله وكان وسطه مايزال فى الماء. وراح الرجل يتحرك تحركًا بطيئًا مريحًا، فى اتجاه الخليج.

عندما وصل الرجل إلى الشاطئ كان متعبًا تمامًا بالرغم من بطئ تحركه، وكان عضد ذراعه قد التهب بسبب احتكاكه بالإطار. بدأ الرجل يشعر ويحس بمزيد من البرودة. ولكن فى ذات الوقت، كان الإحساس بالبرد يملأه باحساس غامض بالحرية، مثلما سبق له أن أحس بالوحدة القاتلة فى أيام مماثلة لهذه الأيام؛

وأحس الرجل فى داخله أن الدنيا كانت بعيده جدًا عن الترحيب بـــه وذلـــك علـــى العكس من الرمل الذى كان تحت قدميه.

الفصل الخامس عشر

بعد أن استيقظ الرجل أحس ببرد شديد فى ظهره، بالرغم من أن الشمس كانت مشرقة فوق البحر، كانت أشعة الشمس نظيفة وواضحةتماما فوق سطح الماء؛ وكانت السماء من فوقه صافية وجميلة. كان هناك على بعد مسافة كبيرة زول وحيد لايمكن تمييزه من ذلك البعد، كان ذلك الزول يتقدم صوب الرجل ماشيًا على الرمال.

أغلق الرجل عينيه، ولكنه وجههما مباشرة ناحية الشمس. تحت جفنى عينى الرجل كانت الألوان وردية وبرتقالية وصفراء، ثم تختفى فجأه منتهية إلى ظلام لتعاود الظهور مرة أخرى. وعندما فتح الرجل عينيه تمامًا مرة ثانية كان ذلك الزول السائر على الرمل قد اقترب منه.

كانت القادمة امرأة، ومن طريقة سيرها على الرمل أتضح أنها مصابة بمس من الجنون . فقد كانت تتوقف بين الحين والآخر لفترات طويلة وبلا حراك، ثم تبدأ بعد ذلك فى التحرك من جديد وبلا تعجل، وكانت فى أحيان كثيرة تنظر إلى البحر الموجود على الجانب الأيسر، ولكنها قلما كانت تنظر إلى أشجار جوز الهند ومن خلفها الأدغال الخضراء الموجودة على طول الطريق الأسود.

شاهد الرجل وجه المرأة . لم تكن شابة، وكانت تشبه شيئًا جرى تحطيمه مؤخرًا. ومع ذلك كان الرجل يرى المرأة جميلة عندما ينظر إليها.

اتجهت المرأة إليه مباشرةً، إلى حد أوشك الرجل معه أن يخدع نفسه بأن المرأة كانت على وشك التحدث معه عن شيء هو يفهمه. ولكن المرأة وقفت أمامه مباشرةً، ثم انحنت المرأة لتملأ يديها برمل الصباح ، ثم وقفت المرأة وتركت الرمل ينساب من بين أصابعها مع النسيم الرقيق فى ضوء الشمس. ومع تساقط

الرمل كانت، المرأة تقول بروح عالية.' لقد خلطوا كل شيء .. كــل شــيء! لقــد خلطوا كل شيء. وكيف لي بالعثور عليه بعد أن خلطوه مع أشياء أخرى كثيرة؟'

انحنت المرأة مرة أخرى، إذ كانت تبحث عن شيء ضاع منهــا، وكانــت تحاول أثناء البحث فصل جسيمات الرمل عن بعضــها. انفرجــت شــفتاها عــن ابتسامة. حاول الرجل أن يبادلها الابتسام، وأطال النظر إلى وجهها ثم ناداها قائلا: 'معنان Maanan '.

ضحكت المرأة عندما سمعت ذلك الاسم، وكان التعرف بعيدا جدًا إلى حد أن الرجل في هذه اللحظة تأكد أنه خدع نفسه عندما ناداها بذلك الاسم. ثم انصــرفت المرأة بعد ذلك وراحت تمشي في اتجاه البلدة البعيدة، مبتعدة عن الشــمس وكــان خيالها أمامها يلوث الرمل من أمامها، وخلفت الرجل وراءها وهو يتعجــب مــن أسباب عدم حصوله على أي رد منها أومن المعلم Teacher أومــن أي إنســان آخر.

أحس الرجل بشيء يخرج منه، يخرج، بل ومن كل جــزء مــن جســمه، الغارق في الرمل. أغلق الرجل عينيه مرة ثانية وتاه من جديد في الظلال ورديــة اللون التي في داخله.

كانت الشمس طالعة عندما استيقظ الرجل. كانت السماء صافية وتجمع بين اللونين الأخضر والأزرق كلٌ على حدة، لم يكن هذا اللون مثل ذلك اللــون الــذي شاهده في الصباح الباكر. كانت الأمواج التي تقترب من الشاطئ تتكسر إلى أمواج صغيرة عندما تتتابع الواحدة بعد الأخرى. راح الرجل يفكر في حذائه الذي تركــه في قاع البحر. كانت ملابس الرجل قد جفت تمامًا. وكان الإطار المطاطي قد طفا مبتعدًا في اتجاه الشرق منجرفًا مع التيار ليقترب ويبتعد بين الحين والآخر ثم ابتعد في النهاية متجهًا ناحية الشرق. ابتعد الرجل عن البحر وتسلق العشب الخشن بعــد الشاطئ ليجلس بعد ذلك تحت شجر جوز الهند.

بعد أن عبر الرجل الجبانة الواقعة قبل الطريق، شاهد صبيين صغيرين يقطعان قطعًا صغيرة من الرخام من القطع الكبيرة. هرب الصبيان عندما اقترب الرجل منهما. ولكنه عندما واصل مسيره عاد الصبيان مرة أخرى إلى قطعة الحجر الكبيرة التى كانا يعملان عليها.

كان الطريق بزفته يعطى شيئًا من الدفئ المثير إلى قدمى الرجل ولكن بعد مسافة قصيرة سخن الزفت وسخن الطريق على نحو جعل الرجل يمشى على جانب الطريق، فوق الأرض المكونة من الطين والزلط.

عند حدود البلدة، وعند سفح المدرسة الكاثوليكية الرومانية، كان الجنود قد أقامو حاجزًا عبر الطريق ووقفوا بالقرب منه. كان رجال الشرطة يحملون أيضًا بنادق، ويقومون بتفتيش المركبات الواحدة بعد الأخرى عندما تصل إلى الحاجز. كانت السيارات تمر عبر الحاجز بسرعة، أما الحافلات وسيارات النقل فكانت تقف فترة أطول حيث يجرى تفتيش الرجال والنساء الراكبين فى تلك المركبات.وحتى أولئك الذين كان يجرى تفتيشهم كانوا يتعين عليهم الوقوف على جانب الطريق إلى أن يعود أحد الجنود ويشير إلى السائق باستئناف المسير.

وصلت إلى المكان حافلة صغيرة، كانت تبدو جديدة تمامًا، ومدهونة باللون الأخضر، وصلت إلى حاجز . أشار اليها أحد الجنود إشارة عابرة بالتوقف، ثم مشى بعد ذلك لينضم إلى بقية الجنود. لم يكن عند الحاجز سوى عدد قليل من المركبات ولكن رجال الشرطة كانوا جميعًا مشغولين بكتاب كبير كان فى يد واحد منهم.

نزل سائق الحافلة الخضراء الصغيرة واتجه ناحية رجال الشرطة. كان السائق شابًا ويرتدى بنطالاً قصيرًا كاكى اللون ومن فوقه قميص أخضر فاتح.

قال عندما وصل إلى رجال الشرطة:'أيها الكونستبل ، المسافرون الذين معى فى عجلة من أمرهم.'

نظر إليه واحد من رجال الشرطة وقال :'أهذا صحيح؟' وهنا أشار السائق إلى حافلته.

قال:' الناس الموجودون في الحافلة يودون المضي قدما.'

رفع رجل الشرطة الذي تحدث، يده وبحركة بطيئة أشار إلى أسنانه.

كان الرجل قد سبق له رؤية هذه الإشارة مرات عدة. جرت العادة أن يضيف صاحب هذه الإشارة، بعض الكلمات،' حتى ثمار الكولا كل واحدة منها يمكن أن تقول:"شكرًا".' ومع ذلك، فإن رجل الشرطة هذا لم يكن يقول أي شيء. كان يترك الأمر كله للسائق كي يفهم أو يتأخر أكثر وأكثر. فهم السائق المقصود. وبدون أن يطلب أحد منه شيئًا، أخرج رخصة القيادة من جيب قميصه، وأخرج منها ورقة من فئة السيدي، ووضعها داخل حافظة الرخصة. ثم أدار ظهره للناس الذين ينتظرون في الحافلة، ثم ناول الرخصة، وبداخلها الرشوة لرجل الشرطة.

نظر رجل الشرطة بشيء من الاحترام إلى رخصة القيادة وما بداخلها. وأخرج الورقة النقدية بيده اليسرى ولفها على شكل كرة صغيرة ووضعها في راحة يده، وراح يعمل بيده اليمنى بعض الحركات الحسابية، كما لو كان يتفحص دقة الوثيقة التي كانت في يده. وفي لحظة سار مع السائق إلى الحافلة، ونظر داخلها ثم أعطى أشارة المسير. اتكأ المسافرون على مقاعدهم وواصلت الحافلة المسير. لابد أن السائق قد رأى ذلك المراقب الصامت الواقف على جانب الطريق. عندما بدأت الحافلة تتجه إلى الطريق تاركة البلدة وراءها؛ وهنا ابتسم السائق وأشار للرجل. راقب الرجل الحافلة وهي تسير في الطريق، إلى أن استدارت واختفت عن الأنظار في المنطقة المنحنية خلف البلدة. كان لون السيارة الأخضر مكتوب عليه كلام في شكل بيضاوي:

الجماليات لم يولدن بعد

فى وسط ذلك الشكل البيضاوى كانت توجد زهرة واحدة، فريدة، لاتفسير لها ولكنها جميلة جدًا.

عندما وقف الرجل ليعود إلى البلدة التى غادرها أثناء الليل لم يستطع الرجل أن يمحو ذلك الكلام المنقوش على الحافلة. هذه الكلمات سوف تظل فى ذهنه تنتقل من هنا إلى هناك وتدور دورتها وتجئ ثانيةً. بعد برهة من الزمن اختفت صورة الزهور الجميلة من ذهن الرجل لتحل محلها نغمة موسيقية.

فوق مرحاض المدرسة الموجود عند سفح التل كان هناك طائر يصدح بأغنية عذبة، هذا الطائر انقض وترك المرحاض ليحط على سقف المدرسة. تعجب الرجل من نوعيه هذا الطائر، وماذا يكون اسمه. ولكن سرعان ماتزاحمت الأفكار على ذهنه؛ هاهو يعود حاليًا إلى أويو، ليرى عيون الأطفال بعد الساعة السادسة، ويعود إلى المكتب، وإلى حياته اليومية، وفوق كل ذلك تلك المعرفة السرمدية التى سوف يزرعها فى ذهنه ذلك الفراغ المؤلم ولتظل معه بقية حياته.

راح الرجل يمشى ببطء وهو متجه ناحية بيته.

المؤلف فى سطور :

آى كويئى أرماه :

ولد فى منطقة توكارادو فى غانا عام ١٩٣٩ .

تخرج فى جامعة هارفارد فى الولايات المتحدة ، وعمل مترجمًا فى الجزائر ، ومحرراً فى التليفزيون الغانى ، ومدرسًا للغة الإنجليزية ، ومحرراً مترجمًا فى جريدة أفريقيا الفتاة التى تصدر فى باريس ، وهو يعمل حاليًا أستاذاً فى جامعة ويسكونسن .

لقد أمضى فترة من حياته فى كل من الولايات المتحدة وتنزانيا ، ونُشرت له أربع روايات منها : نتف ، والمعالجون .

المترجم فى سطور

صبرى محمد حسن

أستاذ اللغويات غير المتفرغ ، له أكثر من عشرين بحثًا ومقالاً نشرت فى المجلات والصحف العربية المحلية والدولية منها :

له مقالات وأبحاث نشرت بمجلات الفيصل - الرياض - المملكة العربية السعودية ، ومجلة كلية الملك عبد العزيز الحربية - الرياض - المملكة العربية السعودية ، والمجلة العربية - الرياض - المملكة العربية السعودية ، ومجلة الهلال - القاهرة - جمهورية مصر العربية .

وله كتب مترجمة إلى العربية منها:

(أ) كتب نشرتها دور نشر عربية .

١ - التفكيكية : النظرية والممارسة ، تأليف : كرسيتوفرنوريس ، دار المريخ ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

٢ - الشاعر والشكل ، تأليف : جدسون جيروم - دار المريخ .

٣ - الاستراتيجية العربية والإسرائيلية وجها لوجه - دار المريخ .

٤ - الأطفال والمخدرات دار المريخ .

(ب) كتب نشرتها دار آفاق الإبداع العالمية للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

١ - المعطف المشاكس ٢ - عمل الفريق الفعال .

(جـ) كتب نشرت ضمن كتاب الهلال ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية .

١ - هارون الرشيد ، تأليف : فيلبى .

٢ - الكوكائين والمراهقين .

٣ - بنات مدمنى ومدمنات المسكرات .

(د) روايات مترجمة نشرت ضمن روايات الهلال .

١ – حلم ليلة أفريقية .

(هـ) كتب وروايات مترجمة نشرها المجلس الأعلى للثقافة ، جمهورية مصر العربية .

١ – سبعة أنماط من الغموض ، تأليف : وليم أمبسون .

٢ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ، تأليف : بالجريف (جزءان)

٣ – حركات التحرر الإفريققى ، تأليف : ريتشارد جبسون .

٤ – إرادة الإنسان فى علاج الأدمان .

٥ – قلب الجزيرة العربية (جزءان) .

٦ – سيرتى الذاتية ، تأليف : أحمد بللو .

(و) روايات مترجمة نشرها المجلس الأعلى للثقافة ، جمهورية مصر العربية :

١ – سكين واحد لكل رجل .

٢ – نجوم حظر التجوال الجدد .

٣ – المهمة الاستوائية .

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومــى للترجمــة مشــروع تنميــة ثقافيــة بالدرجــة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعـارف الإنسانية فى المجـالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحـيـاز إلى كل مـا يؤسس لأفكار التـقـدم وحضـور العلم وإشـاعـة العـقـلانيـة والتشجيع على التجريب .

٤- ترجـمـة الأصول المعرفـيـة التى أصـبـحت أقـرب إلى الإطار المرجـعى فى الثـقـافـة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

-١	اللغة العليا	چون كوين	أحمد درويش
-٢	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بليع
-٣	التراث المسروق	چورچ چيمس	شوقى جلال
-٤	كيف تتم كتابة السيناريو	إنجا كاريتنيكوڤا	أحمد الحضرى
-٥	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
-٦	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إڤيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
-٧	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
-٨	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
-٩	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
-١٠	خطاب الحكاية	چيرار چينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
-١١	مختارات شعرية	ڤيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
-١٢	طريق الحرير	ديڤيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
-١٣	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
-١٤	التحليل النفسى للأدب	چان بيلمان نويل	حسن المودن
-١٥	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
-١٦	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
-١٧	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
-١٨	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
-١٩	الأعمال الشعرية الكاملة	چورچ سفيريس	نعيم عطية
-٢٠	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
-٢١	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
-٢٢	مذكرات رحالة عن المصريين	چون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
-٢٣	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
-٢٤	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
-٢٥	مثنوى (٦ أجزاء)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
-٢٦	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
-٢٧	التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
-٢٨	رسالة فى التسامح	چون لوك	منى أبو سنة
-٢٩	الموت والوجود	چيمس ب. كارس	بدر الديب
-٣٠	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بليع
-٣١	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	چان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
-٣٢	الانقراض	ديڤيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
-٣٣	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بليع
-٣٤	الرواية العربية	روچر آلن	حصة إبراهيم المنيف
-٣٥	الأسطورة والحداثة	پول ب. ديكسون	خليل كلفت
-٣٦	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٣٨-	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
٣٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحي ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنچامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وچون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩-	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روچسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	چوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	بإشراف : محمد الجوهرى
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
٦٣-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	ڤالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	حسن بيومى

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمرى
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوى
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	محمود السيد على
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالى
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقى	أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العنانى
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠-	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيزرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوى
٩٥-	مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان بروديل	بشير السباعى
٩٨-	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحى
١٠١-	النص الروائى: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبى	عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣-	قبر ابن عربى يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجنى (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوى
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	أشرف على دعدور
١٠٧-	صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر	نخبـة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من المؤلفين	محمود على مكى
١٠٩-	حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف

١١٣- راية التمرد	سادى پلانت	أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥- غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	سمية رمضان
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	چوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنينل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥- التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦- فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨- الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	چوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- پارسيڤال (مسرحية)	ريتشارد ڤاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦- الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧- مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠- التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان بروديل	بشير السباعى
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	چى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	مى التلمسانى
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان بروديل	بشير السباعى
١٥٩- الأيديولوچية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسبانى	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧- فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤- القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩- العمى والبصيرة: مقالات فى بلاغة النقد المعاصر	بول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١- الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
١٩٣- عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥- شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية)	ڤالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧- سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠- ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	چيرمى سيبروك	فخرى لبيب
٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣- الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦- الهيولية تصنع علماً جديداً	چيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧- ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩- السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠- مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١- فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢- قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣- مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧- مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨- لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثار	على إبراهيم منوفى
٢١٩- بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠- الهيولية فى الكون	بارى پاركر	على يوسف على
٢٢١- شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢- فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣- العلم فى مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤- دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥- حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى	ديڤيد هربت لورانس	طاهر محمد على البربرى

٢٢٧- المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز چاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١- الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣- فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى	آرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦- الولاية	ميشيل شوديكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادى	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩- العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلا رامراز - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاى حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١- فى انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزى	ابتسام عبدالله
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤- الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥- نساء مقاتلات	إليزابيتا آديس وآخرون	توفيق على منصور
٢٤٦- مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨- حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩- لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠- علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	حسن بيومى
٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥- أقدم لك: أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦- أقدم لك: ديكارت	ديف روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨- الفجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	نخبة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١- رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن	جون جريبين	على يوسف على
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقى جلال
٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر	چوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	رومولو جاييجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧-	الچينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الرءوف البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديڤيد لودچ	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	چورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روچر آلن	مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	چوزيف كامبل وبيل موريز	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	چين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	أقدم لك: فتجنشتين	چون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣- أقدم لك: بوذا	چين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤- أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥- الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦- الحماسة: النقد الكانطي للتاريخ	چان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧- أقدم لك: الشعور	ديڤيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكى
٣٠٨- أقدم لك: علم الوراثة	ستيف چونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتى وأوسكار زاريت	جمال الجزيرى
٣١٠- أقدم لك: يونج	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٣١١- مقال فى المنهج الفلسفى	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدى
٣١٤- مارسيل دوشامب: الفن كعدم	چانيس مينيك	هويدا السباعى
٣١٥- جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحى
٣١٦- محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	نسيم مجلى
٣١٧- بلا غد	س. شير لايموڤا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا	جايترى سبيڤاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليڤى برو ڤنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢- وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو بوچين كلينباور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣- فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٣٢٤- اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٣٢٥- عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٣٣٢- شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٣٣٣- الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤- لقطات من المستقبل	آرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٣٣٦- متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧- فلسفة الولاء	چوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٣٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٣٣٩- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠- اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

٣٤١-	قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا ريلكه	حسن حلمى
٣٤٢-	سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٤٣-	العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٣٤٤-	الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٣٤٥-	الركض خلف الزمان (شعر)	يونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦-	سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٣٤٧-	الصبية الطائشون (رواية)	چان كوكتو	بكر الحلو
٣٤٨-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩-	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٣٥٠-	بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٣٥١-	مبادئ المنطق	چوزايا رويس	أحمد الانصارى
٣٥٢-	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٣٥٣-	الفن الإسلامى فى الأندلس. الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٤-	الفن الإسلامى فى الأندلس. الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٥-	التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حچت مرتجى	محمود علاوى
٣٥٦-	الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٣٥٧-	متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٣٥٨-	أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٣٥٩-	محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٣٦٠-	أنثروبولوچيا اللغة	أندريه چاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٣٦١-	التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢-	تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٣٦٣-	حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد چيبسون	صبرى محمد حسن
٣٦٤-	حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٣٦٥-	سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٣٦٦-	نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٣٦٧-	القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البرّاق عبدالهادى رضا
٣٦٨-	المصطلح السردى: معجم مصطلحات	چيرالد برنس	عابد خزندار
٣٦٩-	المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٣٧٠-	الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٣٧١-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢-	عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣-	كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٣٧٤-	اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٣٧٥-	الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٣٧٦-	الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	چان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٣٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٧٨-	المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٣٧٩- ملك فى الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠- حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١- أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢- تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد اسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣- هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤- القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥- مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦- دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)	جون دن	بهاء چاهين
٣٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٣٨٩- تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١- الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢- مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣- فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥- آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٣٩٦- السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٣٩٧- أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨- أقدم لك: سارتر	فيليپ تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩- أقدم لك: كامى	ديڤيد ميروفتش وآلن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠- مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	توبور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤- تعويذة الحسى	ديڤيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥- إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧- الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨- معجم تاريخ مصر	چوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩- انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠- خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١- همس من الماضى	چينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليڤى بروڤنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤- الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوڤا	أمل الصبان
٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨- سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩- العصر الذهبى للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠- مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	ڤولتير	الطيب بن رجب
٤٢١- الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣- إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤- لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥- من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦- الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧- بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨- الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩- أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠- أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١- أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢- أقدم لك: ماكياڤللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣- أقدم لك: جويس	ديڤيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤- أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥- توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زريرج	ناجى رشوان
٤٣٦- تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧- رحالة هندى فى بلاد الشرق العربى	شبلى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨- بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩- موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠- قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١- رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢- حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣- اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤- أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥- حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦- التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧- ملحمة السيِّد	تراث شعبى إسبانى	الطاهر أحمد مكى
٤٤٨- الفلاحون (ميراث الترجمة)	الأب عيروط	محى الدين اللبان ووليم داوود مرقس
٤٤٩- أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠- أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١- أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢- أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣- القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤- خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦- لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧- النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان مولر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩- نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١- أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢- طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣- الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤- ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥- قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦- حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة عبد الله.
٤٦٧- التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة	چوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩- جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠- الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد الننة
٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤- الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥- صوت مصر. أم كلثوم	فرچينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦- أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	مارلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨- الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩- المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠- تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١- بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية	سارة چامبل	أحمد الشامى
٤٨٤- جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥- التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦- الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩- هُسِّرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	إدموند هُسِّرل	محمود رجب
٤٩٠- أسمار البيغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١- نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة	چى فارچيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣- خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤- كتاب الموتى: الخروج فى النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥- اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦- الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكواتو بانولى	مجموعة من المترجمين
٤٩٧- العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلى	مصطفى رياض
٤٩٨- النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريويذر	أحمد على بدوى
٤٩٩- تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠- فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١- تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	أرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢- أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣- مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤- كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥- كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦- ربما كان قديسًا (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧- سيدة الماضى الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨- المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩- الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠- الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١- كوكب مرقّع (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢- كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣- العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤- مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥- من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦- إرادة الإنسان فى علاج الإدمان	أرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧- نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨- استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩- محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠- الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١- قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢- إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣- الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤- الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥- موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦- أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧- أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨- أقدم لك: تروتسكى والماركسية	طارق على وفلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩- بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ
٥٣٠- مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٣١- ما الذى حَدَثَ فى «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	صفاء فتحى
٥٣٢- المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	بشير السباعى
٥٣٣- تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوى
٥٣٤- الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥- مخزن الأسرار (شعر)	نظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦- الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقى جلال
٥٣٧- للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوى
٥٣٨- النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	محمد الحديدى
٥٣٩- خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحى
٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١- هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤- أقدم لك: ميلانى كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدى الجابرى
٥٤٥- يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦- ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧- أقدم لك: بارت	فيليب تودى وآن كورس	جمال الجزيرى
٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدى الجابرى
٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	جمال الجزيرى
٥٥٠- أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدى الجابرى
٥٥١- الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	سمحة الخولى
٥٥٢- قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	على عبد الرءوف اليمبى
٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤- مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦- أقدم لك: چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدى الجابرى
٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩- الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجى	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦١- جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢- بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣- ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٤- عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦- تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧- الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨- الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩- موقع الثقافة	هومي بابا	ثائر ديب
٥٧٠- دول الخليج الفارسي	سير روبرت هاي	يوسف الشاروني
٥٧١- تاريخ النقد الإسباني المعاصر	إيميليا دي ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢- الطب في زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣- أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتي	جمال الجزيري
٥٧٤- مصر القديمة في عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعي
٥٧٥- الاقتصاد السياسي للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦- فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشري محمد
٥٧٧- مغامرات بينوكيو	كارلو كولودي	محمد قدري عمارة
٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت	أيومي ميزوكوشي	محمد إبراهيم وعصام عبد الرءوف
٥٧٩- أقدم لك: تشومسكي	چون ماهر وچودي جرونز	محيي الدين مزيد
٥٨٠- دائرة المعارف الدولية (مج١)	چون فيزر وبول سيترجز	بإشراف: محمد فتحي عبدالهادي
٥٨١- الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢- مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣- الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤- سفر (رواية)	محمود دولت آبادي	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥- الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦- السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروي أرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصيني	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدي
٥٨٨- أمنحوتب الثالث	أنييس كابرول	ماهر جويجاتي
٥٨٩- تمبكت العجيبة	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠- أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدي عبدالله
٥٩١- الشاعر والمفكر	هوراتيوس	علي عبدالتواب علي وصلاح رمضان السيد
٥٩٢- الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبري السوربوني	مجدي عبدالحافظ وعلي كورخان
٥٩٣- قصائد ساحرة	بول ڤاليري	بكر الحلو
٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أماني فوزي
٥٩٥- الحكم والسياسة في أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولي	مجموعة من المترجمين
٥٩٦- الصحة العقلية في العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧- مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨- مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومي علي قنديل
٥٩٩- فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوي
٦٠٠- الإسلام في التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١- النسوية والمواطنة	ريان ڤوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلي
٦٠٢- ليوتار:نحو فلسفة ما بعد حداثية	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣- النقد الثقافي	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي
٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج١)	باتريك ل. آبوت	توفيق علي منصور
٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكي (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمي
٦٠٦- قصة البردي اليوناني في مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدني
٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هاري سينت فيلبي	صبري محمد حسن
٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هاري سينت فيلبي	صبري محمد حسن

٦٠٩-	الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠-	العمارة المدجنة	رفائيل لويث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١-	النقد والأيديولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢-	رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣-	السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤-	بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥-	عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦-	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧-	الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨-	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩-	مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠-	السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١-	رباعيات الخيام (ميراث الترجمة)	عمر الخيام	محمد السباعى
٦٢٢-	أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣-	نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤-	شعر المرأة الأفريقية	نخبة	غادة الحلوانى
٦٢٥-	الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧-	حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨-	أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩-	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠-	سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١-	مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢-	المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣-	الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤-	مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥-	التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦-	حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧-	مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨-	الديمقراطية والشعر	روبرت بن وارين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩-	فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠-	ألكسياد	الأميرة أنّاكومنينا	حسن حبشى
٦٤١-	برتراند رسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢-	أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين ڤان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣-	سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤-	العلوم عند المسلمين	هوارد د.تيرنر	فتح الله الشيخ
٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سيهر ذبيح	عبد الوهاب علوب

٦٤٧- رسائل من مصر	چون نيتيه	فتحى العشرى
٦٤٨- بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩- الخوف وقصص خرافية أخرى	چى دى موپاسان	سحر يوسف
٦٥٠- الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روچر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١- ديليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢- آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣- مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤- أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥- أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦- خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوى
٦٥٧- محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨- حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
٦٥٩- قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠- نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١- روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى
٦٦٢- رحلة إلى الجذور	داسو سالدييار	صبرى التهامى
٦٦٣- امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤- الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥- عوالم أخرى	پول داڤيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦- تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧- الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولدنر	على ليلة
٦٦٨- ثقافات العولمة	فريدريك چيمسون وماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩- ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠- أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بِكر	ماهر البطوطى
٦٧١- قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	چيمس بولدوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢- مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣- ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى
٦٧٤- ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥- أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦- أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨- تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩- مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠- المدينة الفاضلة (ميراث الترجمة)	كارل ل. بيكر	محمد شفيق غربال
٦٨١- هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢- نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبرى محمد حسن
٦٨٣- سكين واحد لكل رجل (رواية)	تى. م. ألوكو	صبرى محمد حسن
٦٨٤- الأعمال القصصية الكاملة (أنا كندا) (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى

٦٨٥- الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٦- امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧- محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العنانى
٦٨٨- الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩- الملف (مسرحية)	تادوش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠- محاكم التفتيش فى فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١- ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢- أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣- أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	حاثيم برشيت وآخرون	جمال الجزيرى
٦٩٤- أقدم لك: دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدى الجابرى
٦٩٥- أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦- أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧- أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وجودى جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨- أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩- أقدم لك: التحليل النفسى	إيفان وارد وأوسكار زارايت	جمال الجزيرى
٧٠٠- الكاتب وواقعه	ماريو بارجاس يوسا	بسمة عبدالرحمن
٧٠١- الذاكرة والحداثة	وليم رود فيفيان	منى البرنس
٧٠٢- مدونة جوستنيان فى الفقه الرومانى (ميراث الترجمة)	جوستنيان	عبد العزيز فهمى
٧٠٣- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢)	إدوارد جرانفيل براون	أمين الشواربى
٧٠٤- فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	محمد علاء الدين منصور وآخرون
٧٠٥- فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالى	عبدالحميد مدكور
٧٠٦- الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧- أقدم لك: فالتر بنيامين	هوارد كاليجل وآخرون	وفاء عبدالقادر
٧٠٨- فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	رءوف عباس
٧٠٩- معنى الحياة	ألفريد آدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠- الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	إيان هاتشباى وجوموران - إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١- درة التاج	ميرزا محمد هادى رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢- الإلياذة (جـ١) (ميراث الترجمة)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٣- الإلياذة (جـ٢) (ميراث الترجمة)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٤- حديث القلوب (ميراث الترجمة)	لامنيه	حنا صاوه
٧١٥- سر تقدم الإنكليز السكسونيين (ميراث الترجمة)	إدمون ديمولان	أحمد فتحى زغلول
٧١٦- جامعة كل المعارف (جـ٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧- جامعة كل المعارف (جـ٣)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨- جامعة كل المعارف (جـ٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩- مسرح الأطفال: فلسفة وطريقة	م. جولدبرج	جميلة كامل
٧٢٠- مداخل إلى البحث فى تعلم اللغة الثانية	دونام جونسون	على شعبان وأحمد الخطيب
٧٢١- فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبد الغنى
٧٢٢- الصفيحة وقصص أخرى	بشار كمال	الصفصافى أحمد القطورى
٧٢٣- تحديات ما بعد الصهيونية	إفرايم نيمنى	أحمد ثابت

٧٢٤- اليسار الفرويدى	پول روبنسون	عبده الريس
٧٢٥- الاضطراب النفسى	چون فيتكس	مى مقلد
٧٢٦- الموريسكيون فى المغرب	غييرمو غوثاليبس بوستو	مروة محمد إبراهيم
٧٢٧- حلم البحر (رواية)	باچين	وحيد السعيد
٧٢٨- العولمة: تدمير العمالة والنمو	موريس آليه	أميرة جمعة
٧٢٩- الثورة الإسلامية فى إيران	صادق زيباكلام	هويدا عزت
٧٣٠- حكايات من السهول الأفريقية	أن جاتى	عزت عامر
٧٣١- النوع: الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف	مجموعة من المؤلفين	محمد قدرى عمارة
٧٣٢- قصص بسيطة (رواية)	إنجو شولتسه	سمير جريس
٧٣٣- مأساة عطيل (مسرحية)	وليم شيكسبير	محمد مصطفى بدوى
٧٣٤- بونابرت فى الشرق الإسلامى	أحمد يوسف	أمل الصبان
٧٣٥- فن السيرة فى العربية	مايكل كوبرسون	محمود محمد مكى
٧٣٦- التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ١)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٣٧- الكوارث الطبيعية (مج٢)	باتريك ل. آبوت	توفيق على منصور
٧٣٨- دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية	چيرار دى چورچ	محمد عواد
٧٣٩- دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر	چيرار دى چورچ	محمد عواد
٧٤٠- خطابات السلطة	بارى هندس	مرفت ياقوت
٧٤١- الإسلام وأزمة العصر	برنارد لويس	أحمد هيكل
٧٤٢- أرض حارة	خوسيه لاكوادرا	رزق بهنسى
٧٤٣- الثقافة: منظور دارويني	روبرت أونجر	شوقى جلال
٧٤٤- ديوان الأسرار والرموز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبد الحميد
٧٤٥- المآثر السلطانية	بيك الدنبلى	محمد أبو زيد
٧٤٦- تاريخ التحليل الاقتصادى (مج١)	چوزيف أ. شومبيتر	حسن التعيمى
٧٤٧- الاستعارة فى لغة السينما	تريفور وايتوك	إيمان عبد العزيز
٧٤٨- تدمير النظام العالمى	فرانسيس بويل	سمير كريم
٧٤٩- إيكولوچيا لغات العالم	ل.ج. كالڤيه	باتسى جمال الدين
٧٥٠- الإليانة	هوميروس	بإشراف: أحمد عتمان
٧٥١- الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى	نخبة	علاء السباعى
٧٥٢- ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف	جمال قارصلى	نمر عاروري
٧٥٣- التنمية والقيم	إسماعيل سراج الدين وآخرون	محسن يوسف
٧٥٤- الشرق والغرب	أنّا مارى شيمل	عبدالسلام حيدر
٧٥٥- تاريخ الشعر الإسبانى خلال القرن العشرين	أندرو ب. ديبيكى	على إبراهيم منوفى
٧٥٦- ذات العيون الساحرة	إنريكى خاردييل بونثيلا	خالد محمد عباس
٧٥٧- تجارة مكة	پاتريشيا كرون	آمال الروبى
٧٥٨- الإحساس بالعولمة	بروس روبنز	عاطف عبدالحميد
٧٥٩- النثر الأردى	مولوى سيد محمد	جلال الحفناوى
٧٦٠- الدين والتصور الشعبى للكون	السيد الأسود	السيد الأسود
٧٦١- جيوب مثقلة بالحجارة (رواية)	فيرچينيا وولف	فاطمة ناعوت

٧٦٢-	المسلم عدواً و صديقاً	ماريا سوليداد	عبدالعال صالح
٧٦٣-	الحياة فى مصر	أنريكو بيا	نجوى عمر
٧٦٤-	ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	غالب الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٥-	ديوان خواجه الدهلوى (شعر تصوف)	خواجه مير درد الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٦-	الشرق المتخيل	تييرى هنتش	غازى برو وخليل أحمد خليل
٧٦٧-	الغرب المتخيل	نسيب سمير الحسينى	غازى برو
٧٦٨-	حوار الثقافات	محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى
٧٦٩-	أبناء أحياء	فريدريك هتمان	رندا النشار وضياء زاهر
٧٧٠-	السيدة بيرفيكتا	بينيتو بيريث جالدوس	صبرى التهامى
٧٧١-	السيد سيجوندو سومبرا	ريكاردو جويرالديس	صبرى التهامى
٧٧٢-	بريخت ما بعد الحداثة	إليزابيث رايت	محسن مصيلحى
٧٧٣-	دائرة المعارف الدولية (جـ٢)	چون فيزر وپول ستيرجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٧٧٤-	الديموقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكزات	مجموعة من المؤلفين	حسن عبد ربه المصرى
٧٧٥-	مرآة العروس	نذير أحمد الدهلوى	جلال الحفناوى
٧٧٦-	منظومة مصيبت نامه (مج١)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٧٧٧-	الانفجار الأعظم	چيمس إ. ليدسى	عزت عامر
٧٧٨-	صفوة المديح	مولانا محمد أحمد ورضا القادرى	حازم محفوظ
٧٧٩-	خيوط العنكبوت وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشى
٧٨٠-	من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠	غلام رسول مهر	سمير عبد الحميد إبراهيم
٧٨١-	الطريق إلى بكين	هدى بدران	نبيلة بدران
٧٨٢-	المسرح المسكون	مارڤن كارلسون	جمال عبد المقصود
٧٨٣-	العولمة والرعاية الإنسانية	ڤيك چورج وپول ويلدنج	طلعت السروجى
٧٨٤-	الإساءة للطفل	ديڤيد أ. وولف	جمعة سيد يوسف
٧٨٥-	تأملات عن تطور ذكاء الإنسان	كارل ساجان	سمير حنا صادق
٧٨٦-	المذنبة (رواية)	مارجريت أتوود	سحر توفيق
٧٨٧-	العودة من فلسطين	جوزيه بوفيه	إيناس صادق
٧٨٨-	سر الأهرامات	ميروسلاف فرنر	خالد أبو اليزيد البلتاجى
٧٨٩-	الانتظار (رواية)	هاچين	منى الدروبى
٧٩٠-	الفرانكفونية العربية	مونيك بونتو	جيهان العيسوى
٧٩١-	العطور ومعامل العطور فى مصر القديمة	محمد الشيمى	ماهر جويجاتى
٧٩٢-	دراسات حول القصص القصيرة لإدريس ومحفوظ	منى ميخائيل	منى إبراهيم
٧٩٣-	ثلاث رؤى للمستقبل	چون جريڤيس	رءوف وصفى
٧٩٤-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ٢)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٩٥-	مختارات من الشعر الإسبانى (جـ١)	نخبة	على عبد الرءوف البمبى
٧٩٦-	آفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن	نعوم تشومسكى	حمزة المزينى
٧٩٧-	الرؤية فى ليلة معتمة (شعر)	نخبة	طلعت شاهين
٧٩٨-	الإرشاد النفسى للأطفال	كاترين جيلدرد وداڤيد جيلدرد	سميرة أبو الحسن
٧٩٩-	سلم السنوات	آن تيلر	عبد الحميد فهمى الجمال

٨٠٠- قضايا فى علم اللغة التطبيقى	ميشيل ماكارثى	عبد الجواد توفيق
٨٠١- نحو مستقبل أفضل	تقرير دولى	بإشراف: محسن يوسف
٨٠٢- مسلمو غرناطة فى الآداب الأوروبية	ماريا سوليداد	شرين محمود الرفاعى
٨٠٣- التغيير والتنمية فى القرن العشرين	توماس باترسون	عزة الخميسى
٨٠٤- سوسيولوجيا الدين	دانييل هيرفيه-ليجيه وجان بول ويلام	درويش الحلوجى
٨٠٥- من لا عزاء لهم (رواية)	كازو إيشيجورو	طاهر البربرى
٨٠٦- الطبقة العليا المصرية	ماجدة بركة	محمود ماجد
٨٠٧- يحى حقى: تشريح مفكر مصرى	ميريام كوك	خيرى دومة
٨٠٨- الشرق الأوسط والولايات المتحدة	ديفيد دابليو ليش	أحمد محمود
٨٠٩- تاريخ الفلسفة السياسية (جـ١)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسى	محمود سيد أحمد
٨١٠- تاريخ الفلسفة السياسية (جـ٢)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسى	محمود سيد أحمد
٨١١- تاريخ التحليل الاقتصادى (مج٢)	جوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمى
٨١٢- تأمل العالم الصورة والأسلوب فى الحياة الاجتماعية	ميشيل مافيزولى	فريد الزاهى
٨١٣- لم أخرج من ليلى (رواية)	آنى إرنو	نورا أمين
٨١٤- الحياة اليومية فى مصر الرومانية	نافتال لويس	آمال الروبى
٨١٥- فلسفة المتكلمين (مج٢)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبدالغنى
٨١٦- العدو الأمريكى	فيليب روچيه	بدر الدين عرودكى
٨١٧- مائدة أفلاطون: كلام فى الحب	أفلاطون	محمد لطفى جمعة
٨١٨- الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ١)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨١٩- الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ٢)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨٢٠- هملت (مسرحية) (ميراث الترجمة)	وليم شكسبير	طانيوس أفندى
٨٢١- هفت بيكر (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٨٢٢- فن الرباعى (شعر)	نخبة	محمد نور الدين عبد المنعم
٨٢٣- وجه أمريكا الأسود (شعر)	نخبة	أحمد شافعى
٨٢٤- لغة الدراما	داڤيد برتش	ربيع مفتاح
٨٢٥- عصر النهضة فى إيطاليا (جـ١) (ميراث الترجمة)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٦- عصر النهضة فى إيطاليا (جـ١) (ميراث الترجمة)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٧- أهل مطروح: البدو والمستوطنون والذين يقضون العطلات	دونالد پ. كول وثريا تركى	محمد على فرج
٨٢٨- النظرية النسبية (ميراث الترجمة)	ألبرت أينشتين	رمسيس شحاتة
٨٢٩- مناظرة حول الإسلام والعلم	إرنست رينان وجمال الدين الأفغانى	مجدى عبد الحافظ
٨٣٠- رق العشق	حسن كريم بور	محمد علاء الدين منصور
٨٣١- تطور علم الطبيعة (ميراث الترجمة)	ألبرت أينشتين وليوپولد إنفلد	محمد النادى وعطية عاشور
٨٣٢- تاريخ التحليل الاقتصادى (جـ٣)	جوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمى
٨٣٣- الفلسفة الألمانية	ڤرنر شميدرس	محسن الدمرداش
٨٣٤- كنز الشعر	ذبيح الله صفا	محمد علاء الدين منصور
٨٣٥- تشيخوف: حياة فى صور	بيتر أورليان	علاء عزمى
٨٣٦- بين الإسلام والغرب	مرثيدس غارثيا	ممدوح البستاوى
٨٣٧- عناكب فى المصيدة	ناتاليا ڤيكو	على فهمى عبدالسلام

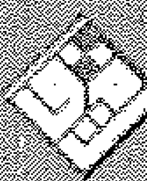
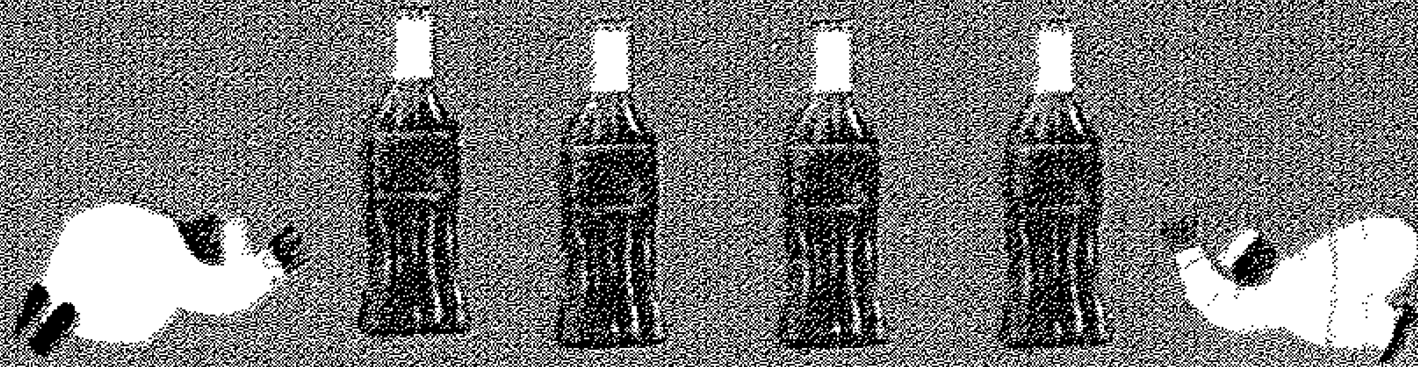
٨٣٨–	فى تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى	نعوم تشومسكى	لبنى صبرى
٨٣٩–	أقدم لك: النظرية النقدية	ستيوارت سين وبورين ڤان لون	جمال الجزيرى
٨٤٠–	الخواتم الثلاثة	جوتهولد ليسينج	فوزية حسن
٨٤١–	هملت: أمير الدانمارك	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٨٤٢–	منظومة مصيبت نامه (مج٢)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٨٤٣–	من روائع القصيد الفارسى	نخبة	محمد علاء الدين منصور
٨٤٤–	دراسات فى الفقر والعولمة	كريمة كريم	سمير كريم
٨٤٥–	غياب السلام	نيكولاس جويات	طلعت الشايب
٨٤٦–	الطبيعة البشرية	ألفريد آدلر	عادل نجيب بشرى
٨٤٧–	الحياة بعد الرأسمالية	مايكل ألبرت	أحمد محمود
٨٤٨–	تاريخ الدولة العربية (ميراث الترجمة)	يوليوس فلهاوزن	عبد الهادى أبو ريدة
٨٤٩–	سونيتات شكسبير	وليم شكسبير	بدر توفيق
٨٥٠–	الخيال، الأسلوب، الحداثة	مقالات مختارة	جابر عصفور
٨٥١–	الطب التجريبى (ميراث الترجمة)	كلود برنار	يوسف مراد
٨٥٢–	العلم والحقيقة	ريتشارد دوكنز	مصطفى إبراهيم فهمى
٨٥٣–	العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج١)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٤–	العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج٢)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٥–	فهم الاستعارة فى الأدب	چيرارد ستيم	محمد أحمد حمد
٨٥٦–	القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى	فرانثيسكو ماركيث يانو بيانويا	عائشة سويلم
٨٥٧–	نادچا (رواية)	أندريه بريتون	كامل عويد العامرى
٨٥٨–	جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية	ثيو هرمانز	بيومى قنديل
٨٥٩–	السياسة فى الشرق القديم	إيف شيمل	مصطفى ماهر
٨٦٠–	مصر وأوروبا	ڤان بملن	عادل صبحى تكلا
٨٦١–	الإسلام والمسلمون فى أمريكا	چين سميث	محمد الخولى
٨٦٢–	ببغاء الكاكاتو	أرتور شنيتسلر	محسن الدمرداش
٨٦٣–	لقاء بالشعراء	على أكبر دلفى	محمد علاء الدين منصور
٨٦٤–	أوراق فلسطينية	دورين إنجرامز	عبد الرحيم الرفاعى
٨٦٥–	فكرة الثقافة	تيرى إيجلتون	شوقى جلال
٨٦٦–	رسائل خمس فى الآفاق والأنفس	مجموعة من المؤلفين	محمد علاء الدين منصور
٨٦٧–	المهمة الاستوائية (رواية)	ديڤيد مايلو	صبرى محمد حسن
٨٦٨–	الشعر الفارسى المعاصر	ساعد باقرى ومحمد رضا محمدى	محمد علاء الدين منصور
٨٦٩–	تطور الثقافة	روبن دونبار وآخرون	شوقى جلال
٨٧٠–	عشر مسرحيات (جـ١)	نخبة	حمادة إبراهيم
٨٧١–	عشر مسرحيات (جـ٢)	نخبة	حمادة إبراهيم
٨٧٢–	كتاب الطاو	لاوتسو	محسن فرجانى
٨٧٣–	مضمون لمدارس المستقبل	تقرير صادر عن اليونسكو	بهاء شاهين
٨٧٤–	النهر الخالد (مج١)	جاويد إقبال	ظهور أحمد
٨٧٥–	النهر الخالد (مج٢)	جاويد إقبال	ظهور أحمد

٨٧٦-	دراسات فى الموسيقى الشرقية (جـ١)	هنرى جورج فارمر	أمانى المنياوى
٨٧٧-	أدب الجدل والدفاع فى العربية	موريتس شتينشنيدر	صلاح محجوب
٨٧٨-	ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (جـ١، مجـ١)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٨٧٩-	ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (جـ١، مجـ٢)	تشارلز دوتى	صبرى محمد جسن
٨٨٠-	الواحات المفقودة	أحمد حسنين بك	عبد الرحمن حجازى وأمير نبيه
٨٨١-	المستنيرون : خدمة وخيانة	جلال آل أحمد	سلوى عباس
٨٨٢-	أغانى شيراز (جـ١) (ميراث الترجمة)	حافظ الشيرازى	إبراهيم الشواربى
٨٨٣-	أغانى شيراز (جـ٢) (ميراث الترجمة)	حافظ الشيرازى	إبراهيم الشواربى
٨٨٤-	تعلم الأطفال الصغار	باربرا تيزار ومارتن هيوز	محمد رشدى سالم
٨٨٥-	روح الإرهاب	جان بودريار	بدر عروبكى
٨٨٦-	الترجمة والإمبراطورية	دوجلاس روبنسون	ثائر ديب
٨٨٧-	غزليات سعدى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٨٨٨-	أزهار مسلك الليل (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت
٨٨٩-	سارتورس (ميراث الترجمة)	وليم فوكنر	ميخائيل رومان
٨٩٠-	منتخبات أشعار فراغى	مخدومقلى فراغى	الصفصافى أحمد القطورى
٨٩١-	مفاوضات مع الموتى	مارجريت آتوود	عزة مازن
٨٩٢-	تاريخ المسيحية الشرقية	عزيز سوريال عطية	إسحاق عبيد
٨٩٣-	عبادة الإنسان الحر	برتراند راسل	محمد قدرى عمارة
٨٩٤-	الطريق إلى مكة	محمد أسد	رفعت السيد على
٨٩٥-	وادى الفوضى (رواية)	فريدريش دورينمات	يسرى خميس
٨٩٦-	شعر الضفاف الأخرى	نخبة	زين العابدين فؤاد
٨٩٧-	اختراق الجزيرة العربية	ديفيد جورج هوجارث	صبرى محمد حسن
٨٩٨-	الإسلام والعلم	برويز أمير على	محمود خيال
٨٩٩-	الدبلوماسية الفاعلة	بيتر مارشال	أحمد مختار الجمال
٩٠٠-	تيارات نقدية محدثة	مقالات مختارة	جابر عصفور
٩٠١-	مختارات من شعر لى جاو شينج	لى جاو شينج	عبد العزيز حمدى
٩٠٢-	آلهة مصر القديمة وأساطيرها	روبرت أرنولد	مروة الفقى
٩٠٣-	أفلام ومناهج (مج١)	بيل نيكولز	حسين بيومى
٩٠٤-	أفلام ومناهج (مج٢)	بيل نيكولز	حسين بيومى
٩٠٥-	تراث الهند	ج. ت. جارات	جلال السعيد الحفناوى
٩٠٦-	أسس الحوار فى القرآن	هيربرت بوسه	أحمد هويدى
٩٠٧-	أرثر.. متعة الحياة (رواية)	فرانسواز جيرو	فاطمة خليل
٩٠٨-	الحلقة النقدية	ديفيد كوزنز هوى	خالدة حامد
٩٠٩-	الفنون والآداب تحت ضغط العولمة	جووست سمايرز	طلعت الشايب
٩١٠-	بروميثيوس بلا قيود	دافيد س. لينس	مى رفعت سلطان
٩١١-	غبار النجوم	جون جريبين	عزت عامر
٩١٢-	ترجمات يحيى حقى (جـ١) (ميراث الترجمة)	روايات مختارة	يحيى حقى
٩١٣-	ترجمات يحيى حقى (جـ٢) (ميراث الترجمة)	مسرحيات مختارة	يحيى حقى

٩١٤- ترجمات يحيى حقى (جـ٢) (ميراث الترجمة)	ديزموند ستيوارت	يحيى حقى
٩١٥- المرأة فى أثينا: الواقع والقانون	روجر جست	منيرة كروان
٩١٦- الجدلية الاجتماعية	أنور عبد الملك	سامية الجندى وعبدالعظيم حماد
٩١٧- موسوعة كمبريدج (جـ١)	نخبة	إشراف: أحمد عتمان
٩١٨- موسوعة كمبريدج (جـ٤)	نخبة	إشراف: فاطمة موسى
٩١٩- موسوعة كمبريدج (جـ٩)	نخبة	إشراف: رضوى عاشور
٩٢٠- خليل جبران. حياته وعالمه	چين جبران و خليل جبران	فاطمة قنديل
٩٢١- لله الأمر (رواية)	أحمدو كوروما	ثريا إقبال
٩٢٢- الموريسكيون فى إسبانيا وفى المنفى	ميكيل دى إيبالثا	جمال عبد الرحمن
٩٢٣- ملحمة حرب الاستقلال (شعر)	ناظم حكمت	محمد حرب
٩٢٤- حتشپسوت: عظمة وسحر وغموض	كريستيان دى روش نوبلكور	فاطمة عبد الله
٩٢٥- رمسيس الثاني: فرعون المعجزات	كريستيان دى روش نوبلكور	فاطمة عبد الله
٩٢٦- ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (جـ١، مجـ١)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٩٢٧- ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (جـ١، مجـ٢)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٩٢٨- سجون الضوء	كيتى فرجسون	عزت عامر
٩٢٩- نشأة الإنسان (مجـ١)	تشارلس داروين	مجدى المليجى
٩٣٠- نشأة الإنسان (مجـ٢)	تشارلس داروين	مجدى المليجى
٩٣١- نشأة الإنسان (مجـ٣)	تشارلس داروين	مجدى المليجى
٩٣٢- حدائق السحر فى تحقيق الشعر (ميراث الترجمة)	رشيدالدين العمرى	إبراهيم الشواربى
٩٣٣- اللاعقلانية الشعرية	كارلوس بوسونيو	على منوفى
٩٣٤- محنة الكاتب الأفريقى	تشارلز لارسون	طلعت الشايب
٩٣٥- تاريخ الفن الألمانى	فولكر جيبهارت	علا عادل
٩٣٦- بيولوجيا الجحيم	إد ريچيس	أحمد فوزى عبد الحميد
٩٣٧- هيا نحكى (قصص أطفال)	أحمد ندالو	عبدالحى سالم
٩٣٨- الأنطولوجيا السياسية عند مارتن هيدجر	بيير بورديو	سعيد العليمى
٩٣٩- سجن العقل	ستيفن چونسون	أحمد مستجير
٩٤٠- اليابان الحديثة: قضايا وآراء	مجموعة مقالات	علاء على زين العابدين
٩٤١- الجماليات لم يولدن بعد	أى كوينى أرماه	صبرى محمد حسن

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٢١٥٣/ ٢٠٠٦

رواية عن الفساد! على حد قول جريدة الاسبيكتور اللندنية! وهى "معالجة لموضوع الفساد... تلك العدوى التى يجلبها الفقر على من يرتكبونها".

وقد ورد فى الملحق الأدبى لجريدة التايمز أن القضية الرئيسية لهذه الرواية هى قصة رجل مستقيم يقاوم إغراءات الرشاوى السهلة والإشباعات السهلة الرخيصة، ولكنه لا يحصل على شىء جزاء أمانته، سوى احتقار من يحبهم له. هذه القصة يسردها المؤلف سرداً ينبض بالحياة والحيوية.

المؤلف: عمرو الكفراوى



